رواية

عشق وكبرياء

فاطمة البقاعي

رواية: عشــق وكبريـــــاء

الكاتبة: فاطمـــة البقـــاعي

تدقيق لغوي: مجدي محروس

تصميم الغلاف: رشا أحمد

الترقيم الدولي: 978/977 – 835 – 116 – 3

رقم الإيداع: 2019/10898

زحمة كتاب / اسكرايب للنشر والتوزيع

Email : Scribe20199@gmail.com

الهاتف: 01099727510

جميع الحقوق محفوظة

"النظرة الأولى"

لم تكن نظرة أولى بل كان لقاءً غريبا بكل المقاييس ، نعم فقد احتقر كل منهما الأخر .. يومها رآها تجوب ممرات المستشفى ، بينما كان هو يذرع المكان ذهاباً وإياباً ؛ قلقا على أمه ورغم أن قلبه يغص بالألم إلا أنه لاحظ إعجاب المحيطات به من الممرضات إلا هى .. وحدها كانت لا تشارك صديقاتها بالنظر إليه ، ولكن كيف تجرأت وتجاهلته ؟ إنه سامر الذي سحر الملايين بفنه ووسامته .. وعلى الرغم منه وجد نفسه يتجاهل المحيطات به ويتأملها ، سحرته تلك النظرة التي شعَّت من عينيها الواسعتين ، سحره ذلك البريق الذي تحمله داخل أعماقها ، وجذبته ابتسامتها الساخرة وعنفوانها.. ورغم كل ما تحمله عينيها من عزة نفس وكبرياء إلا أنه أحس بأنها مسحورة به هى الأخرى .

سمع الجميع يتهامسن بكلمات الحب والإعجاب بشخصه بينما نظراته شاخصة بابتسامتها الساخرة ، أخذ يرقب تحركاتها كما لو أنها بطلة من البطلات اللاتي يقفن أمامه لمشاركته أدواره المتعددة ، من بعيد نجح في قراءة شفتيها ، وهى تسأل إحدى زميلاتها :

- ماذا الذي يحدث هنا ؟ هل مات أحدهم ؟

- ماذا تقولين ؟ ومَن الذي مات ؟ إنه سامر .

- سامر ! ومَن يكون سامر هذا ؟

- سامر الفنان المشهور !

التقـت نظراتهـا الخجلـة التي لا تخلو من المكر بنظراتـه ، ثم التفتت لزميلتها قائلة بلا اهتمام :

- مجنونة .. لقد أفزعتني لأنني ظننت بأن أحد المرضى قد مات .

- لا تخبريني بأنكِ لستِ معجبة به !

اختلسـت إليه نظرة خجلة ماكرة أخرى ، وراحت تهتف بأعماقها في حيرة :

- وماذا أقول لكِ أيتها الفقيرة المعدمة ؟ هل أقول لكِ بأنني معجبة به أكثر منكن جميعا بل .. بل أنني لا أصـــدق أني أراه أمامي الآن وعلى الطبيعة . وأدت أفكارها بداخلها ، وهتفت بصوت مسموع :

- عزيزتي نحن هنا في مســـتشـــفى يعج بالمرضى ، وجميعهم في حاجة ماسة إلينا ، ثم هلا أخبرتني ما موقف المدير من هذا التجمع؟

- أنت مجنونة يا سـلام ! أأخبرك عن سـحره ووسـامته تقولين لي المستشفى والمدير والمرضى !

- هنا عزيزتي عليك أن تنسي كل شيء عدا المرضى الذين يقبعون في أسرَّتهم ، فكري بهم وحـاولي أن تشـــعري بآلامهم التي تمزقهم من الأحشاء .

- هو أيضا تمزقه آلامه ويحتاج لمواساتنا .

- لماذا إن شاء الله ؟

- أمه أصيبت بالشلل لإصابتها بالجلطة الدماغية .

رمقته بنظرة خاطفة ، ولمح بعينيها حزنا وعطفا ، فاشـــتعلت أعماقه بالثورة ، فراح يزيح المحيطات به مطالبا إياهن بإفساح الطريق ، رشقها بنظرات غاضبة حاقدة اخترقت مسام جسدها ، نظرات غريبة هى نفســها لم تفهم ماذا عنى بها ؟ أشـعرتها نظراته بأنها صـفعة قوية هوى بها على صـدغها ، ازدادت أعماقه الغاضـبة ثورة حين سـمع ردها على زميلتها التي طالبتها بالإسراع لتنال شرف توقيعه :

- وما الرصيد الذي يضيفه إليّ توقيعه ؟ هل ينتزعني من فقري أم يداوي آلام المرضى ؟

أشعره رفضها بالغيظ الشديد ، رغم أنه يعلم بأنها محقة ، أثارت الفتاة فضـــوله بل وجعلته يفكر ملياً في أمر جمهوره ، بماذا نفعه الجمهور وأمه راقدة في غرفة العناية الفائقة ؟ لا بشيـــء فهو يعلم بأن جمهوره لم يرحمه حتى وهو في أشد حالات حزنه ، دائماً يجري خلفه ، دائماً يحاصره ويضـــيق عليه الخناق وكأنه ليس إنســـاناً ، ولا يحق له العيش بســـلام ككل النـاس ، حتى وهو في أوج آلامـه تلاحقـه أعين المعجبين ، أراد أن يصرـــخ من أعماقه ويبكي ، تمنى أن يقول لهم أن يتركوه وشأنه ، ثم من قال بأن الفنان يعيش هانئاً مستقراً وهو غارق في عالم السحر والنجومية ؟ من قال بأنه يعيش تلك السعادة التي يتمناها الكثيرون حين يرى هذا الحشـــد الكبير يحاصره كيفما تحرك ؟ حب الناس يقيده بالخوف منهم على نفسه من الفشل أمامهم ومن خذلانهم إن أصـابه مكروه .. فكر طويلاً بسرـ تلك النظرات التي تبادلاها معاً هو نفسه لا يدري من منهما الأكثر غروراً ؟ ولكنه عاد وسأل نفسه :

- ولماذا تشعر هي بالغرور وهي الممرضة البسيطة التي ساعدها الحظ لتعمل في ذلك المستشفى الضخم ؟

ربما يتعجب من ســـذاجة زميلتها ندى ومثيلاتها ؛ لأنهن مازلن يعتقدن بأنه ليس إنساناً عادياً بل هو السحر وربما الحلم ، هي وحدها

من كانت تفكر بأن سـامر مثل الناس جميعاً ، ولد في عالمها ، ونشـأ في كوكبها ، وأكل من الطبيعة نفسها ، وابتاع أشياءه الخاصة من الأسواق نفســها ..هى وحدها من كانت لا تهتم لعظمته ، بل إنها لا تهتم لوجود الرجال أصـلاً ؛ فلم يكن يهمها إلا عملها ، وما يمكن أن تجنيه من نقود ، ليس محبةً بالمال بل رأفة بأمها وأخوتها وقد صـاروا مسـئولين منها بعد أن تركهم أبوها البســيط ورحل لتتخلى عن حلمها في أن تصــبح طبيبة شهيرة ، وترضى بأن تعمل ممرضة في ذلك المستشفى الضخم ، عندما خرجت للعالم الآخر ، اكتشــفت بأنها كانت ميتة ، بحيث جعلها واقعها تجهل كل شيء عن العالم الخارجي صــدقاً ، كثيرا ما حلمت بأن تصبح طبيبة كما أراد لها والدها ، إلا أن الظروف وقفت حائلاً بينها وبين تحقيق الحلم ، فتحول إلى سراب حين اضــطرت للعمل كممرضــة في ذلك المستشفى الضخم .. لم تكن تحلم بالخروج من ذلك الحي الفقير لترتقي إلى ذلك اللقب الذي حسدتها عليه الكثيرات ، فبعد رحيل الرجل الذي كان ينفق عليهم جميعاً ، ضــاق الحال بهم رغم أنه كان رجلا بســيطاً ، كان يعمل مزارعاً في مزرعة أحد الأثرياء ، وقد عاش تحت رحمة ذلك الرجل عشرـين عاماً، بعد رحيل والدها بأيام قليلة وجدت صـاحب المزرعة يدخل منزلها المتواضـع معزياً أمها، ووضـع حين ذاك

تحت وسادة الأريكة مبلغاً من المال دون أن يفكر بحال أمها بل وحالهم جميعا .. العوذ والفقر وحدهما من جعل أباها ينصـــاع لأوامر الرجل اللئيم والشـحيح ، ذلك الرجل الذي لم يقم وزناً للمشـاعر الإنسـانية ، وليس هذا فقط بل إنه تجرأ وقال لأمها : رحمه الله كان عليه أن يخبرني بشأن مرضه ؛ لكي أحتاط وأبحث لمزرعتي عن مزارع آخر .

كم كرهته " ســـلام " كثيراً في ذلك اليوم ! وكم تمنت أن تقتله ذات يوم ..

كانت ما تزال تقف مع ندى عندما حضرـــت ممرضـــة أخرى ، واقتربت منه لتخبره بأن الطبيب يريد رؤيته في عيادته ، فسألها بلهفة :

- هل أمي بخير ؟

- اطمئن سيدي ، إنها بخير فقد تخطت مرحلة الخطر .

سـارا معاً إلى عيادة الطبيب ، وقبل أن يدخل العيادة ، التفت إلى الخلف ورمقها بذات النظرة ، مما جعلها تفكر ملياً بأمر تلك النظرات .. لمَ كل هذا ؟ ألإنها رفضت أن تنال شرف الحديث معه؟

استغربت سلام كثيراً حين شاهدت سحر وهى ممرضة أخرى تمر من أمامها ، وبيدها الشـــاي للطبيب وضـــيفه الوســـيم ، لماذا يطلب الطبيب منها أن تقدم الشـاي لضـيفه الوسـيم ، وهي تعلم بأن بإمكانه

رفع الســـماعة ليطلبها من البوفيه ؟ كانت ما تزال تفكر بما يقصـــده الطبيب عندما عادت ســـحر إليها ؛ لتنقل على مســـامعها ما دار بين الطبيب والفنان من حديث ، المسكين عندما علم بأن الطب عجز عن مساعدة أمه ثار على الطبيب ، وضرب مكتبه بقبضة يده كاد يكسره ، وهو يطالبه بإيجاد الحل المناســـب ، مع ذلك أخبره الطبيب بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا فصاح : سأنقلها إلى الخارج .

فرد عليه الطبيب : أرجوك كن منطقياً فأمك امرأة عجوز ماذا سيفعلون لها هناك ؟

فخفض صـــوته وقال بحزن : وهل ســـتبقى أمي مشـــلولة طيلة حياتها ؟

فواســـاه الطبيب وهو يقول : هذه إرادة الله ســـنعتمد الآن على المعالجة الفيزيائية ؛ كي تســـتطيع تحريك بعض أعضـــائها من جديد ، ونترك الباقي على الله .

ســـأل باســـتفســـار : وهل ســـتبقى هنا ؟ وماذا عن حالات الربو الحادة التي تصيبها ؟

رد الطبيب بهدوء : بل نفضـــل نقلها إلى المنزل ، وكلما حان وقت الجلســـة مع الطبيب المعالج يمكن نقلها إلى هنا ، أو الطبيب يزورك في المنزل ، وبالنسبة لنوبات الربو يمكن علاجها في منزلها ..

فحار الفنان وأخذ يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً وتســاءل : أنقلها إلى المنزل كيف ؟ ومن ســيرعاها وهي المرأة التي رفضــت أن تدخل منزلها امرأة أخرى حتى وإن كانت خادمة ؟ لا أســتطيع تركها في المنزل وحدها ، وأنا فنان ولديَّ أعمالي ، أنا كالرحالة كل يوم في بلد ، وأمي تحتاج لرعاية كاملة أرجوك أيها الطبيب أرشدني إلى الصواب فرأسي تكاد تنفجر .

فنصـــحه الطبيب قائلا : الحل الأول هو أن تكون لدى أمك خادمة تقوم بشئون المنزل وما شابه ، والحل الثاني والأهم هو أن تكون معها ممرضة تقوم على رعايتها وتمريضها وإعطائها الأدوية في مواعيدها .

أتقنت ســـحر الحوار تماماً ، وبطريقة تمثيلية رائعة ، فقالت ساخرةً محاولة تقليد صوت الفنان :

- أرجوك يا دكتور كن منطقياً وأخبرني من الممرضة التي ستقبل أن تقوم على رعاية أمي ، وهى المرأة المشـــلولة دماغياً ؟ فهذا كما تعلم يحتاج لرعاية فائقة .

فأوجد الطبيب له الحل حين قال :

- الخادمة تساعد الممرضة ، وهكذا يخف الحمل عن كليهما .. ما رأيك ؟

- وهل لديك ممرضة تثق بها؟

ثم ضحكت بخلاعة مقززة ، وقالت :

- الأحمق لا يعلم بأنني الممرضة المناسبة لأمه وليس هذا فقط ، سأراه كل صباح ومساء ، وسأعرف عنه كل شيء ، وماذا يأكل ، وكيف يعيش ومن يدري ربما أنال إعجابه ويتزوجني ، فأنا كما تعلمين خارقة الجمال ، يمكنني أن أتصور نفسي وأنا حرم الفنان سامر وصاحبة المنزل هناك .. ما أروعني حين أحمل لقب زوجة ممثل مشهور! .

كانت ســـلام قد ملّت من أحاديثها ، فتركتها تسرـــح في أحلامها الغير منطقية وجنونها الذي صـــور لها أنها جميلة الجميلات ، وأنها تستحق أن تحمل لقب الفنان واسمه عن جدارة و ..

- الطبيب يريدكِ في مكتبه .

التفتت لزميلتها في ذهول ، ثم دفعت باب المكتب ، ودلفت بخطوات حذرة يشوبها التوتر ، وقبل أن تنطق سمعت الطبيب يقول له :

- هذه هى .

أحست بما كان يرمي إليه ، ومع ذلك ظلت واقفة وهي خجلة من نظراته إليها ، وتمنت للحظة الفرار من ذلك الوضع الذي وضعها الطبيب فيه ، ثم وجدته يلتفت إلى الطبيب ليسأله :

- ماذا تعني ؟

- إنها ممرضة أمينة نشيطة لا تعرف التقاعس تقوم بعملها على أكمل وجه ، هل تصدقني لو قلت لك أنها كانت مشروع طبيبة ماهرة .

نظرت إليه لتجده يتأملها بعمق وتخترق نظراته الثاقبة مسام جسدها ، تمنت هى الأخرى أن تخترقه بذات النظرات إلا أنها خجلت وجبنت ، وما هي إلا لحظات حتى بدأت الأسئلة تتزاحم فوق شفتيها ، وهو مازال يتفحصها كتلميذة ستدخل قاعة الامتحان أو كفتاة يريدها زوجة .. أنقذها الطبيب من نظراته الحارقة حين طلب منها الانصراف ، هرولت سلام مسرعة بالخروج من العيادة ، وتركت بابها مفتوحاً على

حين أسـندت ظهرها على الضـلفة الأخرى من الباب لتأخذ نفسـاً عميقاً لتستوعب ما حدث ، وسمعته يسأل الطبيب :

- لماذا هذه بالذات ؟

- ألم تعجبك ؟

- إنها فتاة متعجرفة مغرورة ، تصـــور فتاة مثلها مجرد ممرضـــة تافهة بسيطة ترفض محادثتي أنا .. أنا سامر الفنان المشهور !

- وهل ما تقوله الآن لا يعتبر غروراً ؟ صــدقني معظم المشــاهير مصـــابون بالغرور وأنت منهم ، فتاة مثلها لا تعرف في هذا العالم إلا عملها ؛ لذا فإنها تستحق الاحترام .

أحست بكلمته تدوي في أذنها كالمطرقة حين قال :

- لا أريدها .

- لا تكن عنيداً إنها الأجدر.

وصرخت من أعماقها ، وهي لا تزال تشعر بالإهانة والألم :

- يرفضـــني أنا ؟ لماذا .. ثم من قال بأنني أوافق على العمل في منزله كممرضة ؟ !

عاد إليها صوت الطبيب ، وهو يحاول إقناعه :

- إنها ممتازة وهي مجرد ممرضة يعني لن تتزوجها !

فاجأها الطبيب بقوله ذاك ، وســاد الصــمت بعدها للحظات ، وسامر يردد بينه وبين نفسه :

- أتزوجها ؟ !

في حين تمتمت هى في أعماقها بحنق وغضب هائلين :

- تباً له ولطبقته التي ينتمي إليها .

سرحت بينها وبين نفســها للحظات مع تلك الكلمة " تتزوجه "، ولكنها لم تفســح المجال لتفكيرها ؛ لأنها تعلم تماماً من تكون ؛ لذلك ليس من حق خيالها أن يســبح في بحر اللامعقول ، طردت الفكرة من رأسها تماماً لأنه المستحيل نفسه .. تابع الطبيب حديثه :

- سلام تعول أمها وأخوتها الستة بعد رحيل والدها ، وهي بحاجة للمال أكثر من غيرها ، وأمك تحتاج للرعاية وأنا واثقٌ بأن سلام لن تبخل عليها بعطفها وحنانها وحبها .

- ما هي علاقتك بها ؟

- علاقة الأب بابنته ، فكل ما هنالك هو أنني على دراية بوضــعها المادي ، أنا وحدي من أعرف التضــحيات التي قدمتها لعيش أخوتها بسلام .

كانت تكره شـــفقته عليها ، وتكره أن يجعلها ممرضـــة لأم ذلك المغرور ، تمنت لو تبقى في نظره تلك الفتاة المغرورة التي يجهل عنها كل شيء والتي غاظته حين رفضـت الحديث معه ، فسـمعته من جديد يسأل الطبيب :

- ماذا عن سلوكها ؟

- مهذبة خجولة والأهم هو أنها تهتم بالمريض كما لو أنه فرداً من أفراد أسرتها ، صـــدقني لا يوجد أكفأ منها لتلك المهمة ، وأنا بدوري سأمنحها إجازة مطولة حتى تنتهي مهمتها .

- تتعاطف معها كثيراً .

- أخبرتك بأنها الأجدر ، وكانت الأولى على دفعتها لثلاث سنوات متتالية ، ولو ساعدتها الظروف لأصبحت اليوم طالبة مجتهدة في كلية الطب .

- وماذا عن غرورها ؟

- وما أدراها من تكون ؟ ربما كانت لا تشاهد التلفزيون أصلاً .

- أوافق شريطة أن تقلع عن غرورها .

- لك ما تريد .. هل أناديها الآن ؟

ابتعدت عن الباب متظاهرة بأنها كانت خارج المكان ، على حين قُرِع جرس الهاتف لدى السكرتيرة القابعة خلف مكتبها ، والتي كانت منشغلة بتصفح جريدة الصباح ، فلم تلحظ وقوف سلام أمام باب عيادة الطبيب

، ولم تمضِ لحظات حتى كانت سلام تدلف مرة أخرى لحجرة المكتب بخطواتها الحذرة التي يشوبها التوتر والترقب ، وهى تهتف بالطبيب :

- حضرتك طلبتني .

- نعم .. اجلسي يا سلام

سرى التوتر في جسدها ، وهى تطالع عينيه اللتين تتفرسان جسدها منذ ولوجها لحجرة المكتب ، وراحت تتطلع إلى ساقيه الممدودتين واللتين تعرقلان جلوسها ، فاعتدل سامر في جلسته واضعا ساقه فوق الأخرى

، رمته بنظرة أخرى سريعة ، وقد شعرت بالدم يتجمد في عروقها ، وسألت الطبيب في محاولة للهروب من نظراته التي تتفرسها :

- تحت أمرك يا دكتور .

- تعرفين بالطبع أم سامر ، فقد قمت بنفسكِ على رعايتها .

- شفاها الله .. فأنا لم أقم إلا بواجبي .

- رأينا أن تعود أم ســامر لمنزلها لتســتكمل علاجها هناك ، ووقع اختيارنا عليكِ لمرافقتها والعناية بها .

رمقت إلى ســامر بنظرة أطول هذه المرة ، فتلاقت عيونهما ، وشعر فجأة بأنها تملك عينين لا تنطقان إلا بالحب ، وهي أيضاً أحست بأن عينيه تبعثان ألقاً ناطقاً بالحب نفســه ، قالت وهى تهرب بعينيها من نظراته :

- أعرف الموضوع كاملاً ، ولكنني أعتذر .

فوجئ سامر برفضها فهتف غاضبا :

- إلى متى يستمر هذا الغرور ؟

فقال الطبيب بسرعة ليحتوي الموقف قبل أن يتفاقم :

- للأســف ليس من حقك الرفض ؛ فأمه في حاجة للرعاية ، ولا يصلح لها سواكِ .

- وإلى متى يستمر هذا ؟

- هذا في علم الغيب

- وعملي ؟!

- ستعودين إليه بعد أن تنهي مهمتكِ .

- ولماذا أنا بالذات ؟

- سامر اختارك أنت .

تطلعا معا للطبيب وكلاهما لعنا كذبته .. ســـامر ما زال يتفرس ملامحها ، ويراقب انفعالاتها في حين كانت أعماقها تصرخ بضراوة :

- يجب أن ترفض .. يجب أن تكون أقوى من ظروفها وحاجتها الماســة للمال .. يجب أن تنسى التضـحيات من أجل من تحب لتفوز بكرامتها .. هتفت بحزم :

- اختر غيري فأنا لا أصلح لهذه المهمة ، أعرف بأن سحر تتحرق شوقاً لتكون هي مكاني ، يمكنها أن تقوم بالمهمة فعلى الأقل هي معجبة به .

علت شفتي سامر ابتسامة ، وهو يراقب انفعالاتها التي فضحتها ، وتيقن أنها أيضا لا تقل عن الأخريات إعجابا به ، وهتف بها :

- سلام .. أرجوك فأنا أجدك الأصلح لتلك المهمة .

- لا أســتطيع الإقامة في منزلك ، فأنا لا أتخيل نفسيــ أبتعد عن منزلي وأهلي و ..

- ستزورينهم باستمرار ، ولن تبتعدي عنهم .

- يا ســـيدي ما لا تعرفه هو أن أمك شـــفاها الله تحتاج للرعاية الكاملة ، ووجود الممرضـة معها طوال الوقت يخفف عنها بعض آلامها فكيف تريدني أن أسمح لنفسي أن اتركها ، وهي تحتاجني .

- وهذا سر تمسكي بكِ ؛ فمعكِ سأطمئن على أمي .

صمتت لبرهة هتفت بعدها في حزم :

- لي شروط .

- أوافق عليها .

- لا أريدك أن تدخل المنزل إلا إذا فتحت لك . ولا تدخل غرفة أمك إلا إن كنت أنا خارجها ؛ فأنا فتاة ريفية المنشأ ، وعشت وترعرعت في حي له عاداته وتقاليده وللناس ألسن .

أعجبه ذلك الحرص الذي حصنت نفسها به ، فطمئنها حين قال :

- لا تخشيـ شـيئاً سـتكونين بعهد الله أختي ، واطمئني لن تكوني بمفردكِ ؛ فهناك خادمة ستقوم بمساعدتك ، وإدارة شئون المنزل .

التفتت إليه تسأله :

- متى يمكنني البدء في عملي الجديد ؟

- عندما تتصلين بأمك وتقومي بأخبارها .

- ولكنني لا أملك هاتفاً .

- هذه مشكلة . ولكن لا بأس أعطني عنوان المنزل ، وأنا سأذهب إليها كي أخبرها ، وأنت تذهبين مع أمي عندما يتم نقلها إلى المنزل .

ترددت طويلا قبل أن تعطيه العنوان ؛ فهي لم تكن تحب أن يرى المستوى الذي تعيش فيه ، ولا أن يدخل حيها الفقير ، ويطرق باب منزلها القديم ، لم تكن تحب أن يحدث أمها المعدمة وجهاً لوجه ، ويشاهد أخوتها بأجسادهم الهزيلة ، ويجلس على تلك الأريكة التي تسميها أريكة الضيافة ، تلك الأريكة لا يجلس عليها إلا الفقراء أمثالها ، اكتشفت فجأة بأنها لا تفخر بعائلتها مطلقاً ، بل إنها خجلة من وضعها ، ولم تكن كذلك من قبل .. ما الذي حدث لها ؟ ولم هذا الانقلاب المفاجئ على واقعها ؟!

راحت تراقبه ، وهو يتوارى بعيدا عن الأنظار التي تحاصره ، تعجبت من نفسها وإحساس الغيرة يتسلل داخلها رويدا رويدا ، وأغمضت عينيها ، وراحت تتخيل نفسها في منزله الجميل تتابعه في سكناته وحركاته ، وربما تساعد الخادمة بإعداد طعامه ، وربما تصنع قهوته الصباحية بنفسها ، وترتب غرفته ، وتنال شرف لمس أغطية

سريره الحريرية ، وستائر نوافذ منزله وحتى مرآته ، وحدها من ستنال شرف النظر إليه والكلام معه كل صباح وكل مساء ..

هذه كانت البداية بينهما ويا لها من بداية !

" حي البؤساء "

في حيها الفقير حطت سيارته الجميلة ، فترجل منها بعد تردد ، كان مشمئزاً من كل ما يراه أمامه ، ومن تلك الحارات الضيقة المتداخلة التي تشعر المرء بالاختناق ، من القاذورات التي ملأت الشوارع والأزقة ، سار بخطوات خائفة على الأرض الغير ممهدة ، راح يبحث عن منزلها ، والحقيقة لم تكن رسالة سلام لأمها هى الدافع لزيارته للحي بل أراد أن يشاهد منزلها والطبقة التي تنتمي إليها ؛ كي يرد إليها الصاع صاعين ؛ لأنها رفضت محادثته ظناً منه بأنها تحتقره ، ولكنه صمت قليلا ثم تساءل في أعماقه لماذا كل هذا التحامل عليها ، وقد أعجبه غرورها ، وجعلها تكبر في نظره ؛ فهي لم تكن كالأخريات ساذجات وتبهرهن المظاهر الكاذبة، كانت الأعقل بين الجميع ، إذاً لماذا كل هذا الإصرار على معرفة من تكون ؟

بينما يفكر بينه وبين نفسه ، حطت به قدماه أمام باب منزلها ، توقف هنيهة ليتأمل المكان قبل أن يطرق باب المنزل بطريقة ناعمة

مهذبة ، وما هي إلا لحظات قليلة حتى فتحت أمها الباب ، رغم أن أمها مازالت شابة إلا أن وجهها الشاحب أضاف عشرة سنوات إلى عمرها الحقيقي فشحوبه كان شبيهاً بشحوب الموتى سنوات الشقاء والتعب التي حملتها على عاتقها صنعت منها امرأة عجوزا وآثار الفقر رسمت تحت عينيها هالتين من السواد ، سألته بعد تأملها لوجهه :

- تحت أمرك .. أي خدمة ؟

- عفواً أنت أم الممرضة سلام ؟

- أجل أنا أمها .. ماذا تريد منها ؟

نظر داخل المنزل ، وسألها :

- معذرة .. هل يمكننا التحدث بالداخل ؟

أفسحت له الطريق ، ثم سبقته مسرعة إلى صدر المنزل ، وخطفت من على الأريكة بعض الملابس القديمة التي تخص أولادها ، وقالت بخجل ، وهي تنفض الغبار عن الأريكة :

- تفضل هنا .

دفعت باب الغرفة المجاورة ، ورمت ما كانت تحمله داخلها ، ثم قالت محاولة تبرير الموقف :

- الأطفال دائماً يخلعون ملابســـهم ثم يرمون بها عشـــوائياً هنا وهناك.

الأم تقف حائرة أمام هذا الضيف الذي يزور منزلها للمرة الأولى ، بينما أخذ الفرصـــة ليجيل البصرـــ في أنحاء منزلها ، وبداخله كان يلعن حضوره إليه ؛ فكل ركن فيه يثير اشمئزازه .. سألته على الفور :

- ماذا تشرب ؟

نظر إليها ، وتأملها باشمئزاز ، وفكر بينه وبين نفسه :

- امرأة يائسة محطمة معدمة ، وتحتاج إلى الترميم أكثر من منزلها نفسه ، ماذا يمكنها أن تقدم له ؟

الأغنياء دائماً ينســـون بأن الفقراء قادرين على القيام بواجب الضـــيافة أكثر منهم أحياناً ؛ لأن منازلهم مليئة بالخير والعطاء والحب والحنان ، ينسـون بأنهم بشرـ ، كان يمكنها أن تقدم له قهوة أو شـاي أو حتى (تمر هندي) لماذا يســـتغرب كيفية قيامها بالواجب اتجاهه ؟ .. نسي أمر سؤالها ، وبادرها بسؤال أخر :

- كيف تعيشون هنا ؟

- وأين يمكن أن نعيش يا سيدي إنه منزلنا ولا نملك سواه ؟

- ولكنه مظلم وغير صحي والرطوبة تأكل أركانه .

- ألفنا الظلام ، وعايشـنا الرطوبة لسـنوات طويلة ، فصـار المنزل جزءا منا .

- ألا تمرضون ؟

- كل الناس يمرضـــون ، ولكن أخبرني من أنت ؟ هل تتبع وزارة الصحة ؟

تجاهل سؤالها قائلا :

- ولكن هـذا المنزل من الممكن أن يقع فوق رؤوســكم .. ألا تخافين على أولادك ؟

- سمعنا هذا الكلام كثيرا قبل وفاة زوجي وها هو لم يسقط ، حتى وإن ســقط علينا ، ومتنا جميعاً تحت أنقاضــه المهترئة من يهتم لأمر وجودنا أحياء ؟ لا أحد مطلقاً ؛ فنحن في نظر الناس المترفين حُثالة هذا المجتمع ووجودنا في الحياة وباء ينقل إليهم العدوى ، بل نحن الجراثيم التي تخز عقولهم .

أعجب بطريقة حديثها وفكر ، متحدثة جيدة كابنتها تماماً ، دافع عن حقها في الحياة وثار عليها لكي تستيقظ من غفلتها وتعي ما يحدث أمامها فقال :

- بل أنتم بشر مثلهم ومثلي ويحق لكم العيش كالآخرين .

تأملته واخترقت مسام جسده وقالت :

- لابد أنك منهم ؛ فثمن بذلتك التي ترتديها يكفينا طعاماً لمدة شهر ؟.

نظر إلى نفســـه ، واحتقر الهيئة التي قدم بها إلى منزلها .. شـــعر بالإحراج ، وخجل من نفســـه ، وتمنى لو يخلعها ليثبت لها بأنه مثلها مجرد إنسان ، أجل فهو إن تعرى من ملابسه تلك ، وارتدى الثياب التي تليق بذلك الحي لعرفت بأنه لا يختلف عنها كثيراً، الثياب لا تصـــنع رجالاً ، ولا تبني قصوراً ، الملابس لا تحول الصالح إلى طالح ، ولا تصنع من الفقير غنيا .

.سألته من جديد :

- ألست منهم ؟

- يا سيدتي ....!

وقاطعته حين ضحكت ساخرة من قول الكلمة ، وقالت :

- ســيدتك ؟! يا إلهي طوال حياتي الماضــية لم ينادني أحدا بهذه الكلمة .

- ســيدتي أنت تســتحقين الاحترام ؛ لأنك ربيت ابنتك على المثل والأخلاق النبيلة ، فامتازت عن غيرها من الفتيات .

- لا تقل لي بأنك جئت تخطبها ؟

هبطت عليه تلك الجملة كالصـــاعقة ، وتخيل الأمر بينه وبين نفســـه ، ثم حاول طرد الفكرة تماماً من رأســـه ، ونظر إليها ثم قال لها بكلمات متلعثمة ، ومن باب المجاملة :

- يشرـــفني ذلك ، ولكني لم آتِ لهذا الغرض ، بل جئت أخبرك بأن سلام ومنذ ساعة أصبحت تعمل لدىَّ .

صرخت أمها بغضب ، وسألته بهلع :

- تعمل ماذا ؟

- لا تجزعي ســـيدتي إنها تعمل ممرضـــة ، أمي خرجت من المستشفى اليوم ، وهي مصابة بالشلل الدماغي ، ووجودها في المنزل يحتاج إلى ممرضة تقوم على رعايتها ، وإعطائها الدواء بموعده ، وابنتك هى أفضل ممرضة تقوم بتلك المهمة .

هدأت أمها واستكانت وقالت :

- مسكينة أمك إلى متى يستمر هذا ؟

- نترك مسألة الوقت لله عز وجل .

- أنت محق فهو وحده يفعل ما يشاء ، ولكن ماذا عن عائلتك ؟

.

- لا عائلة لي غير أمي توفي والدي عندما كنت صـــغيراً ، وأختي الوحيدة تزوجت ، وسافرت للخارج .

- لمَ لمْ تأتي لتخبرني هذا بنفسها ؟

- أمي تحتاج لوجودها إلى جانبها بعد خروجها من المشـــفى ؛ لذلك أرسلتني بالنيابة عنها .

- وماذا عن عملها في المستشفى ؟ .

- مازال قائماً .

- ما لذي يجعلني أضمن بأن ابنتي ستكون بخير ؟

- اطمئني أنا لا أمكث في المنزل طوال الوقت في عملي ، وفي أكثر الأحيان أكون خارج المدينة ، وابنتك ســـتكون صـــاحبة المنزل أثناء غيابي ، ومعها امرأة أخرى إنها الخادمة .

نظرت إليه مطولاً وسألت نفسها :

- أين رأته من قبل هذه الســـاعة ؟ لم تســـعفها الذاكرة فتجرأت وسألته :

- هلا أخبرتني أين رأيتك قبل الآن ؟ .

- أعمل ممثلاً ومن الطبيعي جداً أن تشـــاهديني ككل الناس على الشاشة .

نهض سامر ، وأراد الاستئذان ليغادر منزلها فقال لها :

- اسمحي لي بالانصراف الآن فلدىّ أعمال هامة .

اقترب من الباب الخارجي ، وقبل أن يخرج تذكر بأن من واجبه أن يســـاعد أمها البائســـة ، فأخرج من جيبه كل ما يملكه من المال ، وقدمه لها قائلاً :

- مرتب سلام لشهرين مقدماً .

أخذت أمها المبلغ مندهشــة في اللحظة التي فوجئ فيها بصــوت صرير الباب من خلفه ، وإذا بفتاة صـــغيرة تخرج من الغرفة ، وقد كان مظهرها يثير الشـــفقة ، وتبعها باقي إخوتها فنظر إلى الجميع ، ثم أراد الهروب بعيداً عن ذلك المشـهد ، حين أغمض عينيه ، وتمنى بينه وبين نفســـه ألا يرى منهم أحدا خرج من المنزل ، ورأســـه تكاد تتفجر وهو يسأل نفسه :

- أمعقول ؟ أما زال يوجد في هذا العالم فقراً وجوعاً بهذا الشــكل ؟

اســتيقظ ضــميره الذي نام طويلاً ، أحس بما تعانيه الطبقة التي تنتمي إليها ســـلام ، وهو الذي أراد الانتقام منها ، ســـار مسرـــعاً نحو ســـيارته ، ودلف إليها فانطلقت به ، وقد حمل في أعماقه كرهاً فظيعاً

لطبقته التي ينتمي إليها ، تغير تماماً وقد قرر بينه وبين نفسه أن يتحمل كافة نفقات تلك العائلة المنكوبة ، في البداية لام نفسه كثيراً ؛ لأنه قدم لأمها المال فهو يعرف عزة نفسها وكبريائها ، ترى كيف ستتقبل الأمر ؟ وماذا ستظن به ؟ حتماً ستظن بأنه اشتراها وعائلتها ، أشياء كثيرة فكر بها ، وخاف كثيراً من النتائج التي سيجرها له ذلك الصنيع ، وصل إلى منزله وذلك المشهد المأساوي مازال جاثماً على صدره ، كان يشعر بالاختناق ، فراح يحل ربطة عنقه بصعوبة ، شعرت به عند دخوله المنزل على الفور ، بينما هو مازال ساهياً عن كل شيء ، سار نحو الأريكة متثاقلاً وهبط فوقها كمن تخلت عنه إرادته ، كانت تلك الأريكة تضم خلفها أريكة أخرى اتخذتها سلام لنفسها ، حين هبط فوق أريكته ، نهضت سلام من على أريكتها خائفة فزعة ، اقتربت منه وبين يديها تحمل أوراقاً كانت تقرؤها ، وقفت أمامه وعيناها تتأمل المكان فقد صمم مهندس الديكور المكان بطريقة ساحرة رائعة ملفتة للنظر ، كيف لا وهذا المنزل لفنان ، ظنت لوهلة بأنه سينهال عليها بكلمات التوبيخ والشتائم ؛ لأنها تحمل أوراقه ، وهو أيضاً ظن بأنها ستنهال عليه بسيل من تلك الكلمات ؛ لأنه لم يفِ بوعده ، ودخل المنزل دون استئذان ، هو لم يفعل ، وهي لم تفعل ، كلاهما نسيا أمر العتاب ؛ فحال الاثنين

لم تكن جيدة ، نظرت إليه وقد ساءها المظهر الذي عاد به إلى منزله .. اقتربت منه أكثر وسألته :

- هل عدتَ ؟

نظر إليها واعتدل في جلسته ، وقال لها :

- وماذا ترين ؟!

- ليس هذا ما أقصده ، ولكنك تبدو مختلفا .

تجاهل عبارتها وسألها :

- ما هذه الأوراق بيدكِ ؟

تنبهت على أنها تحمل أوراقه الخاصة ، فقالت له مبررة :

- لقد نامت السيدة الكبيرة ، وأصابني الضجر لذلك سمحت لنفسي بالاقتراب من مكتبتك ، وتناولت منها هذه الأوراق لكي أقرأ ، وأقتل الضجر الذي اعتراني .

أخذ منها الأوراق ، وهو يقول :

- إنه السيناريو الجديد .. هل أخذتِ فكرة عنه ؟

- بل قرأت بعضه.

- ما رأيكِ بالنص ؟

- القصة جيدة نوعاً ما ، إلا أنها تحتاج لبعض الرتوش .

أثارت فضوله فقال لها :

- وما رأيكِ بالدور الرئيسي ؟

- تريد الحق بدون غضب ؟

- بالطبع لن أغضـــب ؛ فنحن الفنانون نتقبل النقد مهما كانت قسوته .

- لن يكون نقدي قاسياً ، ولكن اسمح لي أن أتجرأ وأخوض معك الحديث بشأن الدور الرئيسي والعمل ككل

، من وجهة نظري كل الأدوار في هذا النص أخذت دور البطولة حتى المربية نفسها ؛ إن دورها جداً هام فكل الشخصيات تدور وتعيش في نفس المكان ، والمربية تحاور الجميع ، تخفف مأساة هذا ، وتساعد ذاك ، وتسدي النصح لأكثر الشخصيات ، تقوم برعاية الصغار كأمهم ، وبدور المعلمة للابنة الكبرى .. أشياء كثيرة صنعها دور المربية والمزارع كذلك الأمر .

شده حديثها كثيراً ، وأيقن تماماً بأنها ضليعة في أمور الفن ، وقد كان يظنها ساذجة لا تفقه عن أمور الحياة إلا الحي الذي نشأت فيه ..

شـــك بينه وبين نفســـه بانتمائها لتلك الطبقة وعيشـــها في ذلك المنزل ؛ تختلف تماماً عن عائلتها كما لو أنها نشـأت في عالمه هو.. حتى

أمها تجيد فن الحديث وتعرف قدر نفســها ، عندما أحس بأن ســلام بارعة في أمور النقد وأشياء أخرى سألها :

- ألكِ أراء أخرى تطرحينها بشأن النص ؟

- أتسخر مني ؟

- معاذ الله .. أنا أطلب رأيكِ فحسب .

- سيدي الموضوع من الناحية الفنية رائع رغم أن القصة نصف واقعية .

- حقاً ؟ وماذا عن النصف الأخر ؟

- ينقصه بعض التعديل .

طلب منها أن تجلس لكي يتجاذب معها أطراف الحديث ، وعندما جلست سألها من جديد :

- ما الذي يحتاج للتعديل ؟

- أشياء كثيرة لا يمكن أن تحدث في مجتمعنا .

- أريد مثالاً على ذلك.

- لو كانت لديكَ ابنة بالمرحلة الثانوية ، ماذا تفعل إن اكتشــفت فجأة بأنها مغرمة بأستاذها ؟ كيف يكون موقفك ؟ وكيف تواجه الأمر وأنت الرجل الشرقي الذي نشأ و ترعرع على مثل ومبادئ معينة ؟

- أمنعها من التورط بذلك الحب ، وأنصحها بمتابعة دراستها ؛ لأنها الأهم خاصة إن كانت صغيرة .

- النص يقول غير هذا ؛ فالبطل عندما يعلم بأن ابنته تحب يفخر بها ، ويأخذها بالأحضان ، ويتأملها للحظات ليقول لها : لقد كبرت يا ابنتي وأصبحت تحبين .

- يا سلام إنه مجرد تمثيل

- إذاً كيف تقنعني أنا كمشاهدة بذلك المشهد المبتذل ؟ يا سيدي في عالمنا هذا المشهد مرفوض تماما والحب ممنوعاً سر وعلانية .

- أنت محقة في بعض الأمور ، ولكنني لا أظن بأن علانية الحب ممنوعة في المجتمع .

- لا يوجد أب يسمح لابنته في هذه السن بالحب فنحن شرقيون و ..

- هذا يحدث في مجتمعي و ...

- إذا أنتم تخاطبون زمرة معينة من الناس ، يا سيدي لا تنس بأن المسلسل سيتابعه الناس ، وهناك مجتمعات وطبقات متوسطة تتابع

المسـلسـل لذلك عليك مخاطبة كل الفئات ، ألا نسـتحق أن يخاطبنا المجتمع ، ولو من خلال الفن ؟

- بالطبع أنتم تسـتحقون الاحترام ، سـنتحدث في الأمر قبل بدء التصوير .

انتقلت فجأة من الحديث عن الفن والأدب إلى السـؤال عن أمها :

- أخبرني .. هل ذهبت إلى منزلي ورأيت أمي ؟

- أجل وصدقاً تمنيت لو إنني لم أفعل .

- يحق لـك أن تقول هـذا : فلا أمي ولا منزلنـا يليقـان بـك وأنـت الفنان المشـهور ، أنا أيضـاً لم أكن أحب ذهابك إلى هناك ؛ لأن منزلنا مليء بالجراثيم ، أخشى أنك خفت على نفسك من العدوى .

- أمك وأخوتك جراثيم !

- لقد علمتنا الحياة أشياء كثيرة ، ورغم ذلك كنا في السابق نعشق الحياة ، وكان منزلنا بالنسـبة لنا جنة غنّاء تجمعنا في ظل والدنا الحنون الذي لم يشعرنا بالنقص ذات يوم .

- تعشـــقون الحياة في ذلك المنزل ؟ يا إلهي أمعقول أنكم مازلتم هناك والرطوبة تملأ الحي والمنزل ؟ أمك شـــاحبة شـــحوب الموتى ، وأخوتك هزيلين ووجوههم شاحبة ، وثيابهم الرثة تثير الاشمئزاز .

- أعرف بأنك اشمأززت من مناظرهم ؛ فأنت لا تعرف ماذا فعل بنا الدهر بعد رحيل والدي ؟

- لا أتحدث عما فعله بكم الدهر ، ولا عن رحيل والدك أســـألك كيف تعيشون هناك ، ثم أخبريني كيف تتأقلمين مع وضعكِ وأنتِ غاية في الجمال والروعة ، وتحملين في جعبتك أشـــياء كثيرة وأهمها أنكِ ممرضة ناجحة ، وكنت مشروع طبيبة .

- أشكرك على الإطراء ، ولكن لا تنسَ بأنه عالمي ، وهم أهلي ، أنا أعرف بأن الفقراء يوصفون بالذكاء.

- ليس في أكثر الأحيان ، فكل ما ذكرته لكي يتطور يحتاج على الدعم المعنوي والمادي .

- ربما أنت محق فلو كان والدي ما يزال حياً ، ولو كان يملك المال لأصبحت طبيبة وحققت كل أهدافي

، أيقنـت بـأن الفقراء لا يحق لهم أن يحلموا ، ولا أن يرســموا مخططات لأهـدافهم ، حتى أن الطـب يحتاج إلى مبالغ كبيرة ...كبيرة جداً أكبر من أحلامي نفسها .

اسـتمرت في حديثها ، وهو يراقبها بينما تسرد إلى مسـامعه قصـة حلمها الذي رسمه لها والدها :

- رسـم لي والدي مخططات كثيرة ، وتنبأ لي بمسـتقبل رائع ، ليته لم يفعل وتنبأ لنفسه وحافظ على صمته كي يبقى لنا .

- تعترضين على مشيئة الله .

- ربما .. المهم لم يعد كل هـذا مهماً بالنســبة لي ، وتخطيت المحنة ، وأصــبحت أكف عن التأفف من وضــعي والتذمر من الحال الذي كنا عليه .

- كيف تكفين عن ذلك وعائلتك تنطبق عليها قصة البؤساء ؟

- بالفعل إنها قصة تحكينا نحن .

- ماذا كان يعمل أبوك ؟

- لم يكن لصـاً ، كان مزارعاً وفياً لعمله ولرب عمله ، سـحقاً له ؛ لقد بخل علينا حتى بالتعويض الذي كان يستحقه أبي .

- كان يمكنكِ مقاضاته .

- مقاضـاته تحتاج إلى محامٍ ، والمحامي لن يأخذ قضـيتنا مجاناً ، ثم إنني أعلم بأن النتائج لن تكون مضـمونة ؛ فذلك الرجل ليس سـهلاً على الإطلاق يمكنه تدمير عائلتي وربما سمعتنا .

- كيف كانت حياتكم ؟

- كنا سـعداء رغم فقر والدي ، لم يكن يبخل علينا بشيء ، وأصر على أن أتابع دراسـتي كان منزلنا ينبض بالحياة والحب والسـعادة أثناء وجوده معنا لم نكن نشـعر بالنقص ، أنا بالذات كنت أسـعد فتاة في حينا كله ، ولكن لماذا تريد أن تعيد الماضي إلى ذاكرتي وأنا التي قررت النسيان ؟

- أسف لم أقصد هذا ، ولكنني أردت الاطلاع فقط .

- انس ما رأيته وأخبرني .. ماذا قالت أمي بشأن عملي هنا ؟

- لم تمانع ثم إنني أعطيتها مرتبك لشهرين مقدماً .

- هذه إهانة .. لماذا تعطيها المال وأنا لم أبدأ بالعمل بعد ؟

- إنه حقك وحق أخوتك .

- عليك أن تعلم بأنني أكره أن المح الشـفقة في وجوه الآخرين ؛ إننا راضون تماماً عن حياتنا .

- لم أقصد الإهانة كنت أظنها تحتاج المبلغ .

- كنت أنوي الذهاب إليها غدا ؛ لأرســم البســمة على وجهها ، وأقدم لها راتبي الشــهري ؛ فأختي ســارة مريضــة جداً ، وقد عجزت أمي عن معالجتها في المستشفيات الحكومية و ..

- مم تعاني أختك ؟

- قال الطبيب بأنها تعاني من مشــكلة في الرئة ، البلغم يغطيها تماماً ، أقلق حياتها كثيراً ، عندما أراها تعاني من نوبات سعال حادة ، لا أظنها إلا مفارقة الحياة .

- اطمئني ستشفى بإذن الله .

تلفت سامر من حوله فسألته :

- أتبحث عن شيء ؟

- أبحث عن الخادمة فأنا لم أرها حتى الآن .

- لا أدري فربما لم تحضر بعد أخبرني أهي شابة ؟

فاجئه ســؤالها فوارت وجهها عنه ، كما لو أنها ندمت على طرح الســؤال ، أعجبه ذلك اللؤم الذي تحمله في عينيها ، فكر قليلاً قبل أن يجيبها على سؤالها :

- أجل إنها شابة تخطت الخامسة والأربعين من العمر ، هى أرملة .

أضــحكتها إجابته الناعمة ، فأيقن تماماً بأن ســؤالها إن دلَّ على شيء فهو يدل على غيرتها عليه ..

- هل أساعدك بشيء ؟

تغيرت ملامحه ، وأصــبح ينظر إليها بطريقة مختلفة وغاضــبة ، ربما لا يريدها أن تصــنع من نفســها خادمته ، يعلم بأنها لم تخلق لكي تكون إلا ممرضة ، ولكنه أراد أن يتذوق قهوتها ... فقال لها :

- كنت أريد فنجان قهوة .

وجدت نفسها مجبرة على أن تصنع من نفسها خادمته ، دون أن تضع وزناً لكرامتها وهيبتها أمامه ، فقالت له :

- أنا سأصنع لك القهوة .

- حسناً سألقي نظرة على أمي ريثما تنهي صنع القهوة .

غادر المكان فبقيت تراقبه حتى غيبه الباب ، وجدت نفســها وحيدة في الصــالون الرحب الذي ملأته اللوحات الفنية المختلفة والصـور الفوتوغرافية والتحف الفخمة و الأثاث الأنيق ، تأملت البيانو الذي أخذ لنفســه المكان الأرحب في الصـالون ، فبدا الصـالون كلوحة فنية رائعة الصــنع ، ثم ســارت متثاقلة إلى المطبخ كما لو أنها شــعرت بالندم على العرض الذي قدمته له .

جلس إلى جانبها بحزن ، حمل يدها المطروحة على السريـر ، وقبلها بإجلال ، بكى ووضـع وجهه بين كفيه ، تحول بلحظات إلى طفل صـغير يحن إلى حضـن أمه وحنانها .. ولكن متى ؟ ليتها تشـعر به وهو إلى جانبها ولكن هيهات ! سرقته سـلام من الجو الذي وضـع نفسـه فيه حين دخلت الغرفة ومعها القهوة ، نظر إليها ومسح دموعه التي هطلت من مقلتيه ، وطلب منها أن تجلس ، اقتربت منه وأعطته فنجانه ، ثم جلست على الكرسي المقابل للسرير أصبحا يراقبانها معا ، وهى تغط في سـبات نومٍ عميق ، ينظر إلى وجهها الملائكي وإلى قلبها الذي ينبض بصعوبة وصدرها الذي يعلو ويهبط ، كادا يسمعان حشرجة أنفاسها ، كلاهما يعلمان بأنها تنتظر الموت ، ومع ذلك مازالت حية ، ومازال ابنها سـعيداً لوجود ممرضـة إلى جانبها بل إلى جانبهما معاً ، وجودها يصبره ويخفف عنه وطأة أحزانه .

" راوية أمه "

ينظر إليها يتأمل هبوط صـدرها وعلوه ، يشـعر بأن أعصـابها مسـتعدة تماماً لخوض معركة الرحيل إلى الأبد ، حالتها الصحية تسـوء يوماً بعد يوم ؛ فالجلسـات الفيزيائية لم تعد تجدي نفعاً فالكبر على ما يبدو عبر أعضـائها حتى أصـبحت هشـة كعود الكبريت .. هو وحده من

يعلم سـبب ما هي عليه ، يتعذب من أجلها ويتمنى لها بينه وبين نفسـه الراحة الأبدية ، سـلام تراقبه وهو يجلس قبالتها والحزن يأكل بعضـه ، وقد فكرت بينها وبين نفســها بالموت الرحيم الذي أصــبح يشــيع في بعض المجتمعات ذلك الموت الذي يخفف من عـذابات المريض ، تنظر إليه تشـفق لحاله ، ومع ذلك عادت إلى نفسـها ، ولعنت تفكيرها واســتبعدت تلك الفكرة تماماً ، وأيقنت بأن وجود الخالق عز وجل لا مكـان للموت الرحيم لا يهم أن كـان الموت الرحيم يريح المريض ويخفف آلامه ؛ فكل شيء في هذه الحياة يســير حســب إرادة الله عز وجل ، كيف تفكر بإزهاق روح إنســان ربما شــاء الله أن يكتب له حياة جديدة ، وما أدراهم البشر بما يمكن أن يصــنعه القدر ؟ ممددة فوق سريرها كجثة هامدة ، وعبوة الأكسـجين تقوم بإنعاشـها ؛ لتبث الحياة فيها علها تنهض وتتابع حياتها ككل البشر ، جلس إلى جانبها مطولاً ، وصرخ في أعماقه :

- لماذا ترفضـين سـماعي يا أمي ؟ لماذا ترفضـين مسـامحتي وأنا طفلك المدلل ؟

وفكر بينه وبين نفسه وابتسامة ساخرة تعلو وجهه ، أما زال يظن نفســه طفلاً مدللاً ؟ ألم يتخط مرحلة الفطام بعد وهو الذي أشـبعته

الشهرة غروراً ؟ ألم يكبر بعد وقد أصبح في نظر الجميع الفنان القدير .. نجاحه وفنه وثقته بنفسه وشهرته ... كل هذا لا يساعد أمه على استعادة صحتها ، كانت سلام تقف في زاوية الغرفة تراقبه ، وهو يطلب المغفرة من أمه ، وهي تصغي إليهما ، وتساءل الاثنان معاً :

- ما معنى أن تنظر إليهما ثم تلتفت إلى ابنها ، وتحدثه بعينيها اللتين غرقتا في وجهها.. ثم تنظر إليها وتبتسم ابتسامة كما لو أنها تخرج من قلب الموت ، كان على أمه أن تعلم بأنه برع في التمثيل فقط ولم يبرع في فن الإيماء .. يجهل ماذا تعني تلك النظرات ... أمعقول ألا يستطيع قراءة ما بين السطور ؟ كيف يقرأ ما بين السطور؟ تأمل أمه كثيراً قبل أن يطلب منها أن توضح أمر نظراتها لكليهما :

- أمي لا تحدثيني بالألغاز ، أفصحي أمي تكلمي ما عدت أطيق صبراً ، وما عادت عيناك تجيدان فن الحديث كما في السابق أمي ، هل وجود سلام إلى جانبك يساعدك على العيش ؟ أعرف بأنها تفعل ما بوسعها لمساعدتك ، ولكني مازلت أراكِ ترفضين الحياة ؟ أتريدين الرحيل إلى العالم الآخر قبل أن تنطقي بكلمة وداع واحدة تطفئ النار التي اندلعت في صدري ؟

أصبح أكثر ما يسعدها أثناء وجودها في المنزل هو أنها صنعت نفسها راوية لأمه المريضة ، ليس أحلى من تلك المهنة إن كانت تسعد المرضى وفاقدي البصر ، تجلس إلى جانبها على السرير كما لو أنها تجلس مع طفلتها ؛ لتسرد لها حكاية علي بابا والأربعين حرامي كل ليلة.. القصة اختلفت هي نفسها أصبحت تتخيل بأنها تجلس مع أمها ، وهي تحمل بين يديها كتاباً تطلعها عليه ، فكل ليلة تختار لها بعض الصفحات ... تسمعها بشغف و تسعد كثيراً ؛ لأنها تحكي لها حكاية شيقة مطولة وممتعة كل ليلة.. ربما جعلها ذلك الإصغاء تعود إلى سنوات طويلة عندما كانت أمها في الماضي تسرد لها قصة كل ليلة .. تشعر به وهو خارج من الغرفة ليمر من أمام الباب ثم يختفي ، تسمع وقع خطواته وكل تحركاته حتى هو أصبح يشعر بمتعة عظيمة ؛ لأنه يصغي إلى سردها الطويل للقصة ، أخبرها ذات يوم بأنه يعشق أسلوبها الروائي الذي تتبعه ، فيجد نفسه مضطراً للبقاء في الصالون كل مساء كي يسمعها بشغف .

أصبحت تشعر للحظة من اللحظات بأن أمه لشدة إعجابها بما تقرأ لها ، ولكثرة ما تنال من حب ورعاية ستنهض من رقادها وتتكلم معها ، وتأخذها بين ذراعيها ، وتشكرها وربما تسامح ابنها علنا ؛ لأنها

تظن بأنه اقترف شـيئا ما سـبب تلك المأسـاة لأمه ، ابنها الذي انجرف خلف تيار الشـــهرة وتجاهل أمرها لبعض الوقت ، بدت أمه ســـعيدة لوجود ســـلام إلى جانبها تخفف عنها حزنها وآلامها حتى أصـــبحت لا تســـتطيع الابتعاد عنها فإن زارت أمها وإخوتها ينفطر قلبها وسرعان ما تفكر بالعودة إليها ، وعندما تعود إليها تنفرج أســـاريرها وترتســـم على وجهها ابتسامة عريضة تمد لها يدها فتشعر بالفرح والابتهاج الشديدين كما لو أنها طفلة تفرح بثياب العيد ، حتى ســـامر اعتاد على وجودها ، وأصـبح يطلب منها مشـاركته في جلسـاته ويشربان القهوة معاً وأحياناً تسـاعده بقراءة السـيناريو وتأخذ دور البطولة ، وما هي إلا لحظات حتى يرحلان معاً إلى عالم الفن والنجومية ، أصـبح يصرـ دائماً على أن تلقي نظرات مطولة على أعماله قبل أن ينجزها ، تناقشـه في مواضـيع أدواره فيشـــعرها بالفخر كونها تأخذ الدور الأكبر فيجعلها بالإضـــافة إلى دور البطلة الذي تحفظه قبل الممثلة نفســـها تســـاعده على الحفظ ، وفي أكثر الأحيان ترســـم له شـــخصـــيات جديدة ، وتخرج عن النص تلعب لعبتها كما لو أنها الكاتبة ، تلفت انتباهه لثغرات تكون غائبة عنه .. سألها ذات مساء :

- لمَ لا تكتبين ؟

- أنا .. أنا أكتب ؟

- لم لا إن كنت تجيدين فن الرسم على الورق ؟

تساءلت بينها وبين نفسها :

- إلى أين يريد الوصول ؟ هي نفسها لا تعرف ماذا يريد ؟

ينظران إلى بعضــهما ، ويفكران ملياً بما يعتلج صــدرهما ، فربما كان كلاهما متحابين ، هي تعلم بأنها تحبه ، ولكنها غير واثقة بأنه يبادلها نفس الشــعور ، فهي الفتاة الفقيرة والمعدومة ولكن الســؤال ما زال يلح على رأسها باستمرار : إن لم يكن يبادلها نفس الشعور ، فلماذا يحب تواجدها معه ؟

إلى أين تأخذها أوهامها ؟ فهو لا يملك إلا أن يشــتهيها فقط لكي يفرغ من خلالها كل طاقاته العاطفية ، تسحره نظراتها ، ولكنه يخشى التورط بعلاقة يجهل نتائجها ، كيف يتورط معها وقد عاهدها أن تكون أخته ؟ لا يريد منها شــيئاً إلا أن تمنحه ما تمنحه الفتاة المحبة لرجلها المفضل وبدون أي مقابل ، يعلم بأن تفكيره سوقي ، وخارج عن طبيعته كرجل شرقي يعتز بمبادئ وأخلاق تربى عليها منذ الصغر ، ولكنه رجل والرجل يحتاج في وقت من الأوقات لامرأة ، يفكر في مصيره ومصيرها معه فإن كان يريدها لنفسه أين سيضع رجولته ؟

لا يجب أن ينجرف خلف تفكيره ، ويصـــبح رجلاً مســـتبداً أنانياً شهوانياً كونه صاحب سلطة لا يحق له أن يتمناها لنفسه دون مطالبتها بحقوقها ، وهو يعلم تماماً مقدار الحب الذي تحمله له في قلبها ، هو يعلم بأنها نشـــأت في ذلك العالم الغريب عنه ، وفي ذلك الحي الحقير وتلك الصـــومعة القذرة التي لا تصـــلح في نظره إلا لاحتواء الحيوانات ...أو صومعة البؤساء كما أطلق عليها..

سـلام تحفظ ما كانت ترددده أمها على مسـامعها : (الفتاة كقطعة الزجاج فإن وقعت وتحطمت انتهى أمرها وكالزهرة إن قطفها أحدهم ذبلت وتساقطت أوراقها) (كالمصحف الذي لا يمسه إلا المطهرون)

لا يريد أن ينصرـــف خلف رغباته ويفكر بأذيتها ليصـــبح نقطة سـوداء ترسـم في الصـفحة الأولى من كتاب حياتها ، يتمنى أن تتزوج من يستحقها ... ولكنه يتساءل ومن الذي يستحقها غيره ؟

وهو الذي تعود منذ نعومة أظفاره بأن الذي في منزله ملكه وحده ، ولا ينازعه فيه منازع ، ولا حتى أخته الوحيدة ، مازالت في داخله أسـئلة كثيرة يجهل الإجابة عليها ؛ فأنانيته سرقت منه إنسـانيته لبعض الوقت ، كما لو أن أفكاره أرادت أن تأخذ لنفسها قسطاً من الراحة .

" وخلعت ثوبها الأسود "

على الرغم من أن الحالة المادية لعائلتها قد تحســنت تماماً ، إلا أن التحســن جاء متأخراً بعض الشيــء ، كانوا قد تخطو ا محنة الألم والجوع والحرمان ، إلا أن القدر دوما وأبدا صاحب الكلمة العليا ..

ماتت سارة أختها الصغرى حين وصلت النقود إلى يد أمها ، كان الأوان قد فات لأنها كانت تعاني التهابا مزمناً في الرئتين ، وكان العلاج آنذاك مكلفاً بالنسبة لعائلة معدومة ظلت في المستشفى لأيام طويلة ، والشيــء الوحيد الذي كان يســاعدها على البقاء حية هو الأكســجين ، كانت في شــبه غيبوبة ، الجميع تعذبوا لأجلها .. كانت أمها تراقبها ، وهي تتنفس بصعوبة وصدرها يعلو ويهبط بصعوبة فائقة أيضاً .. وهذا ما كان يزيد من آلام الأم .. قررت أن تكون رحيمة معها ؛ لتخفف عنها الألم ، وكان القرار صعباً والمحنة أصبحت أصعب ، اقتربت من ابنتها وقبلتها قبل أن تقوم بنزع أنبوب الأكسجين عنها ؛ لتتركها ترحل بسلام ، أصبحت بلحظات في عالم آخر ، كانت تعلم بأن الأمل بشفائها شبه معدوم على حد قول الطبيب ، والمصــاريف لا ترحم ؛ فالتنفس الاصطناعي مكلف للغاية .. فأنهت حياة سارة ليعيش باقي أخوتها ..

هذا ظلم ، لقد ارتكبت أمها جريمة يعاقب عليها القانون ، فإن علمت الجهات المختصة بذلك لن تستطيع الفرار من وجه العدالة .. حتى وإن استطاعت الفرار .. فماذا عن عدالة السماء ؟

قالتها بصمت : إنها إرادة الله .

دائماً نفعل الشر بأيدينا ونضع اللوم على القدر !

حزن لحزنها ، ولكم تمنى أن يضمها إليه ؛ لينسيا معاً هموم الدنيا ، فعندما تركت سلام منزله أضافت على أمه حزناً أخر ، لم يكن يدري إن كانت حزينة على موت سارة أم على رحيل سلام ، وهي التي اعتادت على وجودها ، كان يجدها تبكي بصمت وترفض حتى الإصغاء لحديثه ، تنفر حتى من لمسة يده ليدها ، وكأنه عدوها ..

- ما بكِ يا أمي ؟ ألا يمكن أن تصفحي عني ولو من خلال نظراتك ؟ مازلت ألمح الغضب في عينيك ، أعرف بأنك تكرهينني ؛ لأنني أردتها هى دون سواها ، لأنني هددتكِ بأنني سأتزوجها سواء رضيت أم رفضت ، لأنني تعمدت إغضابك متخطياً كل احترامي لك وأنت أمي ، صفعتني يومها ومازال رنين صفعتك يدوي بأذني وأنت تعلمين كم أحبها ، ليس الذنب ذنبي فأنت من أنشأتني مدللا و ..

فوجئ بســـلام تدخل عليه الغرفة بعد مرور فترة الحداد ، وهي تحمل بين يديها صـينية عليها فنجان قهوة مع طبق من الحسـاء ، نظر إليها ونهض مرعوبا من مظهرها الجديد ، لاحظ بأنها تغيرت تماما ، ولبســت وجهاً آخر كانت قد ســمعته يتحدث عن فتاته ، وعن ســبب مرض أمه ، ولم يكن يحبها أن تعرف ، قالت له :

- هل رأيت شبحاً ؟

لم يجبها على ســـؤالها ، فاقتربت منه تقدم له القهوة ، واتجهت إلى أمه لتجلس قبالتها على السرير ، وكانت تسـتعد لرفع رأسـها وسـنده بوسادة ؛ لكي تساعدها على تناول الحساء عندما سألها :

- لماذا ترتدين اللون الأسود ؟

- تعلم بأن أختي ماتت منذ أيام ؟

- وهل يعيدها ثوبك الأسود إلى الحياة ؟

- أحب هذا اللون .

- أنا معك لأنه لون جميل ، ويليق بك كثيراً يتناســـب تماماً مع لون بشرتك العاجي ، ومع ذلك لا أحبه .

- كما لو أنك تغازلني .

- تســتحقين أن يغازلك الآخرون ، ســلام لا أحب ان أرآكِ مغرقة نفسك بالحزن ؛ فهذا الثوب سيذكرك بها على الدوام ، أريدك أن تنسي.

.

- لن أنســـها ما حييت رحلت إلى الجنة وقد كانت تعيش في الجحيم ، حزينة من أجلها لأنها لم تعش كغيرها من الأطفال ، ولم تعرف الفرح ولم تحصـــل على دمية حتى كانت رحمها الله تطالب أمي على الدوام بشراء دمية لها ، لم تكن تعرف ماذا تعني طفولتها بالنسبة لها ؛ لأنها عاشت في منزل أكلت جدرانه الرطوبة مع أناس بائسين .

أيقن ســـامر من يومها بأنها تكره عالمها الذي نشـــأت فيه ، ربما أحس بأنها تنقم على والدتها لأنها تزوجت والدها وهما فقيران دون أن يضعا في مخططات حياتها ما يمكن أن يرسمه لهما المستقبل ، فهما لم يعرفا مطلقاً بأن الفقر يولد الفقر حتى أن وجد الحب ؛ الحب وحده لا يبني قصوراً ولا ينجب مالاً يفخر به الأبناء

كانت نظراته واضحة تماماً كما لو أنه أشفق عليها وهذا ما كانت لا تريده ، غنية هى في أحلامها وطموحاتها وبالمســـتقبل الذي ترســـمه لنفسها ، بسببها استطاع أخوها البقاء في المدرسة واستطاعت أختها

الاســـتمرار في دراســـتها بعد أن قررت أمها إخراجها من المدرســـة لكي تساعد أختها في مصاريف المنزل

رفضـت سـلام وبإصرار أن تترك أختها دراسـتها ، كل هذا ومازالت تريد لعائلتها الأفضل دون أن تفكر بنفسها وهى الفتاة الشابة والطموحة ، كانت تضايقها نصائحه التي كانت تنهال على مسامعها على الدوام :

- إلى متى تضـــحين من أجل أخوتك ؟ ألا يحق لكِ أن تحلمي وتحققي كل ما تتمنيه لنفسك كفتاة شابة وجميلة ؟

- وماذا يمكن أن أتمنى طالما أنا مسئولة عنهم ؟

- أنت تخسرين عمرك ، تنسـين أمر مسـتقبلك ، يجب أن تعلمي بأن أخوتك عندما ينالون مبتغاهم لن يســألوا عنك ، ســينســـون أمر تضحيتك صدقيني لا يستحقون كل ما تفعلينه لأجلهم .

- أنا لا أريد للتاريـخ أن يعيد نفسـه علىَّ أخوتي يحققون ما عجزت عن تحقيقه ، علهم يخرجون من ذلك الحي الحقير إلى حيث يجدون أنفسهم ، وساعتها سأخرج معهم .

- تحلمين كثيراً يا سلام .

كان يســـعدها كونها أصـــبحت صـــديقته ، فهي ما تزال تكتم بداخلها مشـــاعرها الحقيقية اتجاهه ، ليس من حقها إطلاعه على أمر

ربما يخجلها أو يخجله وربما يضطره الأمر لكي يطلب منها بلباقة التنحي عن وظيفتها كممرضة لأمه كي تعود إلى عالمها من جديد ، كانت تريد أن تبقى خارجة عن واقعها ، ومن كل قلبها تمنت طول البقاء لأمه المريضة ؛ كي تبقى إلى جانبه ولكي لا تضطر آسفة للخروج من منزله الذي جعلها تشـــعر بالأمان ، هو لا يدري بأن حبها له أخذها إلى البعيد ، أذهب لبها إلى حيث التوهان ، أحرقها بنيرانه التي حاولت مراراً إخمادها بدون جدوى ، وطالما ســـألت نفســـها والحب العظيم يتأجج داخل أعماقها ويزداد تأججه يوماً بعد يوم .. ماذا تراها فاعلة بذلك الحب ؟ قررت أن تنسى أحزانها لتلبس شخصية أخرى ، ومن أجل حبه خلعت ثوبها الأسود .

" وبرقت عيناه"

أبى النوم في تلك الليلة إلا أن يجافي عينيها ، مازالت ساهرة وقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة ليلاً

، في كل ليلة تشـــعر به يفتح الباب ليلقي على أمه نظرة ثم يغلقه بهدوء كي لا يزعجها ، دائماً يظنها نائمة كيف له أن يشـــعر بأنها مســتيقظة ، وهى تنام إلى الجانب الآخر من السرير على فراش بسيط افترشـــته على الأرض ، فراش رقيق ربما لا يليق إلا بالخادمات ، عرض

عليها مراراً أن تختار لنفســـها سريراً أو حتى أريكة كبيرة كي تنام عليها وتشـــعر بالراحة ، إلا أنها رفضـــت فوجودها في منزله ليس دائماً ، وبالتالي لا يســـتحق نومها على الأرض كل هذا الاهتمام ، كان الليل مملاً حتى ظنته لن يعود إلى المنزل ، وهى التي اعتادت مشـاركته شرب القهوة والحديث لســـاعات طويلة ، لم تفكر ذات يوم بتغيير مظهرها الخارجي ولم تحاول جذب انتباهه ؛ لأنها فوق ذلك إلا أنها كغيرها من الفتيات تحب الوقوف للحظات أمام المرأة لتلقي على وجهها نظرة ، فاجأها بفتح الباب وقد كانت تقف أمام المرأة ، وأطلقت سراح شـعرها الطويل فانطلق على كتفيها جميلاً ناعماً ، لم تكن تدري لماذا كانت تبقيه سجيناً طوال النهار لتطلق سراحه ليلاً

، وقفت أمام المرأة تلمســـت بشرـة وجهها ، ونظرت إلى عينيها بعمق ، ورحلت بلحظات إلى عالمها الســـحري الذي لا تملك الرحيل إليه إلا ليلاً وبخلســة عن الجميع ، دائماً تســد عليه كل وســائل الإغراء التي تســتعملها الفتيات عادة لاســتمالة الرجال ، وهي بعيدة عن كل هذا لم يعرف يوماً بأن شـــعرها طويلاً فهي تعقصـــه إلى مؤخرة رأســـها على الدوام كامرأة عجوز ، ما أن رأته يفتح الباب حتى أصـــابها الفزع وتدفق الاحمرار إلى وجهها ، رشـــقته بنظرات خائفة مرتعشـــة ، وابتعدت عن

المرأة بطريقة مهذبة كي لا تثير ريبته ، وراحت تنظر إلى أمه التي كانت تغط في سبات نوم عميق ، بينما ظل واقفاً ، والوجوم يعلو وجهه تماماً ، للمرة الأولى تجده ينظر إليها نظرة تختلف عن ســـابقاتها ، لأول مرة تســـمرت قدماه أمامها دون أن يقدم إليها تبريراً ، فهو يعلم تماماً بأنه أخطأ حين فتح الباب دون سابق إنذار ينبئها بوصوله إلى المنزل

، لم يحرك ســـاكناً وهى تشـــعر بالإحراج ، نظرت إليه من جديد لكي يرأف بحال خجلها ، ونظراتها الخائفة ويتكرم عليها بالخروج من غرفة أمه ، ولكنه لم يفعل ، أحست فجأة بأن عيونهما تتلاقى عن قرب ولأول مرة ، تأملها بعمق فأحست بجفاف في حلقها ، أرادت أن تسرقه من تأملاته التي أخجلتها وأربكتها ، فسألته وصوتها يرتجف :

- أتريد شيئاً ؟

قال ومازال يحدق بها والوجوم يعتلي وجهه :

- أسف لقد أردت الاطمئنان على أمي .

- أنها بخير لقد أخذت دوائها ونامت .

- كيف حالها اليوم ؟

- كما كانت بالأمس .

أضحكه جوابها الناعم

- وكيف كانت بالأمس ؟

- إنها كما هي لم تتحسن مذ خرجت من المشفى ، ولكنها تحرك يديها وتمســـك يدي وكأنها تشـــكرني وتبتســـم ، أحس بأنها تقول لي أحبك..أمك بدأت تحبني تخيل .

- أين الخادمة ؟

- تعلم بأنها لا تقيم هنا .

- لا بد أنك تريد أن أصنع لك القهوة .

- لا أريد أن أتعبك معي .

- سأصنع القهوة حالا.

اتجهت نحوه ونظرت إليه وإذا به مازال واقفاً قبالة الباب ، شـعر باقترابها منه حتى أنه يشـــم رائحة عطرها ، ويحس بقلبها الذي يخفق بشـدة .. ها هو يقف أمامها وجهاً لوجه ، رغم أنه يعلم بأنها ومن خلال نظراتها ترجوه الابتعاد عن الباب كي تجد لنفســـها منفذاً للهروب ، أحس تماماً بأنها لم تصـــنع من نفســـها خادمة إلا لكي تهرب من حرارة أنفاســـه بل من حرارة ذلك الموقف الذي وضـــعها فيه ، يعلم بأنها تثق به وتحترمه إلا أنها على الدوام تخشىـــ أن يكون الشـــيطان ثالثهما ، بأعماقه أرادها أن تخرج رغم وقوفه ، لا لشيـــء فقط لكي تحتك به

خجلة من تحديقه المســـتمر بها ، ومن نظراته الغريبة تجرأ وهمس لها بطريقة شاعرية :

- تسحرينني .. أعشق هذا البريق في عينيك .

تساءلت بأعماقها :

- ترى هل يؤدي دوراً مسرـــحياً ؟ ومع ذلك خافت من مغازلته تلك ، وكاد قلبها يقفز من بين أضلعها .

تجرأ ولمس شـعرها بأطراف أصـابعه ، وهي ما تزال واقفة خجلة لا تحرك سـاكناً ، تسـمرت قدماها تماماً بل نسـيت نفسـها حتى توهمت بأنها تســاعده على أداء دوره المسرـحي الرومانسي ؛ لهذا ظلت واقفة غير معترضــة على تلك الملامســة اللذيذة ، كل ما فعلته هو النظر إليه لتلمس ذلك البريق الساحر الذي يملأ عينيه .. همس لها من جديد :

- بودي لو ألتهم هذا البريق بلمسة من أصابعي .

أصابها الرعب ، وأخجلتها كلماته الساحرة ، أصبحت ترتعش كما لو أنها أصـــيبت بالبرد ، بينما أحســـت بيده التي انزلقت فجأة تلامس وجهها ، لقد شـــعر بأن خطوط رأســـه الدماغية قد توزعت جميعها ، واستقرت في يده المرتعشة ، ثم أخذ يسأل نفسه :

- ماذا به ؟ لماذا يشـــعر بذلك الخفقان العجيب في قلبه ؟ لماذا ينتابه ذلك الشعور الخفي الذي يسبق أي قصة حب ؟

أصـــبحت تلمس حبه لها من خلال نظراته الملتهبة ولمســـاته المترددة ، وإلا ما تجرأ وهمس لها بتلك الكلمات ولا لمس ووجهها ، خافت من أن يزداد المشهد رومانسية ، فحملت يده بطريقة مهذبة لم تؤذِ شـــعوره ، وأنزلتها عن وجهها ظلت تمســـكها لوهلة ، تأملته بنظرة خاطفة ، خائفة مرتعشة ثم لم تدر كيف وجدت لنفسها مكاناً للعبور ، خرجت مسرـــعة من الغرفة ولم تقل كلمة واحدة ، خافت أن يتوقف قلبها فتوقفت ، وأســـندت ظهرها إلى الحائط ، ونظرت من جديد إلى ما يفعله داخل الغرفة دون أن يلحظ وجودها ، رأته يقترب من المرآة ، ويلمسها بأصابعه عله يجد صورتها مرسومة عليها بل ملتصقة بها إلى حد الســـحر ، يتخيل بأنه يلمس شـــعرها وخدها ، وربما خيل إليه بأنه يقبلها ، ويشعر بانفعالات خفية تتسرب إلى أعماقه فماذا يريد أكثر من هذا ؟ أيقن بأنه لا يلمس إلا السرـــاب بل زجاج سرعان ما يتحطم ويتحول إلى شظايا ، ترك المرآة واتجه إلى سرير أمه ، وجلس إلى جانبها يخاطبها وهي نائمة ، أصـــبح لا يملك إلا محادثتها دون أن تحس بما

يعتلج صدره ، يخدرها الدواء تماماً فترحل بعد أخذه إلى عالم أخر يشبه عالمه ، لا ضير إن كان التخدير يخفف عنها آلامها خاطبها بحزن :

- أمي .. أصـــبحت أحتاج لوجودها إلى جانبي في حياتي أحتاجها وأريدك ، هل تسمعينني ؟ إن كنت تسمعين ما أقوله بماذا تنصحينني ؟ آه يا أماه ! كيف تنصحين ابنا لا يفقه معنى النصح ، وأنت تعيشين في عالم غير عالمه ؟ أحبها يا أمي ولا أســتطيع الارتباط بها .. تعلمين لماذا ؟ ســيحتقرني أصــدقائي وينبذني المجتمع ؛ إنها من عالم أخر يختلف كثيراً عن عالمنا ، من بيئة أخرى لا تمت لبيئتي بصـــلة ، بعيدة عني كل البعد ، أرشديني يا أماه أحتاج لمشورتك .

سمعته وهي جاهلة من تكون تلك المرأة التي لا يريد الارتباط بها خوفا من كلام الناس ، إنها تغار منها ، ظنت لبعض الوقت بأنه يقصدها ، ولكن هيهات أن يحبها وعالمه الســحري مليء بالنســاء الجميلات ، طردت تلك الأفكار من رأســها تماماً ، وتســاءلت بينها وبين نفســها بسخرية :

- من تكون هى لكي يفكر بها أو لكي تغار من وجود امرأة أخرى في حياته ؟ ليس من حقها أن تنظر مجرد النظر إليه .. إنها مجنونة دون شك

نسيت أمر الغيرة ، واتجهت للمطبخ لتصنع من نفسها خادمته ، وتعد له قهوته ، لم تمر سوى دقائق حتى أنهت إعداد القهوة ، خرجت من المطبخ مثقلة القدمين ، لم تلحظ بأنها ساوت نفسها به ، وأعدت لنفسها فنجاناً أخر لتشاركه جلسته وربما أحاديثه .. قبل أن يلحظ دخولها إلى الغرفة ، سمعته يرددها على مسامع أمه :

- أحتاج لمشورتك يا أمي .

سألته :

- فيم تحتاج مشورتها ؟

قال دون أن ينظر إليها :

- أشياء كثير . أه يا سلام كم أحتاجها إلى جانبي ، ولكن هيهات فكيف تسمعني وهي في شبه غيبوبة ؟

- ثق بأنها تسمعك .

- تظنين هذا ؟

- أنا متأكدة أنها تشعر تماما بما تعانيه .

تأمل أمه مطولاً وحمل يدها يقبلها ، ثم رفع الغطاء على صدرها ، وأخرج من صدره تنهيدة ، عذبت سلام كثيراً ، لكم تمنت مساعدته والتخفيف عنه ، نظر إلى القهوة التي تحملها وقال لها :

- إذا سمحت سنشرب القهوة في الصالون ؛ لندع أمي ترقد بسلام .

خرجت من الغرفة وخرج خلفها ، وكانت ما تزال تقف عندما جلس على الأريكة ، وطلب منها الجلوس

اقتربت منه لتقدم له فنجان قهوته ، ثم وضعت الصينية على الطاولة الصغيرة ، وأخذت فنجانها وجلست على الأريكة المقابلة لأريكته ، وأخذت ترتشف قهوتها بهدوء ، التفتت إليه لتجده مازال يتأملها ، ثم نظر إلى شعرها الذي عاد إلى سجنه من جديد سألها :

- شعرك جميل فلماذا تعقصينه دائماً إلى مؤخرة رأسك ؟

- أمي تقول بأن الشعر الجميل يلفت الأنظار ، وإنه وسيلة للإغراء ، ومن خلاله تستميل الفتاة الرجل الذي تحب ، وأن الرجل أيضا يعشق المرأة من خلال شعرها وعينيها .

ابتسم في هدوء وقال :

- هل تعجبك حياتنا ؟

- لا أدري بالضبط كنت دائماً أجد بأن الأغنياء منشغلون تماماً عنا نحن الفقراء .

وضـــع فنجانه على الطاولة ، وتنحى قليلا من مكانه فوجدت نفسـها مجبرة على ترك فنجانها هي الأخرى ، كانت على وشـك النهوض عنـدمـا لمحتـه يقترب منهـا ، ويجلس إلى جـانبهـا ، ويحمـل يـدهـا ، اســـتغربت موقفه وخافت من يده التي تملكت يدها تماماً ، خافت من ذلك الضـغط الذي جعلها تشـعر بأنها سـتشـهد نهايتها ، فوجئت عندما سمعته يسألها ، ثم بحركة منه حرر شعرها من سجنه :

- شعرك جميل اتركيه حرا طليقا .. ألا تفكرين بالحب ؟

أجابته بكلمات متقطعة مرتجفة خائفة :

- نحن الفقراء لا يحق لنـا مجرد التفكير بتلـك الأمور ، نحتـاج للتعب كي نحصـــل على رغيف الخبز يوماً بيوم ؛ فالحب لا مكان له في قلوبنا .

- تظلمين نفسك كثيراً .

- كيف أفكر بنفسيــ وأحب ، وإخوتي في حاجة إلىَّ أكثر من ذلك الرجل الذي يمكن أن أمنحه حبي ؟

- تنسين بأنك إنسانة .

- ومن هذا الذي يحب فتاة فقيرة ؟

لم يجبها عن ســـؤالها بل اكتفى بتأملها ، وهى على يقين بأنها أصابت الهدف ، لكم تتمنى أن يعترف لها بحبه ، وأن يشعرها باهتمامه ، ولكنه قرر أن يصــمت ؛ فكبرياؤه أقوى من أن تهزمه عواطفه ، مازال يحمل يدها ، ومازالت تشـــعر بالارتعاش في جســـدها ، وبرودة يدها جعلته يحس بمشـــاعرها نحوه ، فوجئت حين رأته يرفع يدها إلى فمه ليقبلها ، حررتها من يده بصــعوبة ، قالت وهى تســحب يدها من بين أصابعه :

- لا تنس بأنني خادمتك ؟

- بل أنت ممرضة أمي .

- وما الفارق ؟ أنا ممرضـــة معدمة فقيرة ، وأنت فنان ، نحن بعيدان بعد السماء عن الأرض .

- ولكنك إنسانة .

- في مجتمعنا تدهس حقوقنا كبشرـــ ، ونعامل كحثالة ووجودنا بينكم غير مستحب .

- أنت مخطئة يا سلام .

- بل أقول الحقيقة ، فأنتم الأثرياء تتفوقون علينا .

- وأنتم تستحقون الاحترام .

- أرجوك لا تحدثني عن المســـاواة ، فأنت تعرف من أكون وأين أعيش ، أنا لا استحق اهتمامك .

اقترب منها وشــعر بحرارة أنفاســها ، ثم حمل وجهها بين كفيه ، ورأى الخوف في عينيها ثم قال :

- أعرف من تكونين ، وأعرف أيضـا أنكِ تسـتحقين أن تنالي لقب سيدة مجتمع راقية .

أرادت أن تحرر وجهها منه ، ولكنها وجدت نفســها عاجزة تماماً ، وهو يظن بأنه يمارس حقه حين تقمص دور الرجل الذي يحق له أن يتملك كل شيء ، أحسـت بأنه سـيتخلى عن أخلاقه ، وينسى ـ أمر العهد الذي أخذه على نفسـه ، ويتخلى عن مبادئه لفترة قصيرة ويأخذ منها ما يشـــتهيه .. تلاقت عيونهما فأغراه ذلك الخوف المتأجج الذي ملأ عينيها ، أغرته تلك الشـــفاه القرمزية التي أصـــبحت تدعوه بإلحاح لتذوقها ، وربما لالتهامهما ثم .. ثم قبلها ..قبَّل تلك الشـفتين القرمزيتين ، كانت تريد أن تصرخ به :

- أيها الأحمق لستُ خادمتك ولستَ سيدي .

لم هذا الضعف أمام قوة ذراعيه ؟

هى نفسها لا تدري ؛ لأنها ما زالت أسيرة تحت ضغط ذلك الخدر اللذيذ الذي أخذها بلحظات إلى أحضان الخطيئة ، استيقظ سامر من غفلته حين أيقن بأنها إنسانة وتستحق الاحترام ، خاف أن تضعف أكثر وتتلاشى بين ذراعيه فتمنحه ما يريده بل أنه أحس بضعفها واستسلامها ، خاف من نفســـه عليها ، خاف من تماديه ، هو يحبها نعم ، ولكن الواقع يرفضــها ، يرفض بيئتها التي تنتمي إليها ، نظرت إليه بخوف ثم نهضـت متثاقلة دون أن تنبس ببنت شـفة ، واتجهت مهرولة إلى غرفة أمه ، ومازالت تشـــعر بأن نظراته ظلت تلاحقها حتى غيبها الباب الذي أغلقته خلفها ، وأســـندت ظهرها إليه ، فلمحت أمه التي على ما يبدو أيقظها صـوت الباب ، كيف تسـتيقظ من غيبوبتها هي الأخرى ؟ أكانت تحس بما يجري حولها ؟ هل عرفت بأن ابنها المدلل قبّل ممرضــتها ؟ هـل تعرف بـأنـه أخـافهـا وكادت تصـــبح ملكـه منـذ لحظـات قليلـة ؟ ابتســمت أمه ابتســامة مبللة بالألم ، ومدت لها يدها لكي تقترب منها ، سـارعت سـلام إليها وجلسـت إلى جانبها فوق السرير وأمسـكت يدها ، فأحســت بأنها تبارك تلك القبلة التي اختلســها ابنها منها عنوة ، أيقنت بأنها تريدها أن تصـبح له تحبه وتضـعف أمام رغباته سـعيدة لما حدث

على الرغم من أنها لم تكن تحب أن تؤخذ منها قبلة وبتلك الطريقة هذه المرة الأولى التي يقبلها فيها رجل ، وليس أي رجل ،

أنه الرجل الذي تحب ، أصـــبحت الأم بحالة كانت جديدة على ســـلام و قلبها يعلو ويهبط ليس ألماً بل إنها أرادت أن تقول لها شـــيئا عجز لسـانها عن قوله .. لماذا هي عاجزة عن الكلام ؟ ثم ما هذا الإصرار في عينيها ؟ ماذا تريد أن تقول لها ؟ تشـــد على يدها وتقربها منها ، تتحرك بطريقة غريبة كل هذا وسـلام لا تفهم مقصـد الأم .. رغم كل ما أحســت به إلا أنها ســعيدة ولا تدري لماذا إلا أنها مازالت تخاف من تلك اللحظات وذلك البريق الذي أصبح يلتهب في عينيه كلما نظر إليها !

" وتكلم القدر "

كان يمكنها أن تترك له منزله وعالمه وتعود إلى عالمها ، لتنسىـــ حلاوة تلك القبلة ، ولكي تهرب من تلك النظرات التي يرشـــقها بها كلما تلاقت عيونهما ، والتي كانت في أكثر الأحيان تنم عن شـــهوة مكبوتة داخل صدره رغم أنها سعيدة بذلك الإحساس إلا أنه يعذبها ؛ لأن سامر قد حنث بعهده وجعلها للحظة خليلة له

، أو أنه تمناها لنفسـه حتى وإن كان ذلك التمني مجرد نزوة عابرة ، ولكنها كما أرادت أن تكون ظلت لتأدية واجبها كممرضة فما زالت أمه تحتاج رعايتها .. دارت الأيام دورتها كما هو الحال في قاموس القدر ، ومازالت أمه على حالها ، لم تحرك أية جارحة من جوارحها ، لا تملك إلا أن تبتسم حين تراها ، وتضغط على يداها كلما جلست قبالتها كما لو أنها تحملها رسـالة تحفظها بداخلها ، وهو مازالت نجاحاته ترفعه أكثر فأكثر ، وتزيد غروره كما لو أن القدر يرفعه إلى الأعلى ، ويهبط بها إلى الأسـفل ليسـخر منها ، بدأت تكره ذلك الدور ، تكره وجودها في منزله ، تكره أن تكون فريسـة لنظراته الشـهوانية ، ومع ذلك واجبها المهني يحتم عليها البقاء تعلم بأن وجودها يزيد الأمر سوءا ؛ لأنها أن أسعدت أمه ستبقى بنظره تلك الخادمة التي تصنع له قهوته الصباحية ، وتقوم على رعايته وأمه ..

أصـبح يضـايقها ذلك الوضـع ، وأصـبحت تغار من نجاحاته المسـتمرة التي تجعله يكبر أكثر فأكثر ، وهى تعلم بأنه وكلما حقق انتصارا يبتعد عنها أميال ، إنه يعلم بأن الإنسان الذي يطلب العلا عليه أن يسهر الليالي ومع ذلك عندما نال العلا نسي واجباته تجاه أمه ومنزله وعالمه

حتى أنه أصبح يترك شئون المنزل على ممرضته ألم تصبح كذلك في نظره على الأقل ؟ فهي تمرض الاثنين معاً يظنها كذلك دون أن يضع في باله بأنها لم تخلق إلا لتكون ممرضة وليست مدبرة منزل

كان يستعد للسفر إلى دولة عربية من أجل تصوير مسلسله الجديد بعد أن درس السيناريو دراسة مفصلة وأطلع سلام عليه ، كانت تكره سفره ، وتكره وقوفه إلى جانب تلك الممثلة وجها لوجه في مسلسله الجديد

، تكره قربه منها ، وتفوقه عليها ، أجل إنها فنانة ويحق لها أن تقف إلى جانبه دائماً ، وهي ما تزال ممرضة أمه وتعيش في منزله كالخادمة .

فوجئت سلام بل أصيبت بالفزع والخوف الشديد عندما دخلت غرفتها ووجدتها على تلك الحال

لم تقربها بل راقبتها من بعيد ، وحين أيقنت بأنها النهاية هرعت إليه على الفور ، ودخلت إلى غرفته واقتحمتها دون استئذان ، وجدته مازال يحزم حقيبته ، ودون أن يرفع وجهه عن الحقيبة سألها :

- ماذا هناك ؟

لم تجبه ، ســـمعها تبكي ، أحس بالأمر ، فرفع رأســـه ليراها على ذلك الحال ، أيقن تماماً بأن أمه سلمت الروح إلى بارئها ، أخذها الموت دون أن تتحسن عام كامل مضى. على رقادها .. عاشته بالمرض والأدوية والعقاقير المنومة .. حاربت مرضـــها بقوة إرادتها وإيمانها ، ولكنها على ما يبدو ملت من كل شيء ورحلت إلى حيث الخلود الأعظم ، ها هى ترحل دون أن تشـــهد انتصـــاره الأخير ، غادرته قبل أن تلمح علامات الفرح والبهجة على وجهه ، نظر إليها وقد حار ماذا عليه أن يفعل تاه بلحظات عن واقعه وضـــعفت إرادته وانحطت عزيمته ، وأحس بأن أعضـــاءه قد شـــلت جميعها ، انهار وانفجر بركان عينيه دموعاً ، ترك حقيبته وهرول إلى غرفة أمه كتائهٍ مجنون ، كانت تلك المرة الأولى التي تراه فيها يبكي من أعماقه .. ثم وضع رأسه بين كفيه وصاح :

- يا الله ... يا الله ماذا أفعل ؟

أخذ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً ، وثم ألقى نظرة مطولة ، وتغير لون وجهه فتحول بلحظات إلى إنسان أخر جديد تماماً عليها.

ماتت قبل ان تسامحه ، خاف من موتها ، أفزعه سلطان الموت وجبروته ، أما ســلام جلســت إلى جانبها وبكتها بمرارة ؛ فهي المرأة التي أحبتها كأمها ، ها هي تعيد إلى ذاكرتها مشـهداً طالما أحبته ، تمنت له أن

يتحقق ، مازالت تذكر حين جلست إلى جانبها يوماً ، وأخذت تشد على يدها المطروحة فوق السرير في نفس الوقت دخل سامر الغرفة ، فرمقت كليهما بنظرات حنونة صادقة لم يفهما معناها..

اقترب من أمه يومها كما لو أنه فهم ما أرادته ، فوضعت يدها فوق أيديهما ، وضغطت عليهما بقوة ، ثم قال يومها :

- أفعل أي شيء فقط أريدك أن تسامحيني .

ثم رمى برأسه فوق صدر أمه ، وهو يقول :

- أماه سامحيني ما عدت أحتمل نظراتك الغاضبة .

لطالما سألت نفسها :

- كيف فهم نظراتها الغاضبة ؟ ولماذا يطلب أن تسامحه على الدوام ؟ وما الذي طلبته منه ووعدها بأن ينفذه على أن تسامحه ؟ أشياء كثيرة دارت في خلدها يومها ، وأخيراً قررت أن تنسى أمر ما فكرت به ؛ لأنها كانت تخشى أن تغرق نفسها في بحر الأوهام ، لم تعد تحتمل النظر إلى تلك الجثة بل نهضت لتتجه إلى الجانب الأخر من الغرفة لتبكي وحدها بعيدة عنهما مرت لحظات أليمة ونظرات كل منهما تناجي نظرات الأخر ، يقف وحيداً حائراً يريدها أن تساعده ، وتنزع عنه بعض أحزانه ، وتشد من أزره ولكن كيف تفعل هذا ؟ ومن هى لكي تسمح

لنفســها بمســاعدته ؟ مازالت بنظره ممرضــة أمه البســيطة ، لمحته يقترب منها بينما عيناه شـــاخصـــة على جثة أمه الهامدة ولكن لماذا يقترب منها ؟ هذا ما كانت تســـأله لنفســـها قبل أن يتخطى حدوده ، فوجئت به يقترب منها ، ويأخذها بين ذراعيه ويضمها إليه بقوة ، عذبها ذلك الضـغط ، وأحسـت بأنه وجدها حُجة ، وكأن معانقته لها سـتعيد الروح إلى جسد أمه المسجى فوق السرير ..

من قال له بأنه يستطيع أن يفرغ في صدرها باكورة أحزانه ؟!

لعنت نفسها ألف مرة ؛ لأنها قبلت على نفسها ذلك الوضع دون اعتراض منها ، وكأنها أرادته أن يشـــعرها ، ويحس بقلبها النابض بحبه على الدوام ... ولكن لمَ اعتراضها إن كان هو الرجل الذي تحب ؟

بقيت صامتة لم تحرك ساكناً ، لم ترفضه لم ترفض اقترابه منها ، كانت ترتعش وترتجف ، تحس بأن أطرافها أصابها الصقيع ، وأعصابها تكاد تنهار أمام ذلك الموقف المحرج للغاية ، ولكنها تشـــعر بحزنه وجدت نفســـها تحيطه بذراعيها ليس لحزنها على أمه بل لأنها مقربة من الرجل الذي تحب كل هذا القرب

، فعلتها أخيراً واســـتيقظت من غفلتها ، وأيقنت تماماً بأنها أصبحت بين ذراعي الخطيئة ، حررت نفسها بصعوبة ، واتجهت نحو

النافذة لتمسـح دموعها ، كيف لا تبكي رحيلها وهي أمه التي عاشرتها كل تلك الفترة ؟ سألها بعد صمته الطويل :

- أشيري علىَّ أرجوك ... ماذا أفعل ؟

- لا تفعل شـيئاً سـأذهب إلى منزل خالتي ؛ فهو قريب من هنا يمكنها المساعدة .

- وماذا عن أمك ؟

- لا أريدها أن تعلم بالأمر الآن

أدرك تماماً ما قصـدته ، فهو يعلم علم اليقين بأن أمها إن علمت بالأمر لن تسـمح لها بالبقاء ثانية واحدة في منزله ، اقترب من أمه ونظر إليها وهي في مهد طهارتها وحنانها وكبريائها وانحنى فوقها يقبل وجهها ، أراد أن يودعها الوداع الأخير ، وطلب منها وللمرة الأخيرة أن تصفح عنه ولكن هيهات فهل تسمعه ؟

- أمي ماذا فعلتِ لتنالي من الله كل ذلك العذاب ؟ أيمكن أن أكون أنا السبب ؟ أجل ربما أكون كذلك لأنك فضلتني عن أختي وكنت أنا من أحتل المكانة الأكبر في قلبك ، انهضيـ وحدثيني فأنا لم أودعك بعد .

فقد السيطرة على نفسه وصرخ :

- سـحقاً لي ماذا أريد من الحياة بعد الآن وقد أصـبحت أمي جثة هامدة ؟؟ ماذا ننتظر بعد كل هذا ؟ الموت فقط لا سواه ، ماذا تصنع الشـهرة ؟ وماذا يبني الفنان للمسـتقبل ؟ حب الناس .. المال .. لا .. لا شيء إلا الموت ، أمي الحبيبة هذه رحلتك الأخيرة ، اليوم تسـافرين إلى حيث يسافر الناس جميعاً ، رباه كم نحن جاهلون بأمور الدين والدنيا .

*****

مضى أسبوع كامل على رحيلها وحان وقت رحيل سلام ، دخلت غرفة أمه ، ألقت عليها نظرة مطولة إذا بها مازالت على حالها ، تأملت محتوياتها وسريرها ونافذتها ، تأملت السـتائر الحريرية ، وفكرت لكم وقفت أمام النافذة ، ولكم رسـمت أحلاماً تفوق الخيال ، حلمت ذات يوم بأن هذه الغرفة غرفتهما معاً ، وذلك الأثاث الأنيق ابتاعه لها خصـيصـاً من السـوق ، لكم تمنت أن تكتب له قصـيدة شـعر مطولة تلقيها على مسـامعه ليعرف مدى الحب الذي تحمله له ، أشـياء كثيرة حلمت بها حتى المرآة كان لها الحصة الأكبر في رحلة أحلامها الطويلة حتى كادت تأخذ كل اهتمامها ، إنها المرآة التي كانت تقف أمامها ذات يوم حين دخل الغرفة فجأة .. في تلك الليلة قبلها لأول مرة فعرفت من خلال قبلته تلك لذة الحياة .. ولكن ماذا نفعت هذه الغرفة أمه ؟ لم

تنفعها بشيء إنها كغرف الأميرات ساحرة جميلة ، ولكنها لم تشهد فيها إلا على المرض والآلام لفترة طويلة من الزمن ، تأملت كل شيء ثم خرجت منها ، كان ما يزال يجلس في الصالون عندما لمحها تخرج من غرفة أمه ومعها حقيبة ملابسها ، نظر إليها مندهشاً وكأنه ظن بأنها باقية في منزله إلى الأبد .. سألها :

- إلى أين ؟

- إلى منزلي .

- ولكنني مازلت أحتاجك .

- مَنْ كانت تحتاجني رحلت .

- أنا أيضاً أحتاجك .. كيف تتركيني وأنا في أمس الحاجة لوجودك هنا ؟

- لديك خادمتك وأنا لدي عملي في المستشفى .

- سأضاعف أجرك .

- استيقظ من أوهامك ففترة عملي هنا انتهت .

- أرجوك سلام .

- لا ترجوني فأنت لا تملكني لقد كنت أؤدي واجبي كممرضة تجاه أمك ، وها هي قد رحلت فماذا سأفعل إن بقيت هنا ؟ .

ثم استطردت ساخرة :

- أخشى أنك تريدني أن أصنع لك قهوة الصباح أو أعد لك طعام الإفطار ؟ أم أنك تريدني أن أقوم بدور أمك ، وأمنحك قبلة كلما ضـــاق الحال بك ؟ .

نظر إليها مندهشاً من أسلوبها الجديد ، ولم يقل شيئاً رداً على كلامها في حين تابعت هى قائلة :

- فاجأتك أليس كذلك ؟ ومع ذلك أنا لا أقول إلا الحقيقة .

- صدقيني أحتاج لوجودك هنا إلى جانبي .

- ولماذا إن شاء الله ؟ لا تخبرني بأنك تحتاجني كما يحتاج الرجل حبيبته التي من خلالها يستطيع أن يفرغ شهواته ورغباته المكبوتة ؟ أم أنك تحتاج إلى خادمة تسهر على راحتك .

اقترب منها وقال :

- تعلمي ألا تسخري مني .

- وأنتَ ألا تســـخر مني عندما تهيننني بطلبك هذا ؟ تطلب مني البقاء في مكان ليس مكاني ، أنت تعلم بأن بقائي هنا صـــار لا يجوز بعد وفاة أمك رحمها الله .

تجرأ بالاقتراب منها أكثر ، فتناول حقيبتها من يدها ، ووضـــعها على الأرض ، ثم تمادى بجرأته فلمس وجهها بأطراف أصابعه ، ثم قرب وجهه من أذنها وهمس بها :

- تسحرني عيناك .

قالت له ، وهي تشعر بحرارة أصابعه :

- إلى أي حد ؟

- إلى حد السحر .

ثم فاجأها بقبلته التي جعلتها تذوب تحت تأثيرها ، مما جعلها تحيطه بذراعيها ، وتمسك قميصه من الخلف وتشد عليه ، وكم تمنت أن يهمس في أذنيها بأنه يحبها ، ثم تنبهت لنفسها ، وخافت من ضعفها ، ومن سحر لمساته ، خجلت من النظر إليه وهمست :

- ليتك كنت صادقاً معي لكان اختلف الوضع .

- هل سأراكِ من جديد ؟

- لم لا تدع ذلك للظروف ؟

- أنت محقة ... أنا لا أملكك .

- يعجبني اعترافك أخيراً .

- ربما أفعلها ذات يوم .. كنت سعيداً بوجودك هنا .

- وأنا أيضاً .

انحنت وتناولت حقيبتها من جديد ثم نظرت إليه وقالت :

- سأشتاق إلى هذا المكان .

ســـارت نحو الباب الخارجي ببطء ، ووقفت لبعض الوقت لتلقي على ســامر ، نظرة أخيرة بعينين ترقرق في انســيابهما الدمع ، وفجأة رأته يقترب منها من جديد ، كما لو أنه تذكر فجأة بأن رجولته تحتم عليه أن يكون مهذباً معها ، ويقلها إلى منزلها بســـيارته ، رأته يحمل ســـترته على عجل ، ويتجه نحو الباب الخارجي ، وهو يقول :

- سأقلك إلى المنزل.

ســبقته إلى الســيارة التي فتح بابها الأمامي لتجلس بجواره ، كانت تشـــعر بالفخر فهذه المرة الأولى التي تصـــعد فيها ســـيارته وتجلس إلى جانبه ، أدار محرك الســـيارة وانطلقت بهما ، حزنت كثيراً كون ذلك اللقاء هو الأخير بينهما ؛ فأمه التي كانت تجمعهما قد ماتت ، وبموتها انتهى كل شيء بينهما !

" لن أنسى "

مرة أخرى فراس ، الـدكتور فراس الـذي يعمـل معهـا بنفس المســـتشـــفى ، والذي صرّح لها بحبه أكثر من مرة ، والذي عرض عليها

الزواج كثيرا ، ها هى قد عادت إليه ، وأصـــبح يأخذ الجزء الأكبر من تفكيرها ، وكل ما يأمله في الحياة هو إعلان موافقتها على الارتباط به ، وهو الطبيب الطموح والمهذب ، وطالما سألت نفسها :

- لماذا لا يعجبها فراس ؟ شاب وسيم أنيق ، ويملك ذات السحر الذي يملكه الآخر داخل عينيه ، ولكنها لا تنسىـــ بأن حاله بســـيط وساذج بعض الشيء رغم قوة شخصيته ، ومع هذا أصبحت تفكر جديا بالموضـوع حتى أنها قررت أن تحسـم الأمر معه ، وتقولها له لتبرد غلة انتظاره ..

نعم ســـتعلن موافقتها على الزواج به .. تعلم بأنها لا تحبه ، ولكنها تعلم أيضاً بأنها لا تكرهه ، وتعلم أيضا بأن الزواج من رجل يحبها أفضل كثيرا من الزواج من رجل تحبه هى ، هو فقط سيخرجها من ذلك الحي الفقير ، وينقلها إلى عالمه ، وربما يســـاعد أهلها ، ويُحسِّـــن من وضـعهم المادي بعض الشيـء ، ولكنها مازالت تجهل تماماً ماذا تحمل له في قلبها ، فكل ما أصـــبح يحدث معها هو أنه يدعوها للتفكير ملياً بالأمر ، وهذا ما فعلته ها هى تتابع عملها في المســـتشـــفى مقررة أن تنسى ما كان وكأنه لم يكن ..

الأيام التي مرت بسرعة ، ومع ذلك مازالت تشعر بين الحين والأخر بالحنين للأمس القريب ، حيث كانت ربما هى مجنونة أو غبية ، ولكن ما يحدث كان على الرغم منها .. ولكنها تشتاق إليه ، تشتاق لسماع صوته للنظر إلى عينيه ، تشتاق إلى أن تصنع له فنجان قهوته كل صباح ، تشتاق للعودة إلى الماضي ، للحظات حلوة عاشتها لا تظنها تتكرر ، كانت تتلمس شفتيها وكأنها تتفقد قبلته لهما .

أما زالت قبلته تشعلها وتأخذها إلى عالمه البعيد ؟

كانت تتابع أخباره من بعيد ، تعلم بأنه يحبها هو الأخر ولكن بصمت ، يشعر بالوحدة والألم تيتم مرتين مرة عندما فقد أمه وأخرى عندما فقدها هي ، الأشواق تجرفه إليها ، ولكنه يخشى الإبحار واللقاء بها ؛ لأنه يعلم بأنها بعيدة عنه كل البعد .. هو الأخر مازال يتابع أخبارها من خلال صديقه الطبيب ، كلاهما مغرمان

وكلاهما كتما مشاعرهما كما لو أنهما أحبا لغة الصمت .. تجرأ الطبيب ذات يوم وسألها :

- ما الذي يجمعك بالفنان ؟

خجلت يومها ، ولم تعرف بم تجيبه ، وفرحت وشعرت بينها وبين نفسها بالانتصار ؛ لأنها علمت بأنه يهتم بها هو الأخر خاصة وأنها

علمت بأن غيرته تشتد يوماً بعد يوم من فراس ، لم يكن يحب أن ينظر إليها أحد لا من بعيد ولا من قريب .. ولكن إن كان يغار عليها لم صمته إذاً ؟

طردت الفكرة من رأسها ، فلو كان الأمر كما ظنت لجاء إليها وحدثها بالأمر كما فعل فراس ، يختلف كثيراً عن فراس فرغم عيوبه الكثيرة استطاع أن يفاتحها بالأمر ، لذلك طلبت منه أن يمنحها فرصة ، أما الآخر فهو يعذبها لأنه صنع من نفسه وصياً عليها فراح يترقب أخبارها وتحركاتها .. كيف يفعل هذا ؟ ليس من حقه أن يفرض عليها رغباته بينما هو حر يحادث هذه ، ويجالس تلك ، ويسافر مع نساء كثيرات زميلاته .. أخذت الصور تلوح في مخيلتها ، دائماً تغار من وجود تلك المرأة التي أغضب أمه بسببها ، والتي مازلت تجهل هويتها ، إنها مجنونة دون شك لأنها تعلم بأنه ليس رجل حياتها .. شعرت بالإحباط ، وملت من كل تلك الصور التي رسمتها في مخيلتها ، ملت من الأحلام التي لا طائل منها سوى أنها تجعلها تضعف وتخسر صحتها .. كانت قد واعدت فراس لكي يشربا معاً الشاي في البوفيه ، وبعد أن قضيا بعض الوقت غادرت المستشفى فلم تشعر بمتعة الجلوس ولا الحديث معه ، وجدت نفسها تجوب الشوارع على قدميها ، لم تكن تدري إلى أين

يمكن أن تأخذها في تلك الظهيرة المحرقة .... ولكنها مع مرور الدقائق وجدت نفســـها قد وصـــلت إلى حيث تريد ، حطت بها رحالها أمام المكتبة التي اعتادت الذهاب إليها منذ الصـــغر ، حين كانت تبتاع حاجياتها المدرســية منها ، وفيما بعد أصـبحت تســاعدها على تفريغ ســـاعات فراغها ومللها ، تجوب المكتبة لتلق نظرة مطولة على الكتب وعناوينها ، ثم تطلب من صـــاحبها أن يعيرها بعض الكتب التي كانت تلفت انتباهها ، تشـعر بالمتعة حين تختار تلك العناوين الشـيقة تغريها الرفوف التي امتلأت بما لذَّ وطاب من الكتب لدرجة أنها تشعر بإغراء لا يقاوم كلما لمست أحدها .

أرادت أن تبتاع لنفسـها دفتراً وقلماً أيضـاً ؛ لأنها أصـبحت تشـعر بالميل إلى أن تسـجل خواطرها في دفتر خاص ، إن كانت لا تسـتطيع أن تحصـل على حبها في الحقيقة يمكنها أن تحصـل عليه بالخيال والحلم يمكن ، لم تطل البقاء في المكتبة اختارت ما تريده وخرجت كانت ما تزال في نفس الشارع عندما لمحته من بعيد ، ظنت نفسها تتوهم ولكن سرعان ما أيقنت بأنها الحقيقة لم تشـــعر بأنه لمحها لذلك أرادت أن تلوذ بالفرار ، ولكن ما أن أدارت ظهرها لترحل عنه بعيداً حتى ســـمعته ينادي اسمها ، توقفت فجأة ، فهرول متجهاً نحوها :

- ماذا تفعلين هنا ؟

- جئت أبتاع بعض الحاجيات المدرسية لأخوتي .

- ما هذه الصدفة الرائعة ؟

- أحقاً هي صدفة رائعة ؟

لم يجبها بل علت شـفتيه ابتسـامة عريضـة ، أسـعدها وجوده المفاجئ في ذلك المكان ، أخذها بلحظات إلى عالمه السـاحر من جديد ، نسيت تماماً بأنها كانت منذ دقائق مع فراس الذي هو في حكم خطيبها ، نسيت بأنهما شربا الشاي معاً .. لماذا هذا الانقلاب المفاجئ ؟ تبادلا النظرات ثم سألته :

- أخبرني أنت ماذا تفعل هنا ؟

- كنت ماراً بالصدفة فرأيتك .

- أحقاً كانت صدفة ؟

- لا جواب لدي .. لم لا نسير معاً ؟

- أين سيارتك لا أراها معك ؟

- لم آت بها أردت السير على قدمي هذه المرة .

- أخبرني كيف تسير حياتك هذه الأيام ؟

- بخير هل نشرب القهوة معاً ؟

- لا .. لقد تأخرت على المنزل .

- لن آخذ من وقتك الكثير .

- تصدقني لو قلت لك بأنني أخاف دخول الأماكن العامة بصحبة رجل ؟

- ألسنا صديقين ؟

- لا أؤمن مطلقاً بصداقة الرجل والمرأة .

- ليس في هذا العصر !

- بل في كل العصور .. الصداقة في نظري هي رباط محبة وعلاقة مودة وبالنسبة لي لا يجوز قيام هذه العلاقة أو الرابطة إلا بيني وبين أخي والمحارم وأنت لست منهم .

- كنت سأزور منزلك اليوم مساءً .

- ولماذا إن شاء الله ؟

- سأقيم حفلة في منزلي .

- حفلة وأمك لم يمض على وفاتها وقت طويل ؟ ما الذي يدعوك لإقامة حفلة ؟

- ليست حفلة بمعنى الكلمة هي دعوة عشاء فقط لا غير .

- ومن سيحضر الحفلة ؟

- أصدقائي من الوسط الفني وأريدك أن تكوني ضيفتي .

- وماذا أعرف أنا عن عالمك الفني ؟

- تعرفين الكثير على فكرة ، مازالت لك في منزلي بعض الأشـــياء التي تخصك ، وبينها خاتم فضي .

- أجل إنه هدية والدي لي بمناسـبة نجاحي في سـنة أولى ثانوي سآخذ أشيائي يوماً .

- والدعوة ماذا بشأنها ؟

- اترك هذا للظروف لقد تأخرت يجب أن أذهب .

- هل أقلك إلى المنزل ؟

- لا بل سأذهب وحدي .

لم يلح عليها بل قرر الصـمت ، فوجدت نفسـها تسـير معه جنبا إلى جنب كما لو أنهما كانا على موعد ، عادت إلى منزلها ومازالت تشـعر بأنها في عالم آخر غير عالمها ، إن لم يكن يحبها لم يدعوها لمشـاركته شرب القهوة ... ودعوتها إلى مائدة العشاء ماذا تقول له ؟ أتقول له بأنها أعطت وعداً لفراس ؟

الأول يحترم وجودها ويحبها على طريقته ، وهي تنتمي لطبقته والآخر تعشق وجوده إلى جانبها ، ولكنه لا يشعر بها ولا يهتم لأمرها ، مازالت حائرة لا تعرف إلى أين تريد الإبحار ؟!

" الخروج عن النص "

الوقت يمضي مسرعاً دون أن يترك لهما خلفه بصيصا من الأمل ، مازال يعيش في وادٍ، وهي تعيش في آخر ، الصراعات في رأسها مازالت مستمرة ، شيء ما بداخلها يسير عكس التيار ، بعده عنها يعذبها ويقتلها ببطء وأساليبها المتزمتة مازالت تقف حائلاً بينهما ، أصبح الندم يأكل بعضها ، ماذا كان يحدث لو قبلت دعوته ؟

ولكن ماذا عن أساليبه الصبيانية التي يتبعها لمعرفة أخبارها ؟ كل تصرف بتصرفه أصبح لا يعجبها إنها تكره أن يكون من الذين يسيرون عكس التيار من أجل الوصول إلى مبتغاهم ، مازالت تجهل لماذا يفكر بالخروج عن نص حياته ، ذلك النص الذي رسمه له القدر يوم ولد ، لماذا يريدها أن تختلط بعالمه ، وتنال إعجاب أصدقائه ؟ لماذا يريدها أن تنغمس بتلك الطبقة ، وهي التي تفكر بأن تنساه وتنسى عالمه ؟

القدر دائماً يأبى إلا أن يذكرها به ليضعه في طريقها على الدوام ، أجل فوجئت حين رأته أمام باب منزلها بعد شهر من لقائهما الأخير في

الشـــارع ، لم يدر بخلدها يوما أنه من الممكن أن يزورها بعد أن تركت بيته ، لكنه فعلها ولا تعرف كيف لمعت عيناها لرؤيته ، وهو يقف قبالة باب منزلها المتواضع ، أصابتها رجفة شديدة وجمدت في مكانها ، ثم تذكرت بأنه مازال يقف على عتبة بابها ، فاســتقبلته ملهوفة وصافحته بحرارة ، سمحت ليدها أن تستقر داخل يده ، شعرت بأنها ملكت الدنيا ، هاهي تلمس يده ، وتنظر إليه إنه يقف على عتبة بيتها المهترئة ، ولم تشعر مطلقاً بالاشمئزاز ، شعرت بحرارة يده تتسرب إلى أعماق صدرها ، أحست بالخجل من نفسها ، فحررت يدها من يده ، ودعته للدخول ، ســارت خلفه وفوجئت حين رأته يجلس على نفس الأريكة ، وكأنه أصــبح يعرف بأن تلك الأريكة هى المكان المخصــص للضيوف !

*****

كانت قد أنهت فنجان قهوتها عندما خرجت أمها من غرفتها لتجالسهما ، بينما كانا كمراهقين كلاً منهما أصبح يختلس النظرات من الأخر ، لكم تمنت أن تعترف له بحبها المتأجج وحنينها الملتهب ، كانت تود أن تصرخ عالياً لتعلن له وعلى الملأ بأن اسمه أصبح يلتهم شغاف قلبها ، نظرت إلى أمها وحدثتها عيناها بصمت :

- تحبه بجنون وهو لم يعشـــق إلا (ناريمان) . ولكن لماذا مجيئه إلى المنزل ؟ أمعقول أن يكون قد جرفه الشوق إليها ؟

مرت الدقائق ، مازالت تجهل أمر زيارته ، نهضـــت لتجمع الفناجين ، ثم اتجهت إلى المطبخ ؛ لتفكر بصـــنع شيء أخر لضـــيفها الكبير ، التفتت لتنظر إليه قبل دخولها إلى المطبخ لتلمح غضبه ؛ لأنها غادرت المكان ، وعبر عن ذلك باعتدال جلسته ، شعرت بالارتباك حين سألته أمها عن سبب تشريفه ، فقال لها بتسرع :

- جئت أدعوها إلى حفلة سأقيمها في منزلي .
- ابنتي لم تعد ممرضة أمك .
- لا أريدها كممرضة .. جئت أدعوها كضيفة .
- جئتَ تهين ابنتي .
- أهينها ! كيف وقد جئت أدعوها كما دعوت أصدقائي .
- لماذا هذا الإصرار ؟
- لابنتك فضل علي فهي من جعلت أمي تشعر بالسعادة في آخر أيامها .. ألا يكفي هذا ؟
- سيدي لم نعتد على مجاراتكم أنتم الأثرياء .
- أنتِ لا تعلمين كم أحبتها أمي.. لقد أصبحت جزاءً مني .

وتحدثت بسرها :

- قلها أيها الجبان ، قل بأنك تحبني ووضعي العائلي هو الذي يقف حائلاً .

أحاديث كثيرة دارت بينه وبين أمها ، بينما هي تائهة تماماً عما يحدث ، الدقائق مرت ثقيلة مملة حتى اقتنعت الأم أخيراً بإرســـال ابنتها إلى الحفلة المزعومة ، حين أخبرها بأنه يريدها أن تساعد أم مظهر بإعداد العشاء ؛ لأنها لا تستطيع التصرف وحدها .

صرخت بأمها حين دخلت إليها لتخبرها بالأمر :

- اخرجي يا أمي .. اخرجي ؛ موافقتكِ تعذبني وتقتلني ، لماذا يدعوني إلى الحفلة إن كنت في نظرة مجرد خادمة ؟ وكأنه يريد تذكيري بوضـــعي على الدوام ، إلى متى أضـــحي ومن أجل من ؟ إلى متى أنسى نفسي وأتنازل عن كرامتي ؟ تعبت يا أمي ، وما عدت أطيق صبراً ، أريد أن أعيش كباقي الفتيات ، ارحميني يا أمي .. ارحميني .

- ونحن من يرحمنا ؟

- الله يرحمنا ويرحم الناس جميعاً ما فائدة دعوته لي إن كان يريدني أن أساعد أم مظهر في المطبخ لقاء حفنة من النقود ؟

- لن تخذليني أليس كذلك ؟

- أمي لســت مضــطرة للرضــوخ ثم إنني لســت مطمئنة لما يحدث .

- وهل رأيتِ منه ما يسيء ؟

لم تجب أمها بل توارت بنظراتها عنها ، وتذكرت ما حدث في تلك الليلة ، ولكنها لم تقل شــيئاً بل ظلت تحبس ما حدث في أعماقها ؛ لأنها تعتبر بأن ما حدث كان مقدساً للغاية .. نظرت إلى أمها وخاطبتها :

- أمي أشـــعر بانقباض في قلبي لم أشـــعر بمثيله من قبل ، وإحساسي لا يخذلني عادة كما تعلمين ..

أمي لســـنا بحاجة إلى ماله ، إن كنت تريدين المال ســـأطلبه من فراس .

- ولماذا تطلبين المال منه ، وقد وافقتِ على الارتباط ؟

.ضاقت ذرعاً من حديث أمها ، وأحست بأنها إن لم تقل ما يعتلج في صدرها ستنفجر ، كان ما يزال يجلس في الصالون عندما خرجت إليه ، وصرخت به :

- إياك أن تظن بأنني خادمتك .

ما أن قالت جملتها تلك حتى رأته يقف ليحدق بها للحظات ، ثم هتف بها قائلا :

- سـلام .. لم تكوني ولن تصـبحي خادمتي ، كل ما أعرفه هو إنني أحتاج إليك وإلى دعمك ، صـــدقيني أشـــعر بأن طاقاتي العملية جميعها قد نفذت منذ تركت المنزل ، لا اســـتطيع التركيز في أعمالي ، أفكاري مشوشة و ..

- لا تســـخر مني أرجوك ، فأشـــياء كهذه لا تقال إلا لامرأة مقربة منك ، وأنا لست كذلك تريد خادمة وهذا ما لا أقبله على نفسي .

- مازلتِ تفهمين الأمور على مزاجك الخاص فقط .

- وكيف أفهم الأمور برأيك ؟ اســـمعني جيدا ، أنا فتاة لدي عملي الخاص ، ولا أسـتطيع أن أهدر وقتي في مهاترات لا طائل منها إلا إذلالي والتقليل من شأني .

- أهذا أخر ما لديك ؟

- أجـل ارحـل واتركني في عـالمي ؛ لا أريـد الخروج إلى حيث التهلكة .

تركته يلملم أذيال خيبته ، ودخلت إلى غرفتها ، وهي تشـــعر بأن النار قد اندلعت في أوصـــالها ، تعلم بأنها أغضـــبته فبعد خروجه من

منزلها أيقنت تماماً بأنها لن تراه بعد تلك الســـاعة ، وهي حائرة لا تستطيع نزع تلك الأفكار من رأسها ، رمت نفسها فوق الأريكة ، وما هي إلا لحظات حتى رحلت إلى عالم غريب.. تحبه.. تحبه ولا تريد أن تكون إلا حبيبة.. تريده أن يحترم وجودها ويمنحها قلبه ..

وتصرخ من أعماقها ليتها تابعت دراســتها ، وخرجت إلى العالم الأخر لكانت أحبته على طريقتها ، وجعلته يحترمها على الأقل ، وحققت جميع أحلامها لكانت وصلت إلى شاشات التلفزة ، وأصبحت ممثلة مشهورة لغزت الوسط الفني من جميع أبوابه وسابقت الريح ..

الآن ... الآن أصــبحت تفكر بأنها ومذ كانت طفلة عشــقت التمثيل ، يســحرها ذلك العالم إلا أنها كانت تعلم بأن عائلتها ســتقف حائلاً بينها وبين تحقيق أحلامها ، تحن إلى تلك الأيام التي جعلتها تحلم بصمت لا لشيء إلا ليشعر بها ويحترمها ..

لتشعر بذلك الغرور اللذيذ الذي يشعر به هو تحسه ذاته ..

الغرور الذي يزيده نجاحاً يوماً بعد يوم ، لو كانت ممثلة لمثلت كل الشخصيات ، وتقمصت معظم الأدوار التي تعيش على وجه الأرض ، تغزو كل المهن وتحب وتتزوج على مزاجها الخاص ، وتبني لنفســها

أفاقاً عالية ، تكون طبيبة أو حبيبة تصــبح مهندســة أو رســامة تكون مغنية أو ربه منزل تكون مجنونة ..

أجل كم أحبت في الســابق أن تأخذ دور المجنونة ؛ فهي وحدها من كانت تقلد أدوار المجانين التي كانت تشاهدها شاشات التلفزة ، ما أروعها لو صــارت كل تلك الشــخصــيات ؛ لتشــعر بأنها تعتلي صــهوة المجد وفي نفس الوقت تشـــعر بمتعتها ، كل هذا وبلا شـــعور يجعلها تخرج عن نص حياتها لتبدأ من الســطر الأول أو من نهاية الصــفحة ... لا يهم المهم أنها تعشـــق الانتقال من حياة إلى أخرى حتى ، وإن كانت من خلال التمثيل ..

لم يســألها أحد منذ الصــغر ماذا تحب أن تكون في المســتقبل ؟ كيف لا وفي داخلها لم يولد إلا حلم واحد وهو أن تصـــبح طبيبة ، لم يكن يعلم الجميع بأنها حلمت بأن تصـــبح عضـــواً هاماً في الســـلك الدبلوماسي ؛ لتطير عالياً وتمثل بلدها وتكون سفيرة لأحلامها وأهدافها ممثلة الحلم وصرخت من أعماقها :

- سحقاً لنا من فقراء دائماً نحلم أحلاماً تفوق الخيال دائماً ، نموت دون أن نحقق منها شيئاً نموت قبل بلوغ الهدف .

وتساءلت :

- مالها تلعن فقرها وتســحق أحلامها وهي من البشر ـ ويحق لها أن تحلم و لكن .. ماذا عن سامر ؟

هل هو من قائمة أحلامها ؟ .. إنه كل أحلامها إنه يعيش بداخلها تجده دائماً فارس أحلامها يا له من رجل !

جعلها تنظر إلى الرجال جميعاً من خلاله هو ، من خلال عينيه الســاحرتين أخذها حبه إلى البعيد بل جعلها تطير عالياً لتصــبح ممثلة تقف أمامه ككل الممثلات ، وتؤدي معه دور البطولة المطلقة

إنها تخاطبه ... تخاطب الحلم تغازله على طريقتها ، وتلمس يده وتهمس في أذنيه كلمة طالما حلمت بأن تبوح بها له .." أحبك " ..

ربما تقبله ، وربما تكتب له شــعراً غزلياً ، وتنســج له من ســحر عينيه قصــيدة نثرية تهديها له كل صــباح ، أيقنت بعد شرودها الطويل بأن ما تفكر به أوهام ..أوهام .. مجرد أوهام

أصــبحت تخاف من أحلامها وتطلعاتها ، تخاف لأنها تعلم تماماً إلى أين ستودي بها ..

ستجرها إلى التهلكة والضياع ؛ لأنها لا تستحق أن تفكر به ، وإن فكربها سيفقد اسمه وشهرته ، سيفقد جمهوره ومحبيه .. تصرخ من أعماقها :

- كم أكره شهرته وتألقه !

أخذها تفكيرها إلى البعيد ، وكادت تغفو فوق أريكتها ، ولكنها رأته على مرأى من عينيها ينظر إليها ويوقظها من غفوتها ، يعبث بخصلات شعرها ، نسيت تماماً أين كانت منذ لحظات ، كيف لا تنسى وهي تراه أمامها .. تراه وتتلاقى عيونهما ، يشعرها بأنها أميرة حسناء ، خاطبها وقد بدا صوته بالنسبة لها كسيمفونية نادرة تترنم في أذنيها تعطيها الأمل تداويها من جراحها الماضية ، كالبلسم تهدئها من صراعات أفكارها الساذجة .. قبل أن تتوه عن عالمها لتغوص في عالمه السحري أفاقت من غفلتها وشربت كوب الماء جرعة واحدة ، وضحكت ساخرة من أحلامها ، هكذا هي دائماً تحب أن تخرج من سلام ابنة ذلك الحي ، تخرج عن نص حياتها رغم كل شيء وجدت نفسها تعود إلى حيث كانت !

" نداء القلب "

تناولت القهوة بصحبة فراس ، وجدت بأنه مازال ينساق خلف أحلامه ، راح يحدثها عن نفسه وطموحاته المستقبلية التي لا حدود لها ، يظنها تصغي إليه بينما هي شاردة الذهن تائهة عن واقعها كما لو أنها تبحث لنفسها عن ملجأ آمن تأوي إليه ، تحس بأنها تائهة عن نفسها

وعالمها ومنزلها كل شيء يتصـــدع بداخلها ويتحول إلى ركام، يتكلم ويتكلم وهو يجهل أين أصـــبحت هي ، كانت هناك حيث هو تشـــغل نفســـها بالتفكير ترى ماذا تفعل أم مظهر ؟ لابد أنها تقضيـــ وقتها في المطبخ تائهة لا تعرف من أين تبدأ ، ولا بد أنه يقف أمامها ويستعجلها وهي بطيئة مملة لا تحســـن التصرف ، ثم تتخيله يجلس في الصـــالون على أريكته قبالة التلفيزيون أو أنه يقرأ في مجلة فنية ، وربما كان يراجع ســيناريو مســلســله الجديد ، لا .. لا فهذا وقت حمامه ، لا بد أنه أخذ حمامه ، وخلد إلى النوم كما هى عادته في وقت الظهيرة ..

تعرف عنه كل شيء وتحفظ مواعيده عن ظهر قلب ، حتى إن خرج من المنزل تعرف متى يعود ، وإن نام متى يســـتيقظ .. ثم تعود لتلق نظرة على فراس الجالس قبالتها ، تعذبها نظراته الحنونة إليها وتمزقها أحلامه التي لا تظنها تتحقق ، يقلقها ذلك الطموح الذي يحمله بين طياته ، تركته يبني لنفسه أفاقاً وهمية ، ومضت إلى حيث تريد هى تاركة إياه يجري خلف السرـــاب ، وجدت بأن التفكير أرهقها فطلبت لنفسها إجازة لباقي النهار ، وخرجت من المستشفى وفي رأسها مازالت تدور أوهام ، مشت طويلاً تجوب الشوارع المؤدية إلى أماكن مختلفة تعرفها وأخرى لا تعرفها ، تراقب المارة ، وقفت طويلاً أمام المكتبة

فكرت بما يحتاجه أخوتها ، ثم قررت أن تنسىـ ما يلزمهم فمضـت من جديد ، نظرت إلى المحال التجارية ، وتخيلت نفسـها ترتدي ثوباً أسـود كلاسـيكياً .. تخيلت أشياء كثيرة ثم عادت إلى الشارع الذي ألفت السير فيه ، تلمســـت جدرانه كثيراً فيما مضىـــ ، وفكرت فجأة بزيارة خالتها الحبيبة التي وضـعها القدر بنفس الحي حيث يسـكن هو ، غريب أمرها كيف لم تعلم بأن من تحبه بصـــمت يســـكن على مقربة من خالتها ؟ كيف لم تلحظ وجوده يوماً ولو بالصـدفة يسـير في الشـارع عندما كانت تزور منزل خالتها ؟ حتى خالتها لم تحدثها يوماً بأن جارها هو نفســـه الفنان المشهور ، ولم تحدثها وهما لم تأتيان على ذكره قط ؟

توقفت للحظات أمام باب منزلها ، وفكرت بقرع الباب إلا أن عينيها ظلتا مشـدوهتين تنظران إلى الشـارع الأخر الذي يؤدي إلى منزله مباشرة ، أرادت لفترة أن تنزع صـــورته من مخيلتها ، فقرعت الجرس وفتح لها ابن خالتها الصـغير ، دخلت إلى المنزل وفصـلت نفســها عنه وعن شارعه ، استغربت خالتها زيارتها المفاجئة ، خالتها محقة فهي لم تعتـد زيـارتهـا وحـدهـا ؛ لأن أمهـا من كانـت تحثهـا على القـدوم معهـا وتذكرها دائماً بواجبها تجاه خالتها ، شــعرت خالتها عندما جلســتا معاً بأن ســلام لم تعد فتاة الأمس .. كبرت ســلام وهذلت وشــحب وجهها

وتخلت فجأة عن خفة ظلها وروحها المرحة وابتهاجها ، توقفت عن شغفها بالحياة ، وتوقف لسانها عن الكلام تغيرت كثيراً ولبست ثوباً أخر يختلف عن ماضــيها ، هي لا تعلم بأن ســلام كبرت بالفعل وأصــبحت تحب ، لم توقن بعد بأن الحب وحده قادر على أن يسرق المرء من أهله وذويه ، من نفســـه وماضـــيه .. فجأة وجدتها تنهض وخالتها مازالت تحدثها ، استغربت وقوفها المفاجئ فسألتها :

- إلى أين ؟
- لا أدري فكل ما أعرفه هو إنني أريد المغادرة .
- إلى أين تذهبين إن لم يكن إلى المنزل ؟
- سأعود إليك حتى وإن انتصف الليل .
- وأين ستقضين الساعات المتبقية ؟ وأمك ماذا بشأنها ؟
- سأتصل بها وأخبرها بأني سأبيت في منزلك .
- أنتِ اليوم غريبة الأطوار .

لم تناقشـــها بل تركتها وغادرت منزلها دون أن تدري إلى أين ...؟ توقفت قليلاً في الشـــارع ، وفكرت إلى أين يكون المضيـــ ؟ خافت من ذلك الوقوف ، وخجلت من وضــعها عندما رأت شــاباً يراقبها على بعد خطوات منها ، إنها تعرفه تماماً طالما ، وقف يتأملها بينما هي تســـير في

نفس الشـــارع كل يوم حين كانت أم ســـامر حية ، نظراته حادة مخيفة كنظرات ذئـب ، طويـل القـامـة عريض المنكبين يحمـل وجهـه بعض الوســـامة إلا أن وســـامته تخلو من الجاذبية ، يبدو بارداً إلى أبعد حد ، يضـــايقها وقوفه في نفس الشـــارع ، أخافتها نظراته الجائعة ، تمنت لو تعود إلى منزل خالتها ، أخذ يتلفت يميناً ويساراً كما لو أنه يريد مغازلتها على طريقته الصـــبيانية فأخذ يتأكد خلو الشـــارع من المارة ، تاهت في زحام شـــوارع المدينة مراراً وضـــاعت بين زحام الكلمات ... ماذا تفعل إن تجرأ الشـاب واقترب منها ؟ سـحقاً له إن فعلها ؛ فهي تكره أن يغازل الرجـل امرأة مهما كان شـــأنها على قـارعـة الطريق ، ثم من قـال بأنـه ســـيغازلها فقط ربما يتحرش بها ، هذا ما تؤكده نظراته .. مازال ينظر إليها ومازالت نظراته تدب الرعب في قلبها وتخرجها عن طورها ، حارت أي الاتجاهين تسـير ، فإن سـارت إلى حيث العودة إلى المنزل سـتضـطر للمرور من أمامه ، وربما للاحتكاك به لضـــيق الشـــارع ، وإن تبعت نداء قلبها ســـتجد نفســـها مجبرة على تلبية الدعوة ، لا تدري كيف فعلتها ووجدت نفســـها تســـير في نفس الشـــارع المؤدي إليه ، قررت أن تراه وترى أصـــدقاءه ، قررت أن تحادثهم إن لزم الأمر ، وربما لتصـــنع من نفســـها خادمته لبعض الوقت ، توقفت قليلاً أمام الباب ، وللحظة من

اللحظات تمنت لو تعود من حيث أتت ، ولكنها جبنت وقررت قرع الباب ، توقعت أن ترى أم مظهر خلف الباب ولكنها فوجئت به يفتح الباب .. تبادلا النظرات لبرهة ، ثم خجلت من نفســها ، ولم تدري ماذا عليها أن تقول أو كيف تتصرف ، أرادت للحظة الهروب بعيداً عن ذلك المكان ، ودون أن تقول له كلمة التفتت لكي تغادر المكان إلا أنه أمســك ذراعها وسألها :

- إلى أين ؟
- آسفة .أظنني أسأت التوقيت .
- بل جئت في الوقت المناسب ..
- لا سأعود إلى منزلي .
- أرجوك لا تقولي هذا فأنت من ضمن المدعوين .
- كان يمكنني أن آتي ليلاً وليس الآن .
- ما الفارق كلها ساعات قليلة وتصبح الساعة التاسعة .
- أين أم مظهر ؟
- منهكة تماماً في المطبخ تفضلي بالدخول .
- بل سأرحل وآتي في المساء .
- أمعقول أن تصلي إلى المنزل ثم تغادري ؟

تأملته للحظات ، ومازال يمســـك ذراعها ، ثم دخلت إلى المنزل بعد تردد ، فترك ذراعها وقال :

- أهلاً بكِ .

ما هي إلا لحظات حتى ســـمعت طرقعة الأواني في المطبخ ، يا إلهي مازالت كما هي فوضـــوية ، كانت تعلم بأنها تكره تلك الطرقعة المزعجة للأطباق والأواني المعدنية حتى صوت الملاعق بات يزعجها قالت :

- ماذا سأفعل الآن ؟

- سنتحدث بالطبع .

دعاها للجلوس وعرفت لوهلة بأنه قبل وصولها كان يتصفح بين يديه مجلة شــهرية تعرفها تماماً ، أحبت تصــفحها منذ مدة ؛ لما فيها من أخبار ومواضــيع مهمة تعجبها كثيراً رســائل القراء التي يطرحون من خلالها همومهم ومشـــاكلهم ، اقتربت من المكان ، وقبل أن تجلس أمســـك ذراعها من جديد ، تأملها قليلاً ثم اقترب منها ليلمس وجهها ، وهو يقول :

- مازلت أصر بأن وجهك الطفولي يوحي للناس ولي بأنه لم يخلق إلا ليجعلك ممثلة .

- إن كنت ستبدأ بمغازلتي بتلك الطريقة سأضطر للمغادرة ؟

- أحب كل المواويل التي توصلني إلى قلبك .

- لم أكن أعرف بأنك تجيد فن المراوغة ؟

- أحقاً أنا مراوغ ؟ لا بأس تعالي وانظري إلى نفسك في المرأة ، وبعدها احكمي .

- لا تحاول معي ، أعرف أني جميلة ، ولكنني أعلم بأن الجمال في هذا العصر لا يساوي شيئاً أمام المال والشهرة والشهادات العالية ، وأنا لا أملك كل هذا .

اخترق عينيها بنظرة اخترقتها كاللهب ، وقال بهمس :

- يكفي أنك تملكين هذه العيون .

- وهل يكفي جمال عيناي لكي أصل إلى مبتغاي وأنا الفتاة الفقيرة ؟

- بالطبع إنهما مؤشر دخول إلى الوسط الفني ، ما رأيك لو خطفتكِ من المستشفى ، ومن أجواء المرضى والأطباء ، وطرت بكِ إلى عالمي عالم الفن والشهرة ؟

- لا.. أرجوك لا تجعلني أحلم ، فـأنـا أخشىـــ إن خطفتني الأضواء أن أنسى عالمي الحقيقي .

- وماذا في ذلك ؟ ألا تعشقين التحليق عالياً في عالمنا ؟

- لا.. لأنني أريـد البقـاء على الأرض وبين المرضى هنـاك ، فهذا عالمي الحقيقي الذي خلقت لأكون له ، خلقت لأكون ممرضـــة ، ثم إنني لا أتقن فن التمثيل رغم إنني أحبه .

- هذا لا يمنع بأنك فتاة موهوبة .

- لا تلح علىَّ ، دعني في مجتمعي وبين أهلي ؛ فـالموهبـة وحدها لا تكفي .

- أعلم بأنك خلقت لتكوني طبيبة .. ما الذي تغير ؟

- وما الفائدة إن كان والدي قد مات وأخذ حلمي معه ؟

- يمكنك البدء من جديد .

- وأترك عملي ؟ كيف أدرس من جـديـد ، وأفواه أخوتي مفتوحة كزغب الطيور تطلب طعاماً ولباساً ؟ لا أستطيع أن أبني حلمي ، ويموت أخوتي .

- إلى متى تستمر تضحيتك هذه ؟

- إلى أن يشتد عود أخي فيصبح قادراً على رعايتنا جميعاً .

- مجنونة تضـحين من أجلهم ، تدمرين نفسـك ، أخوك لن يضحي من أجلك وأنت تعلمين هذا تماماً .

أصـبحت تراقبه بإمعان لقد نسيـ بأنها ضـيفته ، وثار عليها بل فجّر براكين غضـبه ، أرادها أن تصـحو من غفلتها وتتذكر بأنها إنسـانة ويحق لها أن تعيش كالأخريات ، ثم وجدته يغادر الصـالون ليدخل إلى غرفته

، فكرت بما قاله ، ونظرت في المنزل ، وأخذت ذرع الصـالون ذهـاباً وإيـاباً ، ثم اتجهـت نحو المكتبـة ، وألقـت نظرة مطولـة على العناوين ، ثم لا تدري كيف وقع نظرها على باب غرفة أمه ، تلك الغرفة التي قضـت فيها أجمل أيام حياتها رغم تعاسـة أمه وآلامها ، تلك المرأة البائسـة التي أصـابها السـقم فانتصرـ عليها وأخذها من هذه الحياة ، تشـتاق إليها وإلى ابتسـامتها الحنونة ، تشـتاق ليدها التي كانت تضـغط على يدها كلما جلسـت قبالتها على السرـير ، تشـتاق للمرآة للفراش البسـيط الذي كانت تنام عليه إلى جانبها ، اشـتاقت لفتح تلك النافذة التي أغلقت تماماً منذ رحيلها ، ربما مازالت تشـتاق لقبلات كان قد اختلسها منها ..

رأته يخرج من غرفته من جديد ، وبين يديه يحمل كيساً كلاسيكيا أنيقا للغاية ، أيقنت للوهلة الأولى بأنه يخفي بداخله شيئاً يريد تقديمه لها وإلا ما سر تلك الابتسامة التي ملأت وجهه ما أن تلاقت عيونهما اقترب منها وسألها :

- أتحبين أن تحضري الحفلة ؟
- بالطبع ما جئت إلى هنا إلا من أجل هذا .
- كنت واثقاً بأنك ستأتين لذلك ابتعت لك هذا الثوب الجميل من أفخر المحال التجارية على الإطلاق
- وما لذي جعلك تظن بأني سآتي ؟
- لدي حدسي وقلبي وها أنتِ قد فعلتها .
- ولماذا ابتعتَ لي هذا الثوب ؟
- لا أدري .. ما أن رأيته في واجهة المحل حتى تخيلتك تلبسينه ؟
- وكيف كنت أبدو ؟
- غاية في الجمال والروعة أنا واثق بأن اللون يناسبك
- ولكنك لا تعرف أي الألوان أفضل.
- وماذا تفضلين ؟

- أعشق اللون الأسود كنت أحلم في الصباح بأن أشتري ثوباً أسود ألا يكفي بأنه سيد الألوان ؟

- هو لكِ .

- حقا !

- لم لا تدعينا من هذا النقاش الممل ؟

- وماذا تريدني أن أفعل ؟

- أن تقبلي هديتي أريدك أن ترتدينه قبل وصول الضيوف .

- لماذا ؟ .. لكي أبدو من وسطك ؟ يؤسفني أنني لا أستطيع قبول هديتك .

تخلى عن هدوءه وصرخ بها بل وأمسك يدها وضغط على أصابعها حتى كاد يكسرها ، أحست بالرعب ولكن سرعان ما لمحته يهدأ ليقول لها :

- بل ستقبلين هديتي .

- لن ترغمني على ذلك فأنت لست ولي أمري .

تأملها للحظات كانت نظراته حادة مخيفة ، وكانت يده باردة أخافها ذلك الغضب الذي تقمص عينيه ، نظرت إليه لتجد نفسها عاجزة تماماً حتى عن تحرير يدها من قبضة يده ، لعنت ضعفها لأنها

تنازلت عن كبريائها ، وتبعت نداء قلبها لتدخل منزله ، شـعرت به يدس الكيس في أصابعها ، وفي تلك اللحظة اسـتطاعت أن تحرر يدها لتجري مهرولة إلى المطبخ وهى تحمل الكيس ، أرادت أن تحفظ دماء وجهها وتهرب من نظراته التي أخافتها ، هربت من لمســـة يده ، من برودتها وقسوتها يا إلهي ... نظرت إلى أم مظهر وقد كان المطبخ مكدساً بالأواني والخضـــار والفوضى تعم معظم أركانه .. تخلت أم مظهر عن عملها ، واقتربت منها تسألها :

- أخبريني مـاذا كـان يقول لـك ؟ ومـاذا كنتمـا تفعلان ؟ تعـالي ودعيني أرى الهدية التي جلبها لك .

أسـئلتها سـخيفة وفضـولها غير معقول ، وظنونها فاقت الحدود وأعمالها مملة لا تعجب سلام مطلقاً ، أرادت الهروب منها ومن أسئلتها فأسـندت باب المطبخ بظهرها فلمحته ينظر إليها قبل أن يغادر المكان إلى غرفته

، تبعته نظراتها بلهفـة حتى توارى عن نـاظريهـا وغيبـة البـاب ، صرخت من أعماقها صرخة صامتة :

- سُحقاً لي ولقلبي الذي يسيرني على هواه !

" ناريمان "

كانت السـاعة قد تجاوزت السـادسـة مسـاءً ، عندما طرق باب منزله ، فهرعت سـلام إليه تفتحه ؛ كيلا تتكرر طرقاته ، وتزعج سـامر الذي ربما يزال نائماً ، فتحت الباب لتجدها أمامها .. ناريمان ..

تبادلت معها النظرات للحظات ، ثم فوجئت بها تدخل المنزل دون أن تلقي عليها التحية ، وراحت تجيل ببصرـها فيه وكأنها تراه للمرة الأولى أو تبحث عنه .. تابعتها سـلام وهى تلقي بجسـدها فوق الأريكة ، وقد وضعت ساقا فوق ساق ، وراحت تهتف بأعماقها :

- إنهـا جميلـة حقـا ، ويحق لـه أن يحبهـا ، ولم لا وهى من نفس مستواه من عالمه من وسطه الفني ؟

جلسـت قبالتها ، وتجاذبتا أطراف الحديث ، وعرفت من خلال طريقتها في الحديث بأنهما حبيبان ، وأمه وحدها من كانت ترفض ذلك الحب ، وهاهي الآن قد ماتت ولن يمنعهما أحد من الارتباط ، كرهت غرورها مثلما كرهت ثوبها الفاضـح ، وتبرجها المبالغ فيه ، كرهت نظراتها الماكرة واعتدادها بنفسـها ، أصـحبت النار تغلي في عروقها ، وبعضها يمزق بعضها .. تساءلت :

- لمن ارتدت هذا الثوب ؟ ولم غرورها هذا ؟

أحســـت بخروجه من الغرفة ، ورأته يقترب منها ، ويصـــافحها ولكنها فوجئت بها تعانقه ، وتطبع قبلة على خده ، شـــعرت ســـلام للحظة بأن النار اندلعت في أوصـالها ، حتى هو أغضـبه ذلك التصرف فابتعد عنها ، ودعا كلتيهما إلى الجلوس ، جلســـت ناريمان وجلســـت سلام ، وراحت تراقبهما ..

هتفت ناريمان ، وهى تشير إليها :

- على فكرة خادمتك جميلة جداً ؟

طعنها ذلك القول في الصـميم ، وقبل أن تنبس ببنت شـفه رأته يهتف بغضب :

- إنها ضيفة ومدعوة إلى مائدة العشاء ، فقد كانت ممرضة أمي ، وتعمل في مستشفى الدكتور خالد .

وقفت (ناريمان) واقتربت منها ، وصـافحتها بتأفف واشـمئزاز ، وهى تهتف بلهجة ممطوطة :

- آسفة .. ظننتك الخادمة .

غضـبت ونهضـت منزعجة ، ثم رمقتها بنظرة حاقدة ، وتمنت وقتها لو تخرج من المنزل ، أزعجها كلامها وتلك الإهانة التي وجهتها لها ، دخلت إلى المطبخ ، ثم خطر لها خاطر ، وقررت أخيرا قبول هديته ،

اتجهت مسرعة نحو غرفة أمه ، وارتدت الثوب على عجل ، التفتت إلى المرآة ، ونظرت على نفسها وأخذت تدور حول نفسها معجبة بمظهرها الجديد ، بدا رائعاً بالنسبة لها يشبه ثياب الممثلات ، ثم سوت شعرها ، وتلمست بشرة وجهها وقد أحست بأنها جافة ، ثم نظرت إلى البيرو لتجده مزيناً بأدوات مختلفة الأنواع من الماكياج وأدوات التجميل الأخرى ، وتساءلت :

- من أين كل هذا ؟ .. لم تكن تخص أمه بالطبع ، وإن كانت فهي لم تكن موجودة حين كانت أمه حية . ضحكت ساخرة من لعبته تلك ثم تحدثت في سرها :

- يا له من ممثل رائع ! حتى هذه لم تخف عليه ، إن تلك الأدوات قادرة على أن تصنع منها امرأة خارقة الجمال والروعة بل إنها ستفوق ناريمان جمالاً .

ها هى تتبع أسلوبها ، وتقف لدقائق أمام المرآة ؛ كي تتبرج وتخرج إليها لترد لها إهانتها وربما أكثر من ذلك ، ممثلة متعجرفة تظن نفسها ملكت الدنيا ، يا لغرورها فهي لا تدري ماذا يصنع بها الدهر ، وكأنها اتخذت من الفن ذريعة لتوقع الناس في حبائلها المزيفة ، ناري .. يا له

من اسـم ! يناديها الناس بهذا الاسـم اختصـاراً لاسـمها الفني ربما هذا ما تريده هى .

حين وجدت نفسها تتصنع على وجهها ذلك القناع الذي لا يمت لها بصـــلة أحســـت بالغرور ، ألقت على نفســـها نظرة أخيرة ، وخافت للحظـة من الخروج إليهمـا وهى على تلـك الحـال ، إلا إنهـا تجرأت وخرجت لتواجه الواقع ، وتدوس على ضــعفها ، اقتربت منهما ، عندما شاهدتها ناريمان نهضت غاضبة ، والغيرة تمزق بعضها بل كادت تنهار كأي بناء زائف ، رغم كل شيء ظلت على غرورها ، واســـتمرت بإهانتها حين التفتت إليه تسأله :

- هل تملك خادمتك في منزلك خزانة ملابس خاصة ؟

قال لها ، وقد بدا مبهوراً بمظهرها الجديد :

- يحق لها ذلك ناري ، انظري إليها واصـــدقيني القول ، ألا يليق بها هذا اللون ؟ وماذا عن (ســـتايل) شـــعرها ؟ أنا أجدها رائعة الجمال بل ساحرة .

- أنت مخطئ عزيزي فهذا اللوك يجعلها مبتذلة ؛ لأنها تريد تقليدنا على ما يبدو .

ابتسمت سلامة في ثقة في حين هتف هو :

- لا .. لا تخبريني بأنك تغارين منها ؟

- أغار . أنا أغار منها ، وهي ليس إلا حثالة امرأة رخيصة تافهة .

- بل إنها غاية في الجمال والروعة تستحق أن تنال لقب الممثلة الأولى ..

قالت له غاضبة :

- تعال وأخبرني كيف تسمح لنفسك بأن تستخدم في منزلك فتاة شابة وجميلة ؟ هذا برأيي لا يجوز و ..

قهقه من قولها واستمر بتجريحها :

- لا بأس يكفيني اعترافك بأنها جميلة .

قرع جرس الباب فأرادت سلام أن تجري نحو الباب لفتحه إلا أنه استوقفها ، وقال لها :

- عزيزتي أنت ضيفتي ، وأنا سأفتح الباب .

رمقت (ناريمان) بنظرة ساخرة ، وجلست على الأريكة ووضعت ساق فوق ساق ، وقام هو بالمهمة

، راح يستقبل ضيوفه بملابسهم الفاخرة وابتساماتهم الكاذبة ، كان يعلم بأنهم ليسوا إلا قشوراً لامعة ، لا يحملون بداخلهم أية جواهر

إنسانية ، واليوم اكتشف بأن ناريمان تنتمي إليهم ، لا تحمل بداخلها أية جواهر إنسانية ، حقا ليس كل ما يلمع ذهباً !

لذلك لم يعد يريدها زوجة ، هذا ما صرح به لسلام خاصة ، وأنها كانت السـبب بكل ما حدث لأمه الراحلة كيف يتزوجها ؟ وسـيرى من خلال وجودها في منزله صورة أمه الغاضبة عليه .

*****

كان الجميع قد تناول طعام العشاء ، عندما اقترحت ناريمان على الجميع أن يرفهوا عن أنفسـهم من خلال الموسـيقى ، فوضـعت بالكاسيت شريطا صاخبا لم ينل إعجاب الحاضرين ، فنهض هو ووضع بالمسجل شريطا انبعثت منه الموسيقى الهادئة فتجاوب معها الحضور ، فوجئ بها سـامر تقترب منه لتدعوه إلى الرقص وقد شـجعها الجميع بالتصفيق والهتافات التي اعتاد عليها أصدقاؤه وجد نفسه مرغماً على مشـاركتها رقصـتها ، فقررت سـلام الانسـحاب لتختفي في الرواق الذي يفصـل المطبخ عن الصـالون ، وكانت تتمنى أن تنال جرأتهم لتشـاركهم مرحهم ورقصـتهم ولكنها تعرف بأنها ليسـت منهم بل لا تشـبههم ، شـعرت بالغيرة من تلك المرأة الارسـتقراطية ، كانت تحس بأن نظراته

تبحث عنها وحين لمحها إذا به يعتذر لها بحركة من رأســـه ، أشـــعرها اعتذاره بالارتياح ولمست في عينيه ذات البريق الذي رأته في تلك الليلة

تمادت ناري كثيراً وكادت تحتضــنه وتلتصــق به تماما في حركات خليعة أثناء الرقص ، فشعر بالضيق ، وأراد أن ينهي تلك المهزلة فتركها وحيدة وســط القاعة ، واتجه إلى حيث كان يجلس فراحت تتبعه وهى تلملم أذيال خيبتها أمام الجميع !

ملت تلك الســـهرة المزيفة ، وتمنت لو تنتهي بسرـعة لكي تغادر ذلك المنزل ، دخلت إلى المطبخ لتطلب من أم مظهر أن تعد القهوة علهم يشـــعرون بالملل ويغادرون منزله ، فوجئ حين رآها تخرج من المطبخ وهي تحمل القهوة لتقدمها لضيوفه ، شعرت بإعجابه ولهفته خاصة عندما نظر إليها أحدهم وأبدى إعجابه بها ، كانت نظراته خبيثة ماكرة تكاد تلتهمها وتحترق مسام جسدها .. تجرأ وسألها :

- من تكونين ؟

وفاجأها ناريمان صوت اللئيمة حين قالت له :

- إنها الخادمة .

أنقذها سامر من ذلك الموقف السخيف الذي وضعتها ناريمان فيه ، حين قال :

- ناري تحب المزاج .. هذه الشـابة قريبة لي ، وتعمل ممرضـة ، وهى ضــيفتي مثلكم جميعا ضــيفتي إلا أن خجلها منعها من مشــاركتنا جلستنا هذه خاصة وأنها تمل من الحديث عن الفن على الدوام .

نهض ســامر ، وتناول منها ما تحمله ، فأحســت فجأة من خلال نظرات عينيه بأنه يلومها ؛ لأنها عرَّضت نفسها لتلك الإهانة ، كان ذلك الرجل ما يزال يرشــقها بنظراته الخبيثة ، وســامر يراقب تحركاته ، ويستشيط غضباً ، شعرت بغيرته وسخطه ، خافت من أن تتمادى تلك النظرات ، فقررت أن تغادر على المطبخ إلا أن ذلك الرجل اســتوقفها ، ونهض ليسألها :

- هل تجيدين الرقص ؟

فدخل سامر بينهما ، وقال :

- لا تجيد الرقص إلا معي

نظرت إليه ، وهي في حيرة من أمرها .. بالفعل تحيرها معاملته تلك ، وتســاءلت أمعقول أن يصــنع منها شريكته في الرقص ؟ وجدته يتجه نحو المســجل ليعيد الشريــط ، ثم فوجئت به يتجه نحوها ، فأحســت بقلبها يخفق خفقاناً عجيباً ، وشــعرت بأن نظراته تدعوها لمشــاركته ، وقد بدا واثقاً تمام الثقة بأنها ســتســتجيب لرغبته ، وتقبل

عرضه على الملأ .. لم تكن تدري ما الذي يحدث أمامها ، بدت جاهلة تماماً بل وكأن نظراته خدرتها تماماً ، أحست بذراعيه تحيطان بها ، وهو يقول :

- انظروا إنها تجيد فن الرقص أكثر من المحترفين أنفسهم .

وجدت نفسها تنجرف إلى عالمه وتستجيب له ، وهي لا تملك إلا الصمت لقد شعرت بحماس يملأ كيانها ، أحست بقربه منها وبحرارة أنفاسه وبتقارب عيونهما ، شعرت بالحب والاندفاع أما هو فبدا كما لو أنه كان على موعد بذلك اللقاء ، بنظره الثاقب استطاع أن يدخل أعماق عينيها ليبحث عم تخفيه ، قربها إليه حتى شعر بحرارة أنفاسها ، وقد كانت مسحورة بحبه إلى حد الجنون ، فجأة توقفا عن الرقص ، وأخذ يتبادلان النظرات ، نسيا أمر الضيوف تماماً وكلاهما سأل نفسيهما نفس السؤال :

- ماذا اكتشف كلا منهما في عيني الأخر ؟

إنه لإحساس غريب ذلك الذي شعرا به ، خافت سلام من تلك النوبة الجنونية التي أصابت ناريمان ، خافت من سخطها وغضبها خاصة عندما رأتها تنهض ؛ لتتجه نحو المسجل ، وتضغط زر التوقيف

بطريقة عصبية مخيفة ، ثم نظرات إلى الجميع نظرة غاضبة ، وقالت بتوتر :

- أحتاج إلى من يقلني إلى المنزل .

نهض الجميع ، فسمعت سلام ذات الرجل يقول لسامر :

- تعلم يا سامر بأن ناري تحب صحبتك ؛ لذلك قم بمهمة توصيلها إلى منزلها .

شعر بالإحراج ، فاقترب من الجميع ، وقال والعرق يتصبب من جبينه :

- لم الرحيل ومازال الوقت مبكراً ؟

لم يجبه أحد بل اتجهوا نحو الباب الخارجي ، فاقترب هو من سلام وهمس قائلا :

- سلام ابقي هنا ؛ سأعود لأقلك إلى منزلك .

أرادت الهروب من ذلك الموقف الذي وضعت نفسها فيه ، وغادرت الصالون إلى المطبخ ، ومع ذلك كانت تشعر بانتصار عظيم ، أجل انتصرت عليها ، وأفسدت ليلتها ، وهذا ما كانت تريده لكي ترد إليها إهانتها

" لعبة الشيطان "

مر الوقت بطيئاً وقد ملت القراءة ، فوجدت نفســـها تغفو على الأريكة قبل انتصاف الليل بعد ان سألت نفسها عن سبب تأخره؟ تباً لســـوء حظها لا بد أن خالتها قد نامت الآن .. دقائق قليلة وشـــعرت بحركة أمام الباب الخارجي ، أصابها الذعر ونهضت بخوف لكي تنظر إلى حيث صدر الصوت ، وسارت نحو الباب فلم تعد تسمع شيئاً ، وعندما قررت العودة إلى حيث كانت تجلس عادت تلك الحركة ، انتابها الرعب مرة أخرى وهى تلصـــق أذنها بالباب ، وهنا أيقنت بأن صـــاحب المنزل نسي مفاتيحه ، فهتفت بصوت خنقه الرعب :

- من بالباب ؟

وسمعت صوته يتسرب إلى مسامعها :

- افتحي الباب بسرعة .

فتحت الباب ، وفوجئت به أمامها متعبا ضعيفا ، فساءها منظره ، وهو يسير مترنحا للصالون من تأثير السُكر ، فصرخت بأعماقها :

- تباً له كان عندها وشرب حتى ثمل .

قذف بجســـده الضـــعيف فوق مقعد قريب ، وقبل أن يغمض عينيه تنبه لوجودها ، وسألها بصوت متقطع :

- أمازالت هنا ؟

- أجل لأنك نسيت مفاتيحك هنا .

حاول أن يستعيد وعيه للحظات ، ثم نظر إلى ساعة يده وقال :

- ألهذا لم تذهبي إلى المنزل ؟

- أو كنت تظنني أستطيع الذهاب وحدي في وقت كهذا ؟

حاول الوقوف فلم يتمالك نفسه فسقط فوق المقعد من جديد ، نظرت إليه وأشفقت لحاله ، فاقتربت منه ، وثارت عليه :

- أين ذهبت معهم ؟ وكم عدد الأقداح التي شربتها ؟

قال بكلمات متقطعة ، وهو يرفع سبابته :

- أنت محقة الأقداح .. إنها أقداح كثيرة .. كلها امتلأت بألوان متعددة و لكنها كانت لذيذة .. لذيذة

- ماذا...لم أكن أعرف بأنك تشرب ؟

ضحك متثاقلا ، وقال :

- حقاً ؟ ولا أنا .. تعلمين لقد أجبروني على ارتشـــافها ، ووضعوا من أجل ذلك الرهانات .

- سحقاً لهم أصدقاء السوء .

- لا .. لا تقولي عنهم هذا .. إنهم أصدقائي اعلمي هذا جيداً .

حاول أن ينهض من جديد ، ولكنه تهاوى كقطعة ورقية ، وأصبح في نظرها هزيلا ضعيفا لا يقوى على السير ، اشمأزت من مظهره حين رأته يتقيأ بطريقة مقززة ، أمسكت ذراعه وساعدته بالدخول إلى الحمام ، واقتربت نحو المغسلة وأحاطته بذراعها ، وراحت تغسل وجهه وفمه ، ثم سارت به بصعوبة إلى غرفته ، ودفعته إلى سريره بعد أن أخذ التعب منها كفايته ، ثم خرجت مسرعة إلى المطبخ فما هى إلا دقائق حتى عادت إليه ، وهي تحمل كوباً كبيراً من القهوة ، كان قد غفا قليلاً فجلست إلى جانبه ، وأخذت تجبره على شرب القهوة ؛ لتفسد تأثير الخمر ، ثم نظرت إليه ، شعرت وكأنه ينتظر الموت ، شرب القهوة بالقوة ثم أخرجت منديلا ورقيا من العلبة المقابلة للسرير ، ومسحت فمه أحست بأنه تحول بلحظات إلى طفل صغير يحتاج للرعاية ، لم يتحمل قصة إرغامها له على شرب القهوة بل أحست بأنه أصيب بحالة هستيرية ، أرادت الابتعاد عنه لأنها أيقنت تماماً بأنه سيخرج من معدته تلك السموم التي أفقدته السيطرة على نفسه وجدت صعوبة بالابتعاد ، فحدث ما توقعته ، وأخرج من فمه ما ضاقت به معدته على ثوبها ، نظرت إلى نفسها باشمئزاز ، ثم عادت إليه لتتأمله ، لا تدري كيف فقدت السيطرة على نفسها لتتجرأ ، وتهوي بيدها على صدغه و

صـفعته صـفعة أعادته إلى رشـده ، نظر إليها نظرة مرعبة خافت منها ، لم تكن تعرف إن كانت نظرة حقد أو لوم على ما اقترفته يدها بحقه ، أيقنت للحظة بأنه ســينهض ويصــفعها هو الأخر ؛ ليرد إليها الصــاع صـاعين ، تغيرت نظراته وتحولت إلى نظرة شـهوة ربما .. تملكتها رغبة قوية بالخوف ، وأحسـت بأنها أصـبحت فريسـة لنظرات غير مسـتحبة بالنسبة لها ، نهضت مسرعة من أمامه كمن لدغتها أفعى ، وأرادت الفرار إلا أنه أمسك يدها وسألها :

- إلى أين ؟

أجابته بصوتها المرتجف :

- سأخرج لأغسل هذه البقعة التي لطخت ثوبي

ترك يدها فقالت :

- انظر ما فعلت بي .

- آسف لم أكن أقصد .

سـارت نحو الحمام ، وغسـلت البقعة بصـعوبة وعندما انتهت ، فوجئت به يقف قبالة الباب ، لا تدري لماذا شــعرت فجأة بالرعب يتسلل إلى أعضائها ، أسدلت ثوبها فوق ساقيها ، وسوت شعرها على

عجل ، ورمقته بنظرة خاطفة فأحســـت بأن براكين الفحش الكامنة في أعماقه قد تفجرت ، تفحصها بنظرات اخترقت مسام جسدها ، وقال :

- أنت جميلة .
- ماذا تريد ؟

لم يرد عليهـا فـأرادت الهروب منـه ومن نظراتـه وتلميحـاتـه ، وســـارت نحو الباب لتجده يســـده بذراعيه كما لو أنه يريد منعها من الخروج ، نظرت تحت ذراعه ووجدت لنفسـها مكاناً للعبور فشـاهدها ، وهي تنحني لكي تخرج من تحت ذراعه ، وهي تحمل قطعة قماش مبللة لتعود بها إلى الغرفة ؛ كي تنظف بقايا ما أخرجه من فمه ، جثت فوق ركبتيها ، وأخذت تمســـح البقع وبداخلها تغلي براكين الخوف ، لعنت نفسـها ألف مرة ، تسـتحق أن تجلد مئة جلدة لأنها بقيت في منزله .. ثم تساءلت :

- ما شـأنها هي به دخل منزله أم بقي خارجه إنه رجل ويمكنه تدبر أمره ؟

كانت ما تزال جاثية على الأرض عندما سـمعت صـوته من جديد :

- أين هي أم مظهر ؟

- ذهبت إلى منزلها .
- وأنت لمَ لمْ تغادري؟ أكنت تنتظرين عودتي ؟
- أخبرتك بأنك نســـيت مفاتيحك هنا ، وخفت أن أخرج ، وتبقى أنت في الشارع .

كانت ما تزال منكبة على قطعة القماش عندما شـــعرت بقدميه تقتربان منها ، رفضت النظر إليه وربما خافت ، وكاد قلبها يقفز من بين أضـلعها ، اسـتيقظت فجأة من غفلتها وتركت ما بيدها ، وأرادت الفرار من ذلك الخوف الذي اعتراها ، فسألته دون أن تنظر إليه :

- كم الساعة الآن ؟
- تجاوزت الثانية عشرة .
- يا إلهي لقد تأخرت يجب أن أذهب .

تجـاهـل أمر تـأخرهـا ، وتـأملهـا بعمق بـل وأرادهـا أن تنظر إليـه لتتلاقى عيونهما كما فعلا عندما راقصـــها ، وكأنه أرادها أن تؤدي أمامه مشـــهداً ســـينمائياً رومنســـياً ، ربما أرادت هى الأخرى مجاراته فتكرمت أخيراً عليه ونظرات إليه ، ما لذي حدث لقلبها الضعيف ؟ لقد أحست فجأة برعشـــة مرعبة مخيفة تسرـي في عروقها ... إنه لشـــعور غريب

ذلك الذي بدأ يعتري كيانها .. خاطبها بطريقة مسرحية ، ونظراته تلاحقها :

- كم كنت غبياً عندما فكرت بها هى ، كيف لم ألحظ كل هذا الجمال القابع أمامي منذ مدة طويلة ، وقد كنت على مرأى من عيني ؟

لم تستطع مجاراته في مشهده المسرحي ، بل أحست بالخفقان الشديد في قلبها ، عندما استمر في حواره الجديد عليها :

- تعلمين ؟ لم أكن أعرف يوماً بأنك تجيدين فن الرقص وعلى طريقتنا نحن .

- دعنا من هذا الحوار الممل وانظر كم أصبحت الساعة ؟

أصر على تجاهله لحديثها ، واستمر في حديثه الذي لم يكن شيقاً بالنسبة لها ، أحست بأنه يريد ترويضها :

- طعامك كان لذيذاً ، وقد أجمع الكل على أنك طاهية ممتازة .

- أنا لم أفعل شيئاً سوى أنني ساعدت أم مظهر .

- لا بأس كم تريدين ؟

- كم احتقر عرضك هذا ؛ لأنني حسبما أذكر كنت مدعوة كالآخرين ولم أكن خادمة ، عرضك هذا يشعرني بالإهانة ، وقد ظننتك صديقاً .

- ولكن هذا لا يمنع أنك تستحقين أن تنالي أجرك .

- تعلم تماماً بأن المال لا يهمني مطلقاً ؟

- لمَ كان مجيئك إذاً ؟

لم تدري ماذا تقول له ؟ إنه لا يعلم بأن ما جاء بها إليه هو حبها الجارف له ، اخترقت بمجيئها كل القوانين والمبادئ التي تربت عليها ، وكأنها جاءت إلى حتفها بقدميها .. هتفت بحنق :

- لم أكن أعرف بأنك لا تستحق أن يمنحك الآخرون الحب .

اقترب منها ، وقال بطريقة قريبة إلى الهمس :

- هل تعلمين بأنكِ خارقة الجمال والروعة ؟!

ثم تجرأ وأمسكها من كتفيها ، وقربها بطريقة مسرحية ساحرة نحو المرآة وقال :

- انظري إلى المرآة ، وراقبي جمال وجهك ونقاءه الذي أصابه الخجل ، و ربما الخوف والارتعاش ، صدقيني رغم خوفك وأحزانك أجد بأن وجهك يضخ عسلاً من نبع أنوثته ، أحس بأنه يدعوني إليه لأقطف من نبعه جرعة كنت قد حرَّمتها على نفسي سابقاً .

تكره طريقته التي يحدثها بها ، ورغم ذلك أرادت أن تكون قوية ومتماسـكة ، تجاهلت أمره ، وتمنت لو أنها تسـتطيع السـير نحو باب الغرفة ؛ كي لا تضـطر لصـفعه من جديد ، ولتخرج من منزله بأمان ، إلا أنه أعاد الكرة ، وأمسك يدها ، وهو يسألها :

- إلى أين يا غزالتي ؟

- إلى منزلي .

- ليس قبل أن تنالي أجرك .

اندهشت بل إنها خافت من تكرار تلك الجملة حتى إنها أصبحت تعي تماماً ماذا يقصد ، وأيقنت بأن عينيه قد كشفتا عن خداعهما كما لو أنهما تريدان افتراسـها ، يا لتلك الرغبة الشـيطانية التي حولته فجأة من ذلك الملاك الطاهر إلى ذئب كشر عن أنيابه .. صاحت بخوف :

- سأغادر .

فقال بطريقة قريبة إلى الشعر :

- كيف تغادرين وقد وجدت فيكِ ملاذي الطيب ؟ دعيني أذوب في عالمكِ السحري ، دعيني أنسى نفسي

وأنا بين ذراعيكِ .

أيقنت بأنه يردد على مســـامعها جملة كانت قد قرأتها في إحدى ســـيناريوهاته التمثيلية ، مازالت تذكر المشـــهد تماماً ، وهي تعلم ماذا كانت النهاية ، تنبهت لنفسها ، وحررت يدها منه ، وصرخت به :

- أفق من غفلتك ؛ فلستَ أنتَ أحمد بطل السيناريو ، ولستُ أنا بمنال البطلة، أفقْ فعالمكَ لا يشبه عالمي .

وكأنه لم يسمع حديثها ، استمر في حواره .

- ماتت أمي ، ولم أجد من يومها للأنوثة مكانا في منزلي .

- تزوج يا ســيدي فيعود رونق الحياة إلى مســاره الطبيعي في منزلك ، وقتها ســتجد الأنوثة تملأ عليك المكان غبطة وسرورا ، ســتجد من خلالها شاطئ الآمان والمرسى .

- أمي كانت تقول لي هذا .

- كانت تريد صالحك رحمها الله .

اقترب منها وحمل يديها وقال :

- ولكنها لم ترد لي أية امرأة .. كانت عنيدة في اختياراتها لي .. لماذا ترجفين ؟

- لأنني أستحق الموت .

- لا تقولي عن نفسك هذا .

- لقد نســـيت أمر الشـــيطان وألاعيبه الخبيثة ، تجاهلت أمر إغراءاته ، ما كان يجب عليَّ البقاء في منزل يملكه رجل أعزب .

- سلام أنا أحبك .

- الشيطان وحده من أرشدكَ لقول هذه الكلمة لتنال مبتغاك .

- دعينا من أمر الشيطان الآن .

- إنه سبب مصائبنا .

- لا تغيري الحديث .. أقول لك بأني أحبكِ .

- بل أنك مازلت تعاني من تأثير الخمر ؛ فأنا أعلم بأنك لم تحب إلا ناريمان .

- لن تسامحني أمي إن تزوجتها ، هي قالت لي هذا قبل موتها .

- إنْ كنت تخاف من غضـــب أمك حتى وهي ميتة ثق بأنك لن تجد من خلالي بديلة لناريمان .

- ومن قال بأنك ستكونين بديلة ؟

لم يعد يطيق صبراً على مناقشتها ، وجد نفسه يقترب منها أكثر ، وبحركة تمثيلية ومفاجئة أحاطها بذراعيه ، وصاح بها :

- مجنونة أنتِ .. أصبحتِ فتاة أحلامي .. أحبكِ ، وما عدت أفكر بها مطلقاً .

- دعني أغادر أرجوك .

- كيف تغادرين وأنا أقول لك أحبك ؟

- هذا لا يعني أنكَ ملكتني .

- ماذا ترين الآن ؟ انظري إليَّ ألا أملكك ؟

خافت من أسـلوبه ، إنه يختلف كثيراً عن سـامر الأمس ، أرادت أن تنهي تلك المهزلة بأسرع وقت ، فقالت له :

- حسنا نتحدث فيما بعد .

- ليس هناك بعد ، تعلمين أني متعطش للحظة هانئة أقضـيها بسلام مع مَنْ أحب .

أصـيبت بالذعر ، وأصـبحت تنظر في محتويات الغرفة وسـقفها وسريرها ، تأملت باب الغرفة المفتوح ، أرادت الفرار بأية طريقة من ذلك المشهد ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك ، وذراعا هذا الرجل تقيدها تماماً ، وتشـعرها بالعجز والضـعف والهزيمة ، تشـعرها بالضـياع ، ومع كل هذا تشعر بأنها مازالت تملك نفسها

، نظرت في عينيـه اللتين كشـفتـا عن لهفتهمـا المحمومـة ، وتصارعت الأفكار بأعماقها :

- ماذا بذلك ؟ .. إنها تقف مع الرجل الذي تحب ، والذي نال شرف الشـــهرة والنجومية وحب الناس وإعجابهم ؟ .. لا إنها مخطئة ، فأين هي من كل ذاك ؟ ماذا ســيحدث له لو دفعته بكل قوتها إلى سريره أو حتى على الأرض ؟ لا يهمها إن تحطمت جمجمته أو حتى تحطم قلبه وتهشـمت مشـاعره ، فهذا أفضـل ألف مرة من أن تصـحوا لتجد نفسها بين ذراعي الخطيئة ، ولكن كيف تهرب من كل هذا ، وهى عاجزة تماماً بين ذراعيه ؟

إنها له ، هذا كل ما كان يفكر به ، انفجرت عيناها بالدموع ، وقالت بتوسل :

- دعني أغادر أرجوك ؛ فأنا لا أملك في هذه الدنيا إلا نفسي .

- وأنا لا أملك إلا عينيك وأحلامي .

حمل وجهها وخاطبها :

- جميلة هذه اللآلئ التي تهطل من عينيك .

مسحها بأطراف أصابعه ، وهو يقول :

- تغريني هذه الدموع ؛ لأنها أضـــافت إلى وجهك جمالاً وزادت عينيك بريقاً ســـاحراً ، أنا الرجل الذي عرف طعم الشـــهرة والنجومية

يحق لي أن أتنحى ولو لبعض الوقت عن كل هذا لأهنأ بعينيكِ الجميلتين .

نسيـــ أمر نفســـه تماماً ، إنه لا يفكر إلا بها ، وببعض رغباته المكبوتة ، يريد أن يتذوق طعم الشـــهوة وعظمة الرغبة التي أخذت تجتاح قلبه ، تخلى عن أخلاقه ومبادئه ، ونسيـــ تماماً بأنها فتاة ريفية النشـــأة ، ويمكن أن يؤدي عمله ذاك بها إلى التهلكة .. وهى ماذا حدث لها ؟ لماذا هذا الضـــعف ، ولماذا تســـتجيب له ولقبلاته المحمومة ، تســتجيب للخطيئة ؟ ضـعيفة أمام همســاته ، لمســاته ، وقبلاته التي تلثم وجهها ، شفتيه تمسح دموعها ، ربما كان يتذوقها ، يستلذ بضعفها ، رغم حبه لها وتمسكه بها إلا إنه يلعنها ويلعن ضعفها واستسلامها ، يلعن حبها له رغم كل ما كان يفكر به ، حقق من خلالها انتصاره ..

ها هى قد تحولت إلى امرأة ، وربما إلى حطام ، تقدم إلى من تحب كل ما تملكه ..

ها هي كما قالوا في الروايات تعيش رهينة اللحظة ، وتســـلم كل أسلحتها ، أصبحت وبدون أن تخطط لذلك بين ذراعي الخطيئة ، يا لها من لعبة مشينة تلك التي حرضهما الشيطان على اللعب فيها ، هو جرى خلف رغبته المحمومة ، وباع اسمه وضميره في سوق اللا أخلاق ، وهى

نســـيت من تكون ، وباعت عفتها بأرخص ثمن ، كانا ما يزالان في قمة النشـــوة حين اســـتيقظا من غفلتهما فوجدا نفســـيهما غارقين في بحر الخطيئة والضـياع ، ما يزال يجلس في غرفته يلوم نفســه على ما اقترفه بحق البائسة ، وهى تحشر نفسها في زاوية صغيرة خلف الباب الخارجي ، تكورت كقطة صغيرة هربت من البرد و الصقيع ، هى نفسها مازالت لا تصدق حتى تلك اللحظات بأنها أخطأت .. أجل أخطأت حين سمحت لنفســـها بالبقاء في منزله دون أن تضـــع في بالها بأن ذلك الســـكير ســيتعجرف ويظن نفســه يملكها ، كيف لا وقد علمه عالمه المترف أن يحصل على كل ما يريد ، حتى وإن كان ما يريده ليس من حقه ..

الآن .... الآن تلعن نفســـها وتكره وجودها ؟ كان عليها أن تفعل ذلك ، قبل أن تغرق في ذلك الوضـــع المهين والمنافي لأخلاقها ومبادئها .. ليس من حقها أن تندم ؛ لأن الندم بعد فوات الآن لن ينفعها مطلقاً ، شاهدته يخرج من غرفته ولشدة خجلها حجبت وجهها بيديها .. اقترب منها وتأملها لبعض الوقت ، ثم جلس إلى جانبها ، وأخذ يربت على كتفها وهو يقول :

- أنا آسف .

صرخت به :

- وبم تفيد هذه الكلمة الآن ؟

- لم أكن واعيا .

- كلانا أعمى بصيرتنا الشيطان ، قاتله الله ، يا إلهي لم أكن أعرف بأنك قدمت لي هذا الثوب لتراودني عن نفسي .

- ليس هذا ما أردته وأنت تعلمين ؟

ضربت نفسها ، وكادت تقطع شعرها ، وهى تشتم نفسها :

- أنا قذرة سحقاً لي ، أنا قذرة سحقاً لي .. ماذا أقول لأمي ؟

- لن تخبريها .. أليس كذلك ؟

- أو كنت تظنني أخفي أمراً كهذا عن أمي وهي بيت سري ؟ حتى وإن أخفيت عنها الأمر إلى متى سيستمر هذا ؟

نهضـــت متثاقلة ، واتجهت نحو الباب ، ووضـــعت يدها على مقبضه ، فاستوقفها قائلاً :

- إلى أين تذهبين ؟

- إلى منزلي .. هل مازال لديك شيء أخر ؟

سار خلفها ومسكها من كتفيها ، وقال :

- لن تغادري وأنت على هذا الحال ، ثم قبلها وضمها إلى صدره ، دفعته عنها وصرخت به :

- دعني لم يعد يهمني كل ما ســـيحدث لي ؛ ما كنت أخاف عليه قد فرطت به ، وانتهى الأمر ، سحقاً لي المهم أنني لا استطيع النظر إلى وجهك الكريه .. أكرهك .. أكرهك وأتمنى قتلك .

- أيتها البلهاء كان عليك أن تدفعيني عنك عندما كنا على فراش الخطيئة وليس الآن .

جرحها في الصـــميم ، طعن مشـــاعرها بالإهانة وقلة الحيلة ، نظرت إليه باحتقار وهي تعلم بأنه محق ، وجدت نفســـها تجري إلى خارج المنزل تاركة بابه مفتوحاً على مصراعيه ، أصبحت تشعر بكرهه وكره عالمه الباذخ ، وتشعر بكرهها لنفسها ؛ لأنها هبطت إلى مستوى الحيوانات حين رضخت لرغبة محمومة كان يحملها داخل عينيه ، وهى ساهية تماماً عما يمكن أن يحدث غداً ، أحبته إلى درجة جعلتها تنسى أمر نفسها التي أوقعتها في براثن الشيطان .. صرخت من أعماقها :

- ســحقاً لي ، وتباً للحب الذي جعلني وبدون إرادة مني أهبط إلى أسفل السافلين .

وجدت نفســـها في الشـــارع وحيدة ، لا تعرف إلى أين ســـيكون المســـير ، وقد كان الشـــارع مظلماً مخيفاً إلى أبعد حد والســـكون يعم المكان ، يعذبها السكون ويقتلها الصمت الرهيب ، تسير وهي تشعر

بأن قلبها يكاد ينخلع من صدرها ، وقبل أن تصل إلى منزل خالتها ببضع خطوات لمحت ذلك الشـــاب من جديد ومعه آخرون فازداد خوفها واضـــطرابها ، رمقها بنظرات حادة مخيفة فهمت معناها على الفور ، تعلم بأنه محق ؛ أين يمكن أن تكون فتاة مثلها وفي مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ لا بد أنه يفكر بأنها إما من بائعات الهوى أو أنها كانت تلهو في إحدى المراقص الليلية ، ومن يدري ربما فكر بأنها تلهو مع أحدهم في الخفاء ، وبعدها أصـــبحت تتســـكع في شـــوارع المدينة باحثة لنفســـها عن مأوى وتســـاءلت .. ألم تكن تلهو مع أحدهم ؟ .. ولكن ما شـأنه هو ؟ فهل يعرف من تكون ؟ بالطبع لا فهي بالنسـبة له الآن فتاة شـــارع رخيصـــة تبيع نفســـها إلى كل من هب ودب ، دون أن تضع وزناً لكرامتها ، ركضت مسرعة نحو منزل خالتها ، وطرقته بسرعة وهي تتلفت يمنة ويسرة ، خائفة من نظرات الجميع ، ومن ستار الليل المخيف ، خائفة من نظرات ذلك المعتوه ومن معه ، تأخرت خالتها حتى فتحت الباب لها ، وهي ما تزال واقفة ، والنار تشـتعل في صـدرها أخيراً أشفقت على حالها ، وأخمدت النار المندلعة بداخلها حين فتحت خالتها الباب فشـــعرت بعدها بالأمان ، نظرت خالتها في ســـاعة يدها ، وقالت :

- حتى الآن ؟ مللت وأنا أنتظر قدومك .

لا تدري كيف خارت قواها ، فوجدت نفسها ترتمي بين أحضانها ، عانقتها خالتها بقوة ودخلت بها إلى المنزل وأقفلت الباب خلفها ، بكت .. بكت كثيراً قبل أن تأخذ لنفسها نفساً عميقاً ، سألتها خالتها بهلع :

- ألا تخبريني ما لذي حدث ؟

- لا شيء ... لا شيء .. الآن فقط أريد أن أشعر بالأمان .

- ما بك أفزعتني .

- أريد أن أنام .. أنام فقط ، أن أشعر بالأمان ، آه يا خالتي أخبريني بأن ما حدث كان مجرد كابوساً

- وما لذي حدث ؟

- من فضلك أريد أن أنام .

سارت بها إلى غرفة الضيافة ، وهي تريد أن تمحو كل ما حدث من ذاكرتها ، وجدت نفسها بلا شعور ترمي بجسدها المنهك فوق السرير ، دثرتها خالتها وجلست قبالتها على السرير ، ومازالت تحاول تهدئتها

ترتجف ، ترتعش ، تشعر بالبرد الشديد ، وتهذي بجملة واحدة :

- ليته كان كابوساً .. ليته كان كابوساً ..

وخالتها تحاول أن تفهم ما حدث ، وتسرق منها خوفها ، وتهدئ من روعها ، وتدلك ساعديها كأم حنون

، مرت لحظات طويلة وعيناها شاخصة بخالتها ، ثم ما لبثت أن وجدت نفسها تغط في سبات نومٍ عميقٍ

"وأصبح ابن عمها ثالثهما "

لم تستطع سلام نسيان ما حدث ، وظلت تكتم في أعماقها أحداث تلك الليلة التي خسرت فيها أعز ما تملك

، قررت بينها وبين نفسها تخطي تلك المرحلة رغم حبها الشديد له ، فلو كان رجلاً لجاء وكفر عن غلطته ، وألزم نفسه بتحمل كامل المسئولية ، ولكنه لم يفعل ، لهذا وجدت نفسها تجري خلف حلم أخر ، ومن غير فراس يخرجها من تلك المصيبة التي أوقعت نفسها فيها ؟

فراس لا يعلم بشأن علاقتها بسامر ، ولكنها تستطيع تدبر أمرها في الوقت المناسب .. موجع جدا ما حدث معها ، ولكنها تحمل نفسها كل المسئولية ، فراس أصبح بالنسبة لها ملجأً لآلامها وخوفها من

الأيام القادمة ، لم تطلب شـــيئاً إلا أن تراه أمامها معتذراً لها ؛ لكي تسترجع كرامتها ولكن .. هيهات !

******

إنها تفكر الآن بنسـيان كل شيء ؛ لترسـم مخططات المسـتقبل ، وقررت أخيراً الارتباط به إلى الأبد ، ربما هي ســعيدة بما تصــنع ، وأمها كذلك لأنها لا تملك إلا أن تطمئن عليها وعلى مســـتقبلها دون أن تفكر بما تخفيه لها الأيام بين طياتها .. القدر دائماً يقف حائلاً بينها وبين ما تخطط له ، فما أن قررت النسيان حتى ظهر من جديد على خط حياتها فباءت كل مخططاتها بالفشل ، فوجئت عندما سمعت صوته في منزلها ، خفق قلبها من جديد ، ونســـيت بلحظات ما وعدت فراس به ، أمعقول أن تكون متقلبة المزاج إلى ذلك الحد؟

كانت قابعة في غرفتها عندما دخل إلى المنزل ، فاســـتقبلته أمها بجفاء ، وأولته ظهرها في بداية الأمر ، وكأنها أرادت طرده من منزلها ، حدثته بنبرة غاضبة حاقدة :

- ماذا تريد ؟

- تعلمين بأني جئت أراها ؟

- بأي صفة ؟

- أريد أن اعتذر لها حسبما أذكر إنها خرجت من منزلي غاضبة .

- وهل تظنها تقبل اعتذارك وأنت الرجل السافل ؟

- سيدتي أنا في منزلك فلا داعي لإهانتي .

- أنت استغليت ضعفنا وفقرنا ، فماذا تريدني أن أقول لك برأيك ؟ أن أخذك بين ذراعي وأقبلك وأشكرك على ما فعلته بها ؟

- يحق لك أن تغضبي ؛ فأنا أستحق القتل ولكن صدقيني ، الأمر لم يكن في يدي ، وليست تلك طبيعتي سيدتي ، احكمي علي بما تشائين .

- لسنا هنا لمحاكمتك فنحن نريدك أن تتركنا بسلام ، وبما أنك جئت دعني أخبرك بأن ابنتي ستتزوج عما قريب .

صعقه الخبر ، ولاذ الصمت واجماً دون أن ينبس ببنت شفة ، كان على وشك المغادرة عندما استوقفته ، وقالت له ساخرة :

- هل تعلم أنها مازالت حائرة أيهما تختار ؟ ابن عمها الذي بمقدوره أن ينتزعنا من الفقر أم فراس الذي تحبه .

قال محتجا :

- وهل يعلم فراس بأنها قضت ليلتها معي أنا !

لم تعترض أمها على جملته ، وكأنها لا تعلم أو ظنها تتظاهر.

- هذا ليس شـأنك ، هو سـيتفهم الأمر حتما ، لقد نصـحتها بأن تتبع هوى قلبها خاصـــة وأن فراس متيم بها ، برأيك ســـيدي .. أيهما تختار ابن عمها أم الطبيب ؟

شعرت سلام بغيرته من خلال نبرة صوته عندما قال غاضباً :

- وما شأني أنا ؟ فلتتزوج من تشاء .

- ظننت بأن أمرها يهمك ؟

أرادت اســـتفزازه ، ومع ذلك لم تتحرك جارحة من جوارحه ، لم تعلم سلام بأن أمها تحمل بداخلها كل ذلك المكر ، وسألت نفسها :

- إلام تريدين الوصول يا أمي ؟

ثم سمعت صوته الغاضب حين قال لأمها :

- ســـيدتي كلامك هذا يعذبني ؛ فأنت لا تعرفين ماذا تعني ابنتك بالنسبة لي ؟

ثم أخرج مبلغاً من المال ورماه على الأرض ، وقال لها :

- خذي هذا المال إن كان هو السـبب لأن تتزوج ابن عمها أو حتى من الطبيـب ، خـذي كل شيء ولا تجعلي فقرك حجـة لتزويجهـا بمن تشائين .

صرخت به ، وجمعت ماله الذي بعثره على الأرض ، وقالت له :

- ابنتي ليست للبيع .

شعرت سلام بالانتصار ، ها هي ترد لها اعتبارها ، وها هو يطلب منها أن تســامحه ، الأم دائماً تشــعر بمعاناة أبنائها ، فصرخت به من جديد قائلة :

- يا لك من أبله ! أحدثك عن مصــير ابنتي وأنت تحدثني عن المال ! تكلم وأفصــح عن ســبب مجيئك ؛ لأنها لو تزوجت أحدهما ســيكون عليكَ أن تدعها وشــأنها ، وســتخرج من حياتنا إلى الأبد ، هل تفهم ؟ اتركنا وشأننا ، ودعنا نغرق بفقرنا ؛ فنحن راضون عن حياتنا كل الرضا .

أرادته أن يصرخ ويثور بما كان يخفيه بداخله ، أرادته أن يقول لها بأنه يحبها ولكن هيهات فكل ما فعله هو أنه أعاد الكرة :

- أريد أن أراها .

- لا .. لن تراها .

- لماذا تقسين عليَّ ؟

- نحن من قســت علينا الدنيا ؛ فدائما ما نتناول طعامنا ممزوجاً بالدم والدموع .

فتحت ســـلام الباب برفق دون أن يلحظ ذلك ، ونظرت إليه لتلمح تعابير وجهه ، و أيقنت تماماً بأنه يحتقر أمها ومجتمعها بل بدا كما لو أنه يريد صفعها ، ليته يراها ويشعر بعذاباتها ، ليتها تقول له بأنه وحده من تربع على عرش قلبها ، و لكنها ضعيفة بائسة تحمل في قلبها مالا طاقة لها به ، رمق أمها بنظرة غاضـــبة ، ثم غادر المنزل ، وصـــفق الباب بشـدة ، فخرجت من غرفتها ، و سـمعت أمها تخرج من صـدرها تنهيدة عميقة ، بل شعرت بأنها أكثر ضعفاً منها ، فجلست على الأريكة بعد أن خارت قواها ، نظرت إليها ، وقالت بمرارة :

- اللعنة عليكِ وعلى أخوتك .. ليتني مِتُ قبل أبيك ؛ حتى لا أعيش في هذه الحيرة !

- أمي .. ماذا فعلت لك كي أنال كل هذا السُخط ؟

ظلت أمها متوارية عنها بنظراتها ، فتركتها وحيدة ، واتجهت إلى غرفتها ، وصـفقت الباب خلفها بقوة حتى كادت تكسره ، ثم أسـندت ظهرها إليه وبكت بمرارة ..

وكأنها أرادت أن تثبت لأمها بأنها غاضـــبة أكثر منها ... كيف لا والرجل الذي تحبه بعيد عنها كل البعد رغم أنه ملكها ، وبالتالي لم تعد

من حق أي رجل أخر ... أمعقول أن يكون حقيرا ومســـتهتراً إلى ذلك الحد ؟

ألا يعلم ماذا يمكن أن يصـــنع به عمها لو عرف أمرها .. وتنهدت من أعماقها وقالت :

- عمي ... آه من عمي منذ متى كنت ابنة أخيه ، وأنا لم أره منذ رحيل أبي ؟ لماذا يظهر الآن وأنا في أشد حالات يأسي وحيرتي ؟

وكيف لي بأن أوافق على الزواج من ابنه المدلل الذي لا يعرف في الدنيا إلا أمه وأبيه ؟ إنه معتوه تقززها بلاهته ، وســـذاجته تعذبها ، تبعيته العمياء لأبيه المتســـلط المتعجرف الذي كلما ازدادت أمواله ازداد جهلاً وتخلفاً ..

فاشل في دراسته وتافه في اختياراته لأصدقائه وملابسه ..أين هو من سامر أو حتى فراس ؟

فشـله المتكرر في دراسـته صـنع منه عاملا عادياً في محل أبيه ، كانت ما تزال صغيرة عندما سمعت حواراً دار بين أبيها وأبيه حين قالا:

- سلام وسامي يناسبان بعضيهما من حيث الاسم والشكل .

لكم اشـــمأزت من ذلك الحوار ، ولكم تمنت أن تصرـــخ في وجه أبيها لتقول له بأنها تكره ســـامي وتشـــمئز لمظهره الخارجي ولشـــفتيه

المبللتين بلعابه الذي كان يسيل من فمه على الدوام ، كانت صغيرة ولم تكن تعي ماذا يعني أن تكون الفتاة لابن عمها ..عندما كبرت تجارة عمها ، وتحسـنت أوضـاعه المالية ، تغيرت نظرته لعائلة أخيه بل أصـبح لا يعترف به أمام معارفه وأصـدقائه لفقر حاله ، لم يعد يدخل منزله إلا قليلاً ثم انقطعت زيارته تماماً ، وعندما مات أخيه كانت تلك القطيعة الأخيرة ...يشـيع جثمانه إلى الأبد ومحاه من سـجلاته العائلية ، وبعدها انتهت كل الروابط الأسرية التي كانت تجمع العائلتين .. لماذا يفكر الآن بزيارة منزل أخيه المهترئ ؟ لماذا ؟

*****

عادت من عملها لتجد أمها قد أعدت العدة من أجل اسـتقبال ضـيوفها ، لم تهتم سـلام للأمر بل تركتها منهمكة في المطبخ ، وألقت نظرة أخيرة على أخوتها ، ثم دخلت إلى غرفتها ، لم تكن تصدق بأن أمها ستوافق على زواجها بابن عمها البليد ، أمها لا تعرف كل الحقيقة ، فكل ما تعرفه هو أن سـامر تحرش بها .. ماذا سـتفعل إن علمت بأن ابنتها سلمت نفسها طواعية لمن تحب ؟

طردت الفكرة من رأسـها ، كانت مسـتلقية على الأريكة ، عندما قرع باب المنزل ، فأيقنت بأن عمها قد وصـل ، ومع ذلك لم تهتم لأمر

قدومه .. عمها لم يعرف بأن ســـلام لم تعد فتاة الأمس ، لم تعد تلك الفتاة الساذجة و القطة المغمضة العينين ، أصبحت كبيرة وتعرف عن الحياة الشيء الكثير ، بل إنها تعرف الحب على حقيقته وتعيشــه ، هو وحده ذلك الرجل الذي تحبه ، من تربع على عرش قلبها وحده ، ومن تســتطيع أن تهبه نفســها .. كلهم لا يعلمون ، كلهم يغرقون أنفســهم في متاهات الجهل ، كانت على استعداد تام بأن تخرج إلى عمها وابنه لترمي عليهما قنبلتها التي ملأتها بديناميت من الكلمات الجارحة والشـــتائم ، ستفجر المكان على الجميع ، ووحدها من ستخرج وسط الركام سليمة معافاة ، أعدت نفســـها تماماً لتقوم بتلك المهمة الصـــعبة ، ولكنها فوجئت حين سـمعت بأن صـوتاً أخر يتسـلل إلى أسـماعها .. صـوت لا يشبه صوت عمها ..

اندفعت مسرعة نحو باب غرفتها لتنظر من ثقبه ، وإذا بها تفاجئ به ..

نعم هو بشـــحمه ولحمه ، هو بكامل أناقته كما عهدته دائماً ، ظلمته أمها من جديد حين استقبلته بجفاء :

- ماذا تريد منا ؟

- لن أخرج من هنا قبل أن أراها .

- تعال في وقت أخر ننتظر أناساً آخرين .

- هل لي أن أعرف من هم ؟

- هذا أمر شخصي لا شأن لك به .

- إذاً ســـأجلس وانتظرهم .. من يدري فربما أجد لنفسيـــ مكاناً بينكم .

- من فضلك اتركنا وابعد عنا فلا مكان لك بيننا ، وإن بقيت على عنادك ومصر على تدخلك في حياة ابنتي ، اعلم بأنني سأشكوك للنقابة ، وأقاضيك و أجعل اسمك وسمعتك على كل لسان .

- أهذا تهديد ؟

- سمه ما شئت .

- لا يهمني .. افعلي ما تجدينه مناسباً ، فلن أنصرف قبل رؤيتها .

- لماذا لا تفهم .. اليوم خطبة ابنتي على أحد اثنين ، وجلوســـك هنا سيعرقل الموضوع .

اســـتغربت ســـلام أســـلوب أمها الكلامي وأمر الشـــكوى التي تريد تقديمها للنقابة وتساءلت بينها وبين نفسها :

- من أين لأمها بذلك ؟ وكيف تكلمت بتلك الجرأة والفصـــاحة وهى المرأة الريفية الساذجة ؟

" المواجهة "

أخيراً تكرم عمها المحترم بحضـوره إلى منزلها المتواضـع بصـحبة ابنه الأبله ، فوجئ ســـامي حين رأى ســـامر في منزل عمه ، فاقترب منه مبهوراً ، وأصبح يحدثه عن إعجابه به ، وعن حلم لقائه ..

راح سـامر يتطلع له بسـخرية ، وأيقن تماماً بأن حبيبته سـتخرج من ســـجنها العفن لتعيش في ســـجن أعمق ، ســـجن مليء بالغباء والســـذاجة ، أيقن بأنها ســـتكون في مكان عقيم لا يحمل بداخله أية طموحات لتحمل ذات اللقب ، وتبقى على نفس الاســـم ، لم تغير في حياتها شيئا سوى أنها ستنتقل من منزل إلى أخر أو من سجن إلى أخر ، لن تتطور ولن تخرج من عالمها وبالتالي لن يحق لها أن تحلم ، تعذبها تلك النظرات الساخرة ويعذبها أنه ظن بأنها ستختار ابن عمها ، ثم فكر ربما تقبل الزواج به ؛ لأنه أبله ، ولن يعرف بأنها فقدت عذريتها .. وصرخت بينها وبين نفسها :

- من أخبره بأنها ســـتتزوج ذلك الأبله ابن عمها ؟ فوجود عمها وابنه في منزلها ليس هو إلا خطة حاكتها أمها ؛ لتكشـــف عن نواياه وألاعيبه الخبيثة لأمر تجهله سلام تماماً .. إنها محقة منذ متى كان عمها يحبها ؟

دخل عمها صــلب الموضــوع ، وهي مازالت ســجينة غرفتها ، وتسمع كل ما يدور في الخارج ، وكأن ما يحدث لا يعنيها ، أو كأنها ليست صاحبة الشأن .. نظر العم إلى سامر وقال :

- أريد أن نتكلم على انفراد كعائلة إذا سمحتِ .

قال سامر :

- تحدث لا عليك أنا على دراية بالموضوع .

- أنا هنا بشأن خطبة سلام لولدي وهذا أمر عائلي و ..

انفجرت أمها قائلة :

- الآن تفكر بعائلة أخيك ؟ أين كنت عندما مات ؟ إنك لم تحضر جنازة ابنته الصغيرة .

- تعلمين يا زوجة أخي أمور التجارة والمشاغل و ..

- لاشيء في الدنيا يمنعك من تأدية واجبك تجاهنا .

قال سامر :

- أخبرني ما الذي جدَّ لكي تأتي وتخطب ســلام في هذا التوقيت بالذات ؟

أعجبت الأم بســؤاله والثقة التي يتحدث بها ، وكأنه فرد من العائلة في حين ردَّ العم في حنق :

- أنت لستَ من العائلة ، وليس عليك التدخل بما لا يعنيك .

- حقاً ؟ وهل أنت من العائلة ؟ أين كنت حين تركت سلام دراستها ؛ لتسعى جاهدة لطلب الرزق من أجل أمها وأخوتها ؟

- لست هنا لمحاسبتي على الذي مضى .

- وأنا هنا من أجل ذلك وأتوقع بأنك عثرت على كنزٍ يخص أخاك ؟

- تتحدث وكأنك المحامي الخاص و ..

قاطعته أمها قائلة :

- لقد أصاب سامر الهدف ؛ فهذا ما كنت أريد التحدث بشأنه .. عندما علمت بأنك تود خطبة ابنتي استقصيت عن الأمر ، فأنا الآن أصبحت أعلم بأن أخاك المقيم خارج البلاد قد أورث ابنه الوحيد كامل ثروته بعد موته ، القدر ساعدني بحيث عرفت وعن طريق الصدفة بوفاة ابن أخيك الشاب منذ فترة الذي ذهب ضحية لحادث سير مؤلم ، وذلك الابن حسب علمي لم يتزوج بعد ، وليس له أولاد .. فمن يكون الوريث حينها ؟ دعني أقول لك .. أنت وأخوك ، وطالما أن زوجي قد مات ، فهذا يعني أن الإرث يصبح من حق أولاده ، وأنت استغليت الوضع ، وجئت لتخطب ابنتي الراشدة بين أخوتها ، وبالتالي تصبح

وصـــياً على باقي أخوتها ، تريد أن تأخذ كل شيء لنفســـك ، وابنتي هي الخيط الوحيد الذي يوصلك إلى مبتغاك .

- من أخبرك بكل هذا ؟

- وهل تظنني بلهاء وســـاذجة ؟ لقد علمتني الحياة الشيـــء الكثير ، وأهمها هو كيفية محافظتي على حقوق أولادي .. اســـمع لدينا حق في الميراث شئت ذلك أم أبيت .

- ما هي شروطك على الموافقة ؟

- أن تكون منصفاً معنا ولو لمرة واحدة لكي نذكرك بخير .

- نتحدث بهذا الشأن فيما بعد .. الآن أريد أن معرفة رأيها في زواجها من ابني .

- ليس قبل أن أوافق أنا .

- لا أظنك ترفضين ، وأنا عمها ولي أمرها .

- يؤسفني أنني سأفعل ؛ لأن هناك من سبق ابنك وخطب ابنتي ، وأظنه يناســبها أكثر من ابنك الفاشــل ، وعلى الأقل هو متعلم ، وله مستقبل والأهم من هذا كله ليس طامعاً بما سترثه من عمها .

- وهل أنا أعرفه ؟

قاطعها سامر قبل أن تنطق باسم الأخر:

- أنا هو .

تطلعت إليه الأم بنظرة جانبية في حين صرخ عمها متوعدا :

- لن يحدث هذا طالما أنا حي .

- وماذا ستفعل ؟

- كان عليك وأنت الرجل المثقف أن تأتي وتخطبها مني أنا عمها .

- الآن تذكرت أنك عمهم ! لقد فوجئت حين علمت أنك على قيد الحياة ولم تسأل عنهم .

انتظر العم من زوجة أخيه أن ترد على سامر وتكذبه ، ولكنها لم تفعل ، فنهض غاضبا ، وطلب من ابنه أن يسبقه إلى الخارج ، وراح يلقي على مسامع الأم أسطوانته التي رددها يوماً :

- اشطبي من ذاكرتك أمر وجودي تماما .. هل تفهمين ؟

- اطمئن لقد شطبناه منذ زمن بعيد ، ولكن اعلم بأنني سأفعل المستحيل لكي أصل إلى حق أولادي من الإرث ، ومحامي الخاص سيقوم بالإجراءات حتى نحصل على حقوقنا .

اندهشت من أسلوب أمها ، وتساءلت :

- ألدينا محام يدافع عنا ؟ هل معقول أننا نملك ثروة ؟ يا إلهي لم أكن أعرف بأنك ماكرة يا أمي .

غادر عمها المنزل غاضباً ، فالتفتت الأم إلى سامر لتشكره ؛ لأنها استمدت قوتها لوجوده بجانبها ، سألها سامر :

- ماذا بشأن مصاريف المحامي ؟ .

قهقهت أمها ساخرة :

- وهل صدقتَ بأن لدينا محامي ؟

- ماذا تقصدين ؟

- كانت كذبة لأخيفه .. إنه جبان وأنا أعلم مدى خبثه .

ضحك هو الأخر ، وقال :

- رغم كذبتك تلك سيكون لك محاميكِ الخاص ؛ كي يسترجع حقوق أولادك .

- ولماذا تفعل كل هذا من أجلنا ؟

- ألست صهر المستقبل ؟

- أرجوك .. كفاك سخرية منا .

- لا أسخر صدقيني .. أنا جاد في طلبي .

- والدكتور فراس ؟

- اتركي الأمر لابنتك لتختار بيننا .

- ولماذا ابنتي بالذات ؟

- سأخبرك ولكن بعد أن أتحدث إليها .

- إنها في غرفتها .

- هل أدخل إليها أم أنتظر خروجها ؟

- إن كنت جاداً فالمنزل منزلك .

عندما سمعت سلام وقع خطواته ، أصيبت بالفزع ، وابتعدت عن الباب ، طرق الباب ، ودخل الغرفة بعدما أذنت له ، كانت ما تزال واقفة مكبلة ذراعيها على صـــدرها ، أرادت أن تبقى كرامتها محفوظة حين سألته :

- ماذا تريد ؟

- جئت أسألك عن بعض الأمور .

- أية أمور ؟

- ماذا بشأن فراس ؟

- لاشيء سوى أننا سنتزوج .

- وماذا عن علاقتنا ؟

- وهل كانت بيننا علاقة ؟ إن ما حدث كان غلطة وأنا أعرف كيف أمحوها .

- أنت واهمة فتلك الغلطة لا يمحوها إلا زواجنا .

- على فكرة كنت رائعاً بسرد تمثيليتك أمام أمي وعمي .

- وهل كنا في استديو التصوير ؟

- وما لذي يجبركَ على خطبتي ، وأنا لم أطلب منك إنقاذي ؟

- لست سافلاً ثم إنني أحبك ولا أتخيلكِ مع رجل أخر .

- إن كنت تخاف تهديدات أمي فاطمئن ؛ إنها لا تعلم سوى أنكَ تحرشتَ بي فقط .

- كل تلك المحاضرة من أجل تحرش ؟ ماذا كانت ستفعل لو علمت بالأمر ؟

- ربما قتلتني أو أجبرتني على الزواج من ابن عمي لتفادي الفضيحة .

- ولكن ماذا عن فراس ؟

- فراس يحبني ، وأنا واثقة بأنه إن علم بالأمر سيغفر لي خطيئتي .

- لا يوجد رجل يغفر خطيئة امرأة يحبها ارتكبتها طائعة مع الرجل الذي يعرف بأنها تحبه ، لست ندلا ، أنا أمامك وسأصلح غلطتي و ..

- من أخبرك بأني أحبك ؟ سأتدبر أمر مع فراس وسترى .

- سلام .. لماذا لا تصدقيني ؟

- أخبرتك بأني سأتزوج .

- أعرف بأنك لا تحبينه .

- بدأت أحبه فهو يناسبني لأنه - على الأقل – ينتمي لعالمي .

- وماذا عني أنا ؟ وماذا عن الحب الذي تحميلنه لي بداخلك ؟

- أنت واهم فأنا لم أحبك يوماً .

أمسك بكتفيها بعنف وهزها صارخا :

- تكذبين .

- بل أنا جادة .

- أرجوكِ أنظري في عيني وقولي بأنك تكذبين ، أعرف كم تحبينني ، رأيت هذا في عينيكِ ، في خوفكِ ، في رعشـــتكِ وطاعتكِ لي ، رأيت حبكِ في استسلامك لي و ..

- قلت لكَ كل ما لدي .

- مجنونة وتعرضين نفسك للفضيحة .

- سأتحمل المسئولية كاملة .

- أحبكِ وأريدكِ أن تثقي بي .

- لقـد اخترت وانتهى الأمر ، اخرج من حيـاتي ، ودعني أعيش بسلام ، فأنا بعد أيام سأصبح زوجة لرجل آخر .

رمقها للحظات في ذهول من موقفها ، ثم أحاطها بذراعيه ، قربها إليه وأصـــبح وجهها قريبا من وجهه وأنفاســـه تكاد تلهبها، نظر إليها، ولمح في عينيها ذات البريق الذي عشـــقه حين رآها أول مرة ، وفاجأها حين أطبق شفتيه على شفتيها وقبلها ، لم تستطع منعه ؛ كانت ضعيفة جدا بين ذراعيه .. ضمها إلى صدره بعنف ، وهمس في أذنها :

- أمازلتِ تريدين فراس.؟

- لن تضعفني قبلاتك .

- رأيتُ غير هذا .

- مازلتَ مغروراً .. ثق بأنك لا تهمني مطلقاً .

- ستندمين على سوء اختيارك .

رمقها بنظرة فاحصة ثم غادر الغرفة غاضباً ، ثارت على نفسـها ، عادت لترمي نفســـها فوق الأريكة وهي تبكي بمرارة حبه ، دائماً يهزمها ونظراته مازالت تسـحرها .. إذاً لماذا ذلك الرفض لحبه ؟ لماذا وقد جاء يقدم لها نفسه على طبق من فضة ؟

إنها مازالت تريد المحافظة على كرامتها وكبريائها ؟

ولكن كيف وهى التي وهبته نفسها ؟

دخلت أمها إلى الغرفة غاضبة ، وصفقت الباب بقوة ثم صرخت بها :

- ماذا فعلت أيتها المجنونة ؟ هاهو يقدم لك قلبه وحبه ، لماذا وأنت تحملين له في قلبك كل هذا الحب ؟ وليس هذا فقط بل وهبته قبلتكِ الأولى أيضا .

نظرت إلى أمها واستمرت في بكائها وصرخت في أعماقها سراً :

- آه يا أمي .. ليت الموضـــوع انتهى على القبلة ؛ فأنتِ لا تعلمين ماذا وهبته .. سحقاً لي .

ثم صرخت أمها من جديد :

- إن كنت ترفضينه .. لمَ بكاؤك إذاً ؟

- أمي أرجوك أريد أن أنساه ، أريد أن أحفظ نفسي وكرامتي وأخوتي ـــــ أمي إنه غريب عنا ، لا يشـــبهنا ، هو في الأعالي ، ونحن في أســـفل الســـافلين ، إنه يكذب لا يحبني ، أعلم بأنها مجرد نزوة ، وسرعان ما ســـينتهي كل شيء ، أعلم أنه يحبها هى .. أخبريني كيف أتزوج من رجل يحب امرأة أخرى ؟ لا أقبل هذا على نفسي حتى وإن كان حبي الوحيد .

- لا أدري ماذا أقول لك ؟ في النهاية أنتِ صـــاحبة القرار ، ولكني أعود وأنصـحك بالتفكير ملياً بالأمر ؛ فهذا زواج ، وأخشى ـ أنكِ تدمرين نفسك .

- سأتزوج فراس .. فعلى الأقل هو من طبقتي .

- وقلبكِ ؟

- سأقتلعه من بين ضلوعي لو لزم الأمر .

نظرت إليها في حيرة ، ثم غادرت غرفتها بهدوء ، تاركة إياها صريعة لأفكارها .

" وكأنه مشهداً مكسيكياً "

مرت فترة فصـل الشـتاء قاسـية عصـيبة على الجميع ، وها هو الربيع جاء مبشراً بالأمل والذكريات الحلوة التي حملتها في صـدرها منذ أن أصبح قرارها بيدها ، أخيرا قررت نسيان الماضي لتصبح حرم الدكتور فراس دون منازع ، كانت أمها تعد العدة من أجل حفل عقد القران المتواضـــع الذي ســـيحضره الأهل فقط ، فذلك النهار الربيعي الرائع النسـمات شـهد على انتصـارها ، أجل بحيث لم يعد سـامر من ضـمن اهتماماتها ، وأيقنت تماماً بأنها كغيرها من الفتيات اللاتي يغرمن بالنجوم ، ولكن سرعان ما تستيقظ قلوبهن الساذجة لتوقن كل واحدة

منهن بأن المجتمع الذي يعشـن فيه لا يسـمح لهن بمجرد التفكير بتلك التفاهات ..

صـــار بداخلها مجرد ذكريات أو هكذا ظنت ؛ فهو فتى الأحلام الأول ، هو من ســحرها ذات يوم ، لا يمكن أن يصــبح ما حدث بينهما من الماضي الدفين ، إنه جرح لا تظنه يندمل حتى وإن تزوجت من فراس ..

اتصــل فراس قبل موعد وصــوله بدقائق ليطمئن على أن الأمور تسير بشكلها الطبيعي ، في ذات الوقت كان الشيخ والشهود قد وصلوا مع زوج خالتها التي ابتاعت لها من الســوق أجمل ثوب على الإطلاق وسـوت لها شـعرها .. ، ما زال الشـيخ والشـهود ينتظرون بصـحبة زوج الخالة الذي صــنع من نفســه رجل العائلة ، وولي أمر ســلام ، مرت الدقائق مملة بطيئة ، قلب سـلام كان ينذرها بأن شـيئاً ما سـيحدث في الخفاء ، ويعرقل عليها خطتها التي رســمتها للمســتقبل ، حتى أمها لم تكن مطمئنة لم يحدث ، فهي تعلم بأن ابنتها لن تهنأ بزواجها طالما هي تحب الآخر .. الوقت تأخر وفراس لم يظهر ، والشــيطان أخذ يحدث الجميع بأشــياء كثيرة مخيفة أشــعلت النار في قلب ســلام .. طرقات

متسارعة على الباب وإحساس الرعب والقلق يتضاعفان في نفس سلام وزوج خالتها يفتح الباب لتتسع عيناها وعين أمها في ذهول ..

لقد كان هو .. سامر !

ما أن سمعت سلام صوته داخل منزلها حتى جاش قلبها بانفعالات شتى ، وهى تسأل أمها :

- أمي ما الذي جاء به ؟ ولمَ لمْ يأتِ فراس ؟

لم تجبها أمها ، فخرجت تصرخ في وجه الجميع :

- أخبروني ماذا يحدث ؟

لم يجبها أحدهم ، ولكن نظراتهم الحزينة أنبأتها بأن خطباً ما قد حدث ، واتسعت عيناها في هلع حين ، وجدت الشيخ والشهود يغادرون المنزل مع زوج خالتها دون أن تعرف وجهتهم ، لم تجد غير سامر ، أرادت أن تسأله ، اقترب منها ، وأمسك كتفيها ، فسرت القشعريرة بجسدها تأمرها بالطاعة .. هتفت :

- أرجوك أخبرني ماذا حدث ؟

- سترحلين معي .

- إلى أين ؟

- فراس في المستشفى تعرض لحادث بسيط ، ويريد رؤيتكِ .

صرخت فزعة ، فهتف بها :

- هدئي من روعك ، ولنسرع لرؤيته .

- سأغير ملابسي وآتي حالاً .

- بل ستأتين هكذا ؛ لا وقت لدينا .

التفتت لأمها التي تتابع الحوار مع خالتها في صمت ، وصرخت :

- أخبريني يا أماه .. ماذا أفعل ؟

رمقته الأم بنظرة طويلة هذه المرة ، قبل أن تقول لها وهى تضع في يدها حقيبتها الخاصة :

- اذهبي معه ، قد يكون الوقت ضيقا بالفعل .

فوجئت به يمسك يدها ، وينطلق بها خارج المنزل ، وراح يركض بها ، ويشعرها كما لو كانت طفلة صغيرة حتى كاد يوقعها ، وهذا ما جعلها للحظة تخال بأن فراس سيفارق الحياة لا محالة ..

حين وصلا إلى السيارة ، فتح لها الباب ، وساعدها على الدخول إليها ، ثم أغلق الباب عليها ، لتنطلق بهما السيارة إلى حيث تجهل ، وراحت أعماقها تعوي بأسئلة شتى :

- ماذا حدث لفراس ؟ هل كسرت ساقه ؟ أم أصيب بعموده الفقري ؟ أو ربما كسرت جمجمته .. أشياء كثيرة دارت في رأسها ، حتى

فوجئت بسـيارته تتوقف في مكان لا تعرفه ، ليس مألوفاً بالنسـبة لها ثم وجدته يترجل منها ويدور حولها من جديد ليفتح لها الباب ، طلب منها أن تترجل هى الأخرى فهتفت به :

- سـامر ما هذا المكان ؟ ولماذا ننزل هنا وهو ليس بمسـتشـفى ولا حتى عيادة خاصة ؟

- انزلي وسأخبرك بكل شيء .

نزلت بهدوء وقالت :

- لست مطمئنة لما يحدث .

لم يجبها بل أخذها من يدها صـــوب باب كمجاور لأحد المنازل وقبل أن يفتحه ، جفلت وتراجعت إلى الخلف وهي تقول :

- ما هذا المنزل ؟ وأين هو فراس ؟ أشـــعر بأنك تدبر لي مؤامرة و ..

فتح الباب وشد ذراعها وقال :

- لا تخشي شيئا وادخلي .

أغلق الباب خلفها وترك ذراعها ، فســـارت خلفه ببطء والخوف جاثم على صدرها ، جالت البصر في المنزل وأعجبها أثاثه وأناقته ، كانت مازالت تشعر بالانبهارر عندما سألها :

- هل أعجبك المنزل ؟

- جدا .. لا تقل أنه منزلك .

- سيكون منزل عائلتك بعد أيام .

- ماذا تعني ؟

- سأنتشلكم جميعاً من ذلك الحي البائس .. أما كفاكم فقراً ؟

- تعلم بأننا لم نعد فقراء ، ثم أننا كنا راضين بحياتنا في السابق ومازلنا .

- لا عليك .. تعلمين كانت أختي تسكن في هذا المنزل بعد زواجها ، ثم فكر زوجها بالهجرة فتركاه وسافرا أليس رائعاً ؟

- لكنه من حق أختك فلا بد أنها ستعود إلى الوطن يوماً .

- بل منزلي أنا ، وهى من كانت تسكن فيه .

أصيبت بالذعر حين سمعت أصواتاً مختلفة لرجال لا تعرفهم ، فأيقنت تماماً بأنها ستكون ضحية لمؤامرة أحاكها هو .. تراجعت إلى الخلف ، فأمسك ذراعها وسألها :

- إلى أين ؟

- إلى منزلي ما تود فعله ليس إلا ضرباً من الجنون .

- وما كنت ستفعلينه منذ قليل ماذا تسمينه ؟

- ليس هذا من شانكَ .. أين هو فراس؟

- هـل تخـافين عليـه ؟ تعلمي منـذ الآن ألا تحـدثيني عن ذلـك الرجل؟ ولكن اطمئني إنه بخير ، لقد كذبت عليك ، بل كذبت عليكم جميعاً .

- كذبت ؟ ولماذا تأخر عن موعده إذاً ؟

- لأن القدر أراد أن يمنحكِ فرصــة أخرى لتصــحو من غفلتك ، فأنت لي ولن تكوني له .

- أنا حرة ، ولستُ ملكاً لأحد .

وجدت نفسـها تجري نحو الباب ، تبغي الفرار ، ولكنه لحق بها ، وشدها ليعود بها إلى الداخل ، وهتف بها في رفق :

- عزيزتي أريدكِ راضية ، ولن يحصل إلا ما تريدينه .

- كيف أهدأ وأنا أجهل مصيري مما أنت فاعله بي ؟

- أنا أحبك .. ألا يكفي هذا ؟

- ولكنني لا أحبك .

- مازالت تكذبين عليّ ، وتحاولين الهروب من حبي ، وأنا لا أعرف السبب .

- أنا لا أناســبك ، عالمي يختلف عن عالمك .. أخاف منك ومن شـــهرتك .. أخاف من كل شئ - أنا من أقرر إن كنت تناسبيني أم لا .

- وماذا تريدني أن أفعل الآن ؟

- فقط تعلنين موافقتك للشيخ والشهود في الداخل .

تطلعت إليه في حيرة ، والصراع يشتد بين عقلها وقلبها ، وفوجئت به يتناول بطاقتها من حقيبة يدها ثم يأخذ بيدها للداخل ، إلا إنها حررت يدها منه عندما لمحت الرجال في الغرفة ، وجرت مسرعة إلى غرفة أخرى في المنزل ، وسمعته يقول معتذراً للجميع :

- إنها ككل الفتيات تشعر بالخجل في يوم كهذا .

صرخت في وجهه عندما دخل عليها والغيظ بادٍ على وجهه :

- أعدني إلى المنزل .. أمي لن ترضى .

- أمك تعلم بكل شيء .

- لن أسامحكَ ما حييت .

- أثق أنك ستفعلين لأنكِ تحبينني .

سـارت معه طائعة إلى حيث يجلس الجميع ، اقترب سـامر من الشـيخ ، وأجلسـها إلى جانبه وجلس ، وما هي إلا لحظات حتى تم عقد القران ، وهى تتقلب على جمر النار والحيرة والخوف ..

لم تكن راضية رغم أنها في أعماقها ما تمنت غير هذا ، ولكن كيف تتحول من مالكة نفسـها وقرارها إلى وكيلة تزوج نفسـها إلى الرجل الذي جاء بها قسراً إلى مملكته ، أصبحت مسيرة لا مخيرة حين وضعت يدها داخل يده بينما راح الشـيخ يلقنهما كلماته كما هي العادة ، وهو يضـغط على أصـابعها كما لو أنه ينتقم منها ، وعيناه مازالت شـاخصـة بها تعلن عليها انتصاره ..

فكرت كثيراً بمصـيرها .. فكرت في فراس ، لا بد أنه يصـب على رأسـها الآن سـيل من اللعنات وله الحق نعم .. فقد فطرت قلبه ، وحطمت كبرياءه ولكن ..

وماذا عن أمها ؟ إنها تجهل مصيرها الآن بعد أن كانت تعد العدة لزواجها من فراس و ..

غادر الجميع المنزل وبقيا معاً ، ثم غاب لدقائق عن ناظريها ، وما هي إلا لحظات حتى رأته يخرج من المطبخ بكوبين من عصـير البرتقال ، كانت غارقة بتأملاتها للمنزل ومحتوياته ، حين اقترب منها

وقدم لها كوباً ، تناولته منه ومازالت تشعر بأن كل ما حدث كان كابوساً ؛ لم تكن تحب أن تتزوج بتلك الطريقة التمثيلية التي اعتاد عليها في أدواره المتعددة :

- بم تفكرين ؟

- بفراس الذي تركته ، وتزوجت بسواه .

- عليكِ من الآن ألا تفكري إلا بي ؛ فأنت أصبحت زوجتي ، وأنا رجل غيور .

- وأفكر أيضا في أمي التي ستقتلني حتما إن علمت بزواجنا .

- أخبرتكِ بأنها تعلم ، وهى أيضا تبارك زواجنا و ..

وقطع عبارته وراح يتطلع إلى عينيها في صمت فسألته :

- إلى أين رحلتَ ؟

- إلى عمق عينيكِ .. حقا ما أجملكِ ! كيف لم ألحظ هذا الجمال من قبل ؟

- أخبرني ما رأيك بثوبي هذا ؟

- رائع ولكن يضايقني أنكِ اشتريته من أجله هو .

- لم أكن سعيدة بذلك بل كنت أتمزق ، تصدقني لو قلت لك بأنني ما تمنيت أن يراني بثوبي هذا إلا أنت

- أريدكِ أن تكوني حبيبتي إلى الأبد .

- طالما أصبحت زوجتك سأكون كذلك ، والآن أعدني إلى المنزل فربما أستطيع أن أنقذ ما يمكن إنقاذه .

- ولم لا نغرق معاً في بحر الحب ، وأتذوق رحيق شفتيك فترحلين بي إلى عالم النشوة .

- لقد رحلت بك ذات يوم إلى حيث تريد إن كنت تذكر .

- كنت تائهاً مخموراً ..لا أكاد أذكر شيئاً من ليلتنا تلك .

- كلماتك ثقيلة لا أستطيع الرد عليها .

- وعيناك ساحرة تأخذني إلى عالم غريب .

- لا أحب أن تكذب عليَّ فعيناي ليست بذلك الجمال الذي تصفه .

- لا تعرفين حق نفسك .. ما لا أصدقه الآن أنكِ أخيراً أصبحتِ لي .

لم تستطعْ الرد عليه ؛ لأنها تعلم بأنه محق بذلك ، كيف لا تكون له وهو يحيطها بذراعيه ، ويضمها إليه وليس هذا فقط ، ما زالت لمساته تسحرها وتضعفها .. منذ أن لمسها أول مرة جعلها تشعر بخدر رهيب يتسلل إلى أطرافها ، خدر يجعلها عاجزة تماماً عن إنقاذ نفسها ،

كانت شاردة تماماً تحاول البحث عن شيء ما داخل عينيه حين وجدت نفسها تنجرف معه وتذوب بسحر قبلة طويلة كادت تسرقها من نفسها وترحل بها إلى حيث يريد هو .. ثم سرعان ما اســـتيقظت من نشـــوتها وحررت نفسها منه ، وهى تقول :

- لا ليس الآن .

- لمَ لا وأنتِ زوجتي ؟

- أرجوك لا أريد لتلك الليلة أن تتكرر إلا بعد إعلان زواجنا وعلى الملأ .

- لا تكوني عنيدة .

....ليس هذا عنداً ؛ فأمي مازالت تجهل مكاني .

اقترب منها وأحاط خصرها بذراعيه ، وهو يقول :

- سنذهب معا إليها ؛ لتفرح بنا ولن تكوني إلا راضية .

حاولت مراراً التملص من ضغط ذراعيه ، ولكنها كانتا أقوى منها، دائما يهزم ضـــعفها ، أصـــبحت ترتعش بينهما ، وكأنها المرة الأولى ، ووجدت نفسها تهتف به قائلة :

- لدىّ إحســـاس غريب بأن أمك أكثر راحة الآن في قبرها بعد زواجنا .

ظهر الحزن على وجهه وترجها وهتف في شرود :

- لم لا وقد تحققت رغبتها ؟ ليتها كانت معنا الآن .

- وهل هذه كانت رغبتها ؟

- أتذكرين يوم وضعت يدي على يدك ؟

- أجل أذكر تماماً لم أكن أعرف ماذا أرادت أن تقول ؟

- أنا أعرف .. يومها أرادتني أن أحبكِ ، وأنسىـــ شـــأن ناريمان ، أرادتكِ لي لأنها أحبتكِ بشدة .

- أنا أيضاً أحببتها كما لو كانت أمي رحمها الله .

- الآن أعرف بأن أمي كانت على حق وها أنا قد نفذت وصـــيتها وتزوجتك .

- لا تخبرني بأن هذا المشـهد المكسـيكي الذي عشـناه كان تنفيذاً لوصية أمك فقط ؟

- ولأنني أحبك أيضاً وإلا كنت تركتك تتزوجين من سواي .

- ألا تريد أن تنسى أنني كنت سأتزوج سواك ؟

- رفضـك لي لا ينسىـ .. أخبريني متى تنتقل العائلة إلى هذا المنزل ؟

- تفعل كل هذا من أجلي ؟

- أنتِ زوجتي الآن ، وأهلك أصبحوا أهلي .

نهضت وقالت :

- لا بأس سأسبقك إلى السيارة

أمسك ذراعها وقال :

- انتظري سنخرج معاً ، ولكن متى يجمعنا المنزل شرعاً ؟

- عندما تقرر أنت ذلك .

- سيكون ذلك اليوم قريبا بإذن الله

اقترب منها وجذبها إليه ، وهو يهمس بها :

- أتشعرين بالسعادة التي أشعر بها ؟

- ألا ترى سعادتي في عيني ؟

- لا أرى فيهما إلا نفسيــ ، وكأننا خلقنا لنكون معاً ، وأنت دائماً تهربين مني ومن نظراتي .

حررت نفســها منه وســارت نحو الباب الخارجي ، ولكنه اقترب منها ، وســندها إلى الحائط ، وطوقها بذراعيه مما شــل حركتها تماماً ، وراح يلثم عنقها ووجهها بوابل من قبلات ، وهي تحاول التملص منه دون جدوى لأنه كان أقوى منها.. كانت ضــعيفة تماما تحت ضــغط

شـــفتيه التي تناولت وجهها بنهم.. أراد بحركة منه أن يعيدها إلى داخل المنزل لكنها وجدت لنفسها فرصة لتهرب من ضعفها واستسلامها ..

- حبيبي ليس الآن أرجوك .

وقف وحيدا يتابعها وقد خرجت ، ولكنه سرعان ما انصاع لرغبتها ، و ســار خلفها مهزوماً أما هي فقد كانت تشــعر بانتصــار لا يضــاهيه انتصار ، حصلت عليه ، على حبها الحقيقي دون أن تذل نفسها وتدوس على كرامتها ، انتصرت عليه وهزمت ناريمان وأصبحت زوجته ، وصار لها وحدها ودون منازع .

*****

اســـتطاعت وبطريقتها الناعمة أن تقنع أمها بما حدث ، وبكل ســهولة خاصــة عندما علمت بأن فراس خلى بوعده ، ولم يحضرـ من أجل عقد القران .. ربما سامر كان محقاً إنها مشيئة القدر .. غاب الأول وحضر من لم تكن تتوقع حضوره ، كان اليوم التالي مهمة شاقة بالنسبة لها ؛ لأنها ســـتواجه فراس بالحقيقة ، طوال فترة ســـيرها في الطريق ، وحتى عندما اســـتقلت ســـيارة الأجرة ، وهى تفكر بنوع الحديث الذي ستبدأه ، عندما وصلت إلى المستشفى رأته يقف مع سحر - التي طالما

أحبت فراس - ما أن التقت عيونهما حتى رشقتها بنظرة شامتة حاقدة ، ضحكت سلام من نظراتها الساخرة :

- معذورة تلك البلهاء .. لا تعلم أن عدم مجيء فراس في موعده جعلها تفوز بالرجل الذي تحب .

ما إن رآها فراس حتى ركض باتجاهها ، بينما أرادت أن تتوارى عن ناظريه إلا إنه سارع إليها ، وأمسك يدها قائلا :

- اغضبي كما تشائين يحق لك ذلك ، فأنا خذلتك يوم أمس ، ولم آت حسب الموعد .

- ما الذي حدث ؟

- ارتفعت حرارة أمي فجأة ، ووجدت نفسي مضطراً للبقاء معها طوال الوقت .

فقالت له بسخرية مستهترة :

- حقاً ؟!

- اسمعني جيدا يا عزيزي تأكد بأنك لم تحرق أعصابي بنار انتظارك ، ولم تضطرني للخوف والقلق طوال الوقت ، ولم أجلس في غرفتي حزينة منهارة منكسرة أقضم أظافري من الغيظ والخيبة ، هل تعلم ماذا يعني أن تخذلني أمام أهلي وأقاربي ؟ هل تعلم ماذا كان يعني

لي انتظارك أنت زوج المســـتقبل .؟ سُـــحقاً لك لقد أعدت أمي الغداء لعائلتك المحترمة ، وتعبت حتى أنها صـــنعت الحلوى ، وخالتي التي تحملت عناء التجوال في الســـوق لتبتاع لي ثوب الخطبة وأنت ماذا تفعل ؟ لا تملك إلا أن تجلس مع أمك المريضة !

- وهل كنت تريدينني أن أتركها من أجل زواجنا ؟

- ألا يهمك زواجنا ؟ على الأقل أرسـل لنا من يعتذر بالنيابة عنك ؛ كي لا تحملنا عناء الانتظار .

- كنت مشغولاً ، كما أنكم لا تمتلكون هاتفا .

- دعك من هذا الهراء ؛ أنا أعلم بأنك وجدت من مرض أمك حجة كي تلغي عقد القران .

لم يرد عليها بل اكتفى بأن يوليها ظهره ، وهذا ما جعلها توقن بأنها أصابت الهدف ، فانطلقت فجأة ضحكة ساخرة منها ، فنظر إليها مندهشاً ليسألها :

- أتضحكين ؟

- شر البلية ما يضـــحك ؛ كان عليك يا عزيزي أن تعلم بأنني فتاة تكره العبث.

- لم أعبث معك ، كل ما هنالك أن أمي كانت غير موافقة على ارتباطنا ، ولكني سأفعل المستحيل من أجلك ، وعقد القران سيكون جدياً في المرة القادمة ، ولن تمنعني أمي من اتخاذ القرار ، سننتزوج ونضع الجميع أمام الأمر الواقع ، أنتِ تعلمين كم أحبك ؟

- لا يا فراس .. إنك خذلتني بانتظاري لكَ ، ولكنني رددت لكَ الصاع صاعين .

- ماذا فعلتِ ؟

- تزوجتُ من سواك .

أمسك كتفيها بعنف وصرخ بها :

- كاذبة تقولين هذا لإغاظتي .

- ولماذا أغيظكَ ؟ إنها الحقيقة ، ثم تعلّم ألا تمسكني بهذه الطريقة وإلا أدبتك .

- لقد قتلتني بقولكِ هذا .

- وأنت ألم تقتلني حين خذلتني أمام الجميع ؟

- كان أمرا طارئاً وسيزول .

- لا فائدة ؛ سبق السيف العزل ، لقد أصبحت حرم الفنان الكبير سامر .

- سـافلة منحطة يبدو أنك لم تضـيعي وقتك أبداً ، ودائماً تجدين البديل .

- سامر لا يمكن أن يكون بديلا أبدا .

رمقته بنظرة أخيرة ، ثم غادرت المكان ، ولمحت ســـحر تتجه نحوه علّ قلبه يسمع نداء قلبها .

" عالم ثاني "

في ذلك المنزل الجديد كانت البداية .. حياة جديدة مختلفة تماماً عن حياتهم في الماضي ، وســلام مازالت تلتقي بســامر خارج المنزل كلما أتيحت الفرصة لكليهما ، يجوب بها الحدائق العامة والأسواق والمحال التجـارية .. كان يريدهـا أن تعرف عنه كل شيء حتى الطرق التي يكره ســلكها ، أصــبحت لا تختلف كثيراً عن وســطه الفني ، لأنها كانت تزور مواقع التصوير ، وتلقي نظرة على السيناريوهات قبل أن يبدأ العمل فيها ، حتى إنها كونت صـــداقات كثيرة تنتمي إلى الوســـط إلا امرأة واحدة ، كيف تكســـبها ؟ وهى التي سرقت منها حبيبها ؟ لا يهمها .. المهم أنها تتعايش مع حياتها كما أرادت لنفســـها يوماً ، كل شيء يســـير حســـب رغباتها رغم أنها مازالت تفخر بالماضي وبالحي الذي فيه نشـــأت ، مازالت تلك الفتاة البسيطة والمتواضعة التي عملت ذات يوم كممرضة

لأمه في منزله الذي سيصبح منزلها ، كانت سعيدة كونها لمحت السعادة على وجوه أخوتها وأمها ، ومع ذلك كانت في صراع دائم بينها وبين ما يمكن أن يحدث غداً ، يعذبها شيء ما ، ينذرها بالشر ، ويقتلها من الصميم بل يحولها إلى مجرد أداة مهمتها فقط إسعاد الآخرين ..أرادت للحظات أن تنسى أمر ذلك الشعور ؛ لتحقق الطموح الذي حملته معها من الماضي ، خافت كثيراً من ذلك الحب الذي من الممكن أن يقتله الزواج والروتين اليومي .. أراد لها زفافاً ضخماً يدعو إليه الأهل والأصدقاء من الوسط الفني كافة ؛ ليفخر بها أمام الجميع إلا أنها رفضت ذلك ؛ لأنها ليست حملاً للغمز واللمز والحسد والغيرة ، تريده زفافاً بسيطاً متواضعاً يضمها وعائلتها فقط ، فهكذا تكون بعيدة عن كل ألسنة للهب .

*****

كانا قد قضيا سهرة مطولة في منزل عائلتها قبل أن يعودا معاً إلى منزله ، مملكته ، وربما سجنه ، لم يكن المنزل غريباً عنها فهي تعرفه تماماً ، وتحفظ أركانه عن ظهر قلب ، تحفظ الغرفة التي أعدت لها والصالون ، تحفظ عناوين الكتب في المكتبة والسيناريوهات التي تكدست في مكتبته .. بعد تأمل عميق للمكان جلسا وكانت قد هيأت

نفسـها تماماً لمجاراته في الحديث كي لا تبدو أقل شـأناً منه ، تعلم تماماً بأن أحاديثها تعجبه كما لو كانت كلماتها تخرج من صـــفحات الروايات التي يقرأها ، ولكن الآن لا تدري ما الذي حدث لها ؟ وجدت نفســـها تجلس دون أن تقول له كلمة واحدة ، راح يحثها على الحديث ، بينما كانت في عالم آخر حيث تركت أمها وأخوتها .. أعادها صوته إلى واقعها حين سألها :

- ما بكِ ؟ لمَ لا تحدثيني ؟

- لا أدري بدأت أشـــعر بأن الأحاديث جميعها قد هربت مني إلى حيث لا أعلم .

- تحدثي بلغة الحب إن أردتِ .

- هذه صنعتك أنتَ .

- ألستُ حبيبكِ ؟

- أنتَ بم تشعر؟

- بأني ملكت الدنيا كلها ، أرى شمس حياتي تشرق من بين عينيكِ .

- هذا كثير عليَّ .

- تستحقين أكثر منه .

نظرت إليه فداخلها إحساس لذيذ لم تشعر به من قبل ، أرادت لفترة أن تهرب من ذلك الشعور لتسأله :

- أخبرني أية غرفة اخترتَ لي ؟

- ما هذا السؤال الغريب ؟ المنزل كله صار ملككِ .

- ناريمان وحدها مَنْ كانت حبيبتكَ .

- لم تحبها أمي يوماً .

- ولكنك لا تنكر حبها .

- صرت لا أستطيع التفكير بها ؛ إنها السبب بما عانت أمي من مرض ، أردت أن أتحداها وأختار ناريمان فأصابها الشلل الدماغي ، بسببي أنا ماتت أمي ، بسببها لم تسامحني حتى وهى على فراش الموت .

- انسَ الأمر حبيبي ، إنه قدرها ولا أظنها ماتت دون أن تسامحك .

- ما أجملها كلمة حبيبي !

ثم شد على قبضة يدها واستطرد قائلا :

- حبيبتي .. أحتاج لأن أشعر بوجودك معي لأنسى ، وأبدأ حياة جديدة ، أحس بأني أحب للمرة الأولى ، أعيش للمرة الأولى ، أحس الآن بأن أمي راضية عني كل الرضا .

قال ذلك واقترب منها ، وضـــمها إلى صـــدره لبعض الوقت ، ضـــعيفة هى أمام رغبته ، أمام لمســـاته ، أمام هذا الكم المتدفق من المشـــاعر الملتهبة ، أمام لهيب أنفاســـه ، وخجلة من الرغبة الجامحة بتملكها.. بالاســـتحواذ عليها.. كل هذا الحب.. كل هذه المشـــاعر.. كل هذا الاندفاع .

ثم جعلها تذوب تحت تأثير قبلته الســـاحرة التي جعلتها تتلاشى بين ذراعيه.. فنان بكل شيء.. بهمســـه ولمســـه وعذوبة كلماته ، جميل هذا الحب الذي جمعهما ، والذي جعل سـلام تسـلمه جميع أسـحلتها بطواعية ، وقد رفعت راية الاستسلام للرجل .. رجل حياتها !

" انتقامها "

كانا قـد عـادا من رحلـة دامـت طوال النهـار ، قضـــيـاهـا مـا بين المطعم والمنتزه والسينما ، ثم بعد ذلك تابعا رحلتهما سيراً على الأقدام ، وصـعدا الجبل بحيث زارا صـديقاً له يقطن تلك المنطقة ، كان الليل قد انتصف عندما عادا إلى مملكتهما بعد أن أرهقتهما الرحلة كثيرا ، أخذ لنفســـه حماما دافئا ، وجلس في الصـــالون يطالع آخر ما أصـــدرته المجلات الشـهرية والصـحف من أخبار وأنباء هامة على الصـعيد الفني وربما الســـياسي بالطبع فالســـياســـة أكثر ما تشـــده بعد الفن ، أما هي

فجلســت تطالع كتاباً كان قد شــدها عنوانه منذ أيام ، وكأنهما لم يتعبا من عناء النهار أوكأن منزلهما أزاح عنهما الإرهاق ، وأغراهما للبقاء ساهرين على أضواء النجوم حتى نسيا أمر النوم ، لم لا إن كانت الأجواء رومانســية للغاية ، أضــواء تشــع في الأركان الواســعة للصــالون ، والديكورات المتقنة تغري الجالس للبقاء لحظات صــمت طويلة يعيشها متأملاً سحر المكان ، وكل هذا تصحبه موسيقى هادئة ناعمة جعلتهما يختلسان النظر لبعضهما البعض على فترات قصيرة ..فوجئ سامر عندما وجد لنفســه في إحدى المجلات صــورة مكبرة له وفوقها كتب بالخط العريض

(الفنان الشهير يتزوج خادمته بعد قصة حب غرامية طويلة قد نشأت بينهما)

تدفق الدم إلى وجهه ، وفقد الســيطرة على أعصــابه ، فمزق الصفحة ، وعبر عن غضبه قائلاً :

- سحقاً لهم .. من أخبرهم بأني تزوجت خادمتي ؟

توقع كل شيء إلا أن تطاله أقلام الصــحافة وتطالها ، هى المرأة التي لا تمت للتلفزيون وذلك الوسط بصلة

، هى وحدها من كانت تعلم من فعل بهما ذلك ، ومن غيرها ناريمان ، اســتطاعت أن تقدم خبر زواجهما للصــحافة على طبق من فضة كي تلوكهما الألسن ، وتصنع من سيرتهما شغلها الشاغل ، أحست بعذاباته وآلامه ، تعلم بأنه يكره الطبقة التي تنتمي إليها ، ولكنها تعلم أيضــاً بأنها أخذت الجزء الأكبر من اهتماماته ، أغضــبه كثيراً كون الصحافة سمت زوجته بالخادمة وهى لم تكن كذلك .. ضايقها ذلك الوجوم الذي اعتلى وجهه ، تركت كتابها ،وأخذت منه المجلة المشئومة ، ولاذ بهما صمت قصير تبادلا من خلاله النظرات ، تجرأت وسألته :

- هل تشعر بالندم على زواجك مني ؟

- كيف أندم وقد وجدت في الزواج حصــانة لنفسيــ وغرورها ؟ أنت تفهمين تماماً ما تبغيه تلك المرأة مني ، إنها تريد تحطيمي وتدميري ؛ لأنني خذلتها ، واخترتكِ أنتِ .

- إذاً لماذا أجدك قد انقلبت رأساً على عقب ؟ بدوت بالنسبة لي كما لو أنك تريد الابتعاد عني لتجنب نفســك الفضــيحة ، قلها بأنك ندمت ولا تخف ؛ فأنت بقولك ذاك ســتريح قلبي الحائر ، قلها وتأكد بأنك لن تجرح شعوري .

- قلت لكِ لست نادما ، ألا ترين كم نحن سعيدان ؟

- لا أرى السعادة في عينيك ، اعذرني إذ إنني بدأت أشعر بأنك تحتاجني كزوجة وحبيبة عندما تضيق الحال بك ، بسببي تخلى عنك الأصدقاء ، لست غبية ولا ساذجة ، أصبحت أعرف دوري تماماً ، وألعن نفسي ألف مرة ؛ لأنني في كل مرة أكون أداة لمساعدتك ومتعتك فقط .

- لماذا تقولين هذا وأنت تعلمين ما أحمله لك في قلبي ؟

- ما عدت أعلم شيئاً على الإطلاق .

- أما عدت تحبينني ؟

- هذا سؤالي لك أنت ، تعلم بأنك رجل حياتي ، وطالما تمنيت أن أكون نقطة في بحرك العميق ، أشعر بأن حبك لي بات غاضباً كرياح كانون ، تحب أن تغضب وأحب أن تكون كذلك ، إلا إنني أكره أن تبقى تحبني حتى يتم انطفاؤك .

ما كانت تقوله يشعرها بالحب والتقرب إليه بينما يشعره بالانتصار ويزيد من غروره ، كان يحبها على الدوام أن تردد عبارات نزار قباني ؛ فذلك يشعرها بأنه كان ظمآناً قبل حبه لها ومازال كذلك ، حتى وهى في قربه يعلم تماماً بأنها مهما فعلت يستحيل ارتوائه ، دائماً يشعر

بعطش لصـدر حنون يضـمه إليه ويولج الحنين بداخله حتى الهذيان ، إنه رجل تغويه كلمات الحب والحنان ، تسحره نظرات العشق ، تأخذه إلى عالم الخيال ، يعشــق الجمال الخارق ، تســحره المظاهر ، تأخذه المتعة إلى حيث يشــاء ، معجب بشــهرته وفنه وذلك يجعله مســتمراً بأنانيته وغطرســته ، يرضي غروره.. فما كان منه إلا أن يغمرها بين ثنايا روحه ولهفاته المتعجلة دوما لاحتوائها ، يغرقان معا بل يذهب بها إلى رحلة رومانسية تجعلها تنسى من تكون..

لكم تمنت في ذلك اليوم أن تصــدق اعترافه بحبها وبالرغبة بالبقاء معها مدى الحياة !

***

بدأ انتقام ناريمان يؤتي ثماره حين قرر أن يتحرر منها ، ويأخذ لنفسه عالما خاصا به وحده ، وكانت البدايات بأن هجر غرفته ، ونقل نفسه معتذراً إلى غرفة أخرى ، ومع ذلك أخبرها بأنها مازالت حبيبته إلا أنه ومن عادته يحب بين الفنية و الأخرى الانفراد بنفسه ؛ فهو لم يعتد بعد على حياة الزوجية ..هي نفســها أصــبح يعجبها ذلك الوضــع ؛ فالصداقة وحدها صنعت من حياتهما سيناريو بدا حواره أكثر من رائع ، يحاورها وتحاوره بمواضيع أكثر من ممتعة ، ترسم له لوحات جميلة

لشـــخصـــياته التي يقوم بأدائها ، تنصـــحه بأن يفعل هذا ، وينفعل في المشهد الفلاني ، ويهدأ في آخر ، بل يتقمص الشخصية إلى حد السحر ، أصـبح يعجب بقدراتها الفنية حتى أيقن بأنه لم يخطئ عندما أخبرها بأنها مشروع ممثلة رائعة ..

عاد إلى عمله وغيابه الطويل عن المنزل ، وأحياناً يضـــطره الأمر للســـفر للخارج ، تقضيـ الأيام وحيده بين جدران منزله الواســـع ، إنه عنيد إلى أبعد حد إلى درجة أنه يرفض أن تزور منزل أمها أثناء غيابه كما لو أنه يريد إبقاءها على عرش غروره ..

ملت من تلك الأوامر المتكررة التي تضـــعها والخادمات في منزله بخانة واحدة .. اصنعي الشاي ، أحتاج لفنجان قهوة ، لا أستطيع التركيز أفكاري مشـــوشـــة ، أرغب بنزهة مطولة ، أشـــعر بالضـــيق يطبق على أنفاسي والاختناق لذلك عليها أن تفتح النوافذ ، ما أن تنفذ طلبه بفتح النوافذ يشـــعر بلســـعة برد لذلك عليها أن تكون نبيهة أكثر مما يجب لتسرع إلى النوافذ وتغلقها من جديد وتسدل النوافذ ، عرفت مؤخراً بأن حبيبها يحب الظلمة ، عندما تنتهي مهمتها عليها أن تتركه وحيداً وأوراقه فإن احتاج إليها ناداها .. يا لها من مهمة تلك التي ترأســـتها منذ أن أصبحت زوجته ، تعبت منه وكرهت مزاجه المتقلب ، تمنت لو أنها

تصرخ لتقول له استيقظ فأنا زوجتك ولست خادمتك ، ليس بهذه الطريقة تعامل الزوجة ولكنها تعود وتقول لنفسها :

- تصرخ ؟ وهل تجرؤ على الصراخ ؟ ربما لا إنها رغم كل شيء تخاف على شعوره ، فغالباً ما كانت تقرر الصمت ، وهذا ما كان يمزقها من الأعماق .

قبل سفره بساعات قليلة أعدت له حقيبة سفره ، اختارت له الملابس التي يحتاجها ، تعرف عنه كل شيء حتى طريقة اختياره لملابسه ، تكره سفره وبعده عنها ؛ لأنها تخاف عليه حتى من النسيم ، أفكارها دائماً تحدثها ، ويعبث الشيطان معها كالعادة ، حان وقت السفر فرأته يحمل حقيبته ويسير نحو الباب الخارجي دون أن يقول لها ولا حتى كلمة وداع ، ساءها تجاهله لأمرها ، فاستوقفته قائلة :

- أترحل دون أن تودعني ؟

توقف دون أن يلتفت إليها ، على حين اقتربت منه لتغدق عليه من خوفها وقلقها ، تشد ربطة عنقه ، وترتب ياقة سترته ، دمعة انحدرت من عينيها سهوا ، وهى تقول :

- نم جيداً واهتم بنفسك وصحتك واتصل بي ما أن تصل إلى هناك ، تعلم كم أقلق عليك عندما تغييب عن المنزل ، اتصل بي كل ليلة ، أحب أنام قريرة العين سماع صوتك .

فتح الباب الخارجي ، والتفت إليها قبل أن يخرج فأحس بأنها تحبس دموعها داخل عينيها بصعوبة ، عرف بأنها ستنفجر بعد خروجه من المنزل وتبكي بمرارة ، كانت ستعود إلى الداخل عندما أحست به قد وضع حقيبته على الأرض ليعود إليها مسرعاً ويضمها بكل قوته إلى صدره ليشعرها بالحنان وربما بالأمان

، أراد أن يكون رجلاً بكل معنى الكلمة ولو لبعض الوقت ، أراد أن يغدق عليها القليل من حبه وحنانه وبعض اهتمامه كما أغدقت عليه ، ثم قبلها قبلة امتزجت بدموعها ، قبلته كانت سريعة لم تشعر مطلقاً بطعمها إلا إنها كفيلة بأن تجعلها تفكر بأن زوجها مازال يحبها ، ومازالت ترتعش لمجرد لمساته ، ثم انحنى ليحمل حقيبته من جديد وهو يقول :

- انتظريني سأعود إليك سريعاً .

نظر إليها نظرة اختلط بها الحنان ، وغادر المنزل صافقاً الباب خلفه ، كانت تريد أن يبقى مفتوحاً كي تراقبه وهو يغادر المكان ،

ويتوارى عن الأنظار ، تراقبه وهو يركب سيارته ويقودها بهدوء ، أرادت أن تطمئن عليه حتى النهاية ، شـــعرت فجأة بأن قلبها قد خرج من بين أضـــلعها .. هاهي تقف وحيدة خلف باب منزلها ، وأثر قبلته السريعة مازال ملتصقاً على شفتيها ، عادت إلى الصالون متثاقلة لترمي نفسها فوق الأريكة تبكي وتناجي الله كي يحميه ويحفظه من كل سوء .

" زيارة "

كان الملل قد نال منها نصيبه ، وكاد الضجر يقتلها حتى قررت الخروج لكي تقتل ضجرها ، أمضت ساعة طويلة في الحديقة ، ثم ملت المكوث هناك ، فخطر ببالها أن تزور المستشفى لتزور صديقاتها ، استقبلها الجميع بكلمات الترحيب والقبلات والاشتياق ، قضت دقائق ممتعة رائعة سرقتها من الوحدة والضجر ولكنها بأعماقها أحست بأنها أصبحت غريبة عنهن ، تحس بأنها في عالم أخر لا يشبه عالمها الذي كانت تنتمي إليه في الســـابق ، وجدت نفســـها بين أناس لا يمتون لها بصلة ، جميعهم تمركزت نظراتهم عليها وهي الفتاة البسيطة التي كانت بالأمس تســـعى جاهدة للعمل وكســـب المال من أجل أخوتها وأمها الأرملة ، بالأمس كانت ممرضة في ذات المستشفى ، اليوم أين هي من كل ما كان بالأمس ، كأنها ليســـت منهم وكأنها لم تشـــاركهم جلســـاتهم

وضـــحكاتهم وأحاديثهم ، من هي الآن بنظر الجميع ؟ هي نفســـها لا تدري ســـوى أنها أصـــبحت زوجته ، القدر وحده هو المســـئول عما حدث .. فوجئت بإحداهن تقترب منها ، وتحدثها بلهجة ساخرة وربما وقحة :

- كم هو غريب أمر هذا الزمان ، بالأمس كنتِ لا تملكين ثمناً لدواء أختك الراحلة ، والآن تخشين الجلوس معنا ؟!

دافعت ندى عن سلام حين صرخت بالفتاة :

- اصمتي .. أنتِ لا تفهمين شيئا .

تحركت تود مغادرة المكان الذي أشـــعرها بالإهانة والفرار منهم جميعاً ، وأعماقها تصرخ بحنق ومرارة :

- كلهم حاقدون ، أنانيون .. لمَ كل هذا الحقد عليها ،وهى التي تستحق الرثاء ؟!

ودون أن تدري وجدت نفســـها تصـــطدم بأحدهم ، وكادت تقع لولا أن ساعدها ذلك الرجل ..

والتقت عيناهما .. رباه إنه هو " فراس " !

حدثها بشوق :

- أنتِ هنا ؟ كيف حالك ... اشتقت إليك كثيراً ؟

- انتبه لحديثك ؛ ليس من حقك أن تشتاق لامرأة متزوجة .

- كنتِ لي .

- وأصبحتُ لرجل أخر .

- مالي أراك شاحبة ؟ ربما تعانين من فقر الحب !

- أنت واهم ؛ فأنا لم أعرف الحب إلا معه ، ولم أحب سواه .

- كنت أحبكِ ، وكنت على استعداد لأكون عبدا لكِ .

- أنا لم أكن في حاجة لعبيد ، وأنصحك بألا تعبد إلا الله .

رمقها بنظرة ملؤها الألم ، وهى تغادره لعالمها ، وقد اكتشـفت أن الجميع ما هم إلا قشور .. قشور لامعة !

" هاملت "

كانت ما تزال تقرأ الفصـــل الأول من مسرـحية هاملت ، عندما قرع جرس الهاتف ، فرحت كثيراً وتركت كتابها ، وهرعت إلى الهاتف ، وهي تحمل في قلبها شــوقها العارم لســماع صــوته بعد غياب ، حملت السماعة على عجل لكن سرعان ما ماتت فرحتها ، وأصيبت بخيبة أمل حين سمعت صوتها :

- أيتها البهاء أما زلت تجلسين في منزله ؟ تشتاقين إليه ؟ إياكِ أن تظني بأنك تربعت على عرش قلبه ، إنه لي وســـيعود عاجلاً أم أجلاً ؛

ليعتذر لي عن خطئه الفادح الذي ارتكبه بحقي ، تعلمين أيتها الساذجة بأنني حزينة من أجلك ، تعيشين وحيدة ، تأكلك الظلمة ، تركك كي يعود إلى حبه الأول ، اشتاقي إليه قدر ما تشائين فلست المرأة التي يستحقها ، إنه نادم على زواجه بك ، فهو لم يحبك يوماً ، أنتِ بالنسبة له مجرد نزوة اتخذها لينتقم مني ، يجلس وحيداً في بهو الفندق ، ومازال منذ أيام على هذا الحال ، إنه سجين نفسه ومغامرته الفاشلة معكِ .

- هل أنهيتِ كلامك ؟

- مازال لدي بقية .

- ماذا تريدين مني ؟

- أعتذر إن كان اتصالي قد أزعجك وتسبب لك بأذى .

- لم يزعجني مطلقاً ؛ فاتصالك يعني أنك ستموتين من الغيظ ، وأني انتصرتُ عليكِ .

ضحكت ناريمان بسخرية ، وكاد صوتها يخترق جدار أذنيها :

- لهذا تحبسين نفسك في منزلك .

- ليس هذا من شأنك .

- شأن من إذن ؟ أنت تفكرين به ، وربما هو مازال يحن إلى صدر خادمته .

- تعلمين بأنك امرأة حاقدة ؟

- وأنتِ ماذا تعلمين عن نفسك ؟

- أنا امرأة أحبت زوجها بجنون رغم أن هناك من يحاول تحطيم هذا الحب .

- إنه لا يناسبك أيتها الحمقاء .. صدقيني قصتكما لا يمكن أن تحدث على أرض الواقع ، إنها مهزلة أن يتزوج فنان مشهور بخادمة حقيرة مثلك ، هل تعلمين أن قصتكما تصلح لأن تكون مسلسلاً تلفزيونياً ضخماً ينال إعجاب الملايين ؟

- أنتِ محقة خاصة إن قمتِ أنتِ بدور الخادمة ، ومن المؤكد أنك ستنالين جائزة أوسكار على دور أفضل ممثلة تقوم بدور الخادمة .

- ماذا أقول لكِ ؟ بالفعل خادمة حقيرة لذا عليكِ أن تتركي منزله حالاً .

- عزيزتي هذا ما يقرره زوجي لا أنتِ .

- أهذا أخر ما لديك ؟

ملت من محادثتها ، ولم تملك سوى أن تنهي تلك المهزلة ، وتقفل الخط في وجهها ، شعرت بأن ذلك الاتصال قد شلَّ حركتها ، وحطمها ، لكم تمنت مغادرة منزله بالفعل ، ولكم أرادت أن تفجر

المكان ، وتحطم زجاج النوافذ ، وتحطم نفســـها وكبرياءها المهزوم ، أشـــياء كثيرة تحدث أمامها تهزها من الأعماق ، ولكنها إن فعلت هذا ستجعلها تنتصر عليها ، وتنال مبتغاها ، وهذا ما لا تريده .

" العود أحمد "

كانت تجاوزت الســـاعة العاشرة ليلاً عندما نال منها الملل ، وجدت نفسها تغفو على الأريكة ، لم تكد تستغرق في النوم حتى شعرت بحركة غريبة داخل المنزل ، أحسـت بالفزع نهضـت متثاقلة ؛ لتنظر في المنزل إلا أنها عادت للأريكة وقد خيِّل إليها أن ما سمعته مجرد أضغاث أحلام ، ولكن ما هى إلا لحظات حتى شـــعرت بنفس الحركة فســـيطر عليها الرعب وهى تنهض مرة أخرى وتتناول مزهرية كانت على الطاولة وراحت تقترب من الباب وأنفاسـها تتلاحق في سرعة ، واتسـعت عيناها حين وقعتا على وجهه وهتفت بذهول :

- أنت ؟!

هتف بها مازحا ، وهو يضـع حقيبته أرضـا دون أن يشـعر بمدى الخوف الذي سببه لها :

- مفاجأة .. أليس كذلك ؟

لم تجبه على سؤاله بل ظلت تحدق به ، فصاح :

- ما بكِ ؟ ألمْ تشتاق لزوجك الذي كان غائباً عنك ؟

- وماذا تريدني أن أفعل ؟

- أن تنفضي دهشتك ، وتقتربي مني ؛ لأحتويكِ بين ذراعي .

ظلت واقفة لم تحرك ساكناً ، على حين اقترب منها ، وأخذها بين ذراعيه وعانقها بحنان ، فشعرت بلحظات من الأمان الذي كادت تفقده طوال الأيام السابقة .. هتف بها وهو يضم جسدها إليه أكثر وأكثر :

- اشتقتُ إليك كثيراً ، وصرتُ أعد الساعات لكي ينتهي التصوير وأعود إليك .

- لهذا اتصلت بي واطمأننتَ عليَّ ؟

- أردتكِ أن تشتاقي إليَّ كي يحلو لقاؤنا بعد غياب .

ثم نظر إليها ، ولامس وجهها بأطراف أصابعه قبل أن يسألها :

- ما كل هذا الشحوب ؟

- لا شيء سوى أنني ظننتك لصاً و ..

- لا بأس ها أنا قد عدت ، ولا خوف بعد الآن .

شدها إليه من جديد ، وقبلها بقوة الشوق العارم الذي حمله لها من حيث لا تدري ، ثم قال لها ومازال ممسكاً بوجهها وأنفه لا يريد أن

يبرح وجهها ، كما لو أنه اشـــتاق لرحيقها طوال فترة غيابه ، أو كأنه وجد فيها الملجأ بعد تعبه الطويل :

- أســـف لأنني انشـــغلت عنك ؛ فعملي كان مضـــنياً أكثر مما تتصورين .

- حبيبي .. افتقدتكَ كثيرا .

ثم تذكرت موضوع الهاتف ، فحررت نفسها منه ، لتقول :

- عملك هو الذي شغلك عني أم إنها هى ؟

- لماذا تعكرين صـفو هذه الأمسـية ؟ تعلمين بأن ما يجمعني بها العمل فقط .

- ما عدت أعلم شـيئاً ، لقد اتصـلت بي من هناك ، وطلبت مني أن أترك منزلك ، وأرحل عنك إلى الأبد ؛ لأنك مازلت تحبها هى ، ولأنك تزوجتني فقط لتنتقم منها .

- هى أخبرتك كل هذا ؟

- ولكني قلتُ لها بأنك وحدك من تقرر أمر رحيلي من هنا .

اقترب منها وحمل كفيها ورفعهما إلى فمه وقبلهما ، ثم قال :

- أحسـنتِ لقد لقنتها بقولك ذاك درسـاً لن تنسـاه .. أخبريني ألم تشتاقِ إليّ ؟

اقتربت منه وعانقته بقوة ، وهى تقول :

- اشتقتكَ حبيبي .. اشتقتك كثيرا .

- وها قد أصبحنا معاً من جديد ، انظري في عينيَّ ، وأخبريني ماذا ترين فيهما ؟

- لا أرى بداخلهما إلا السحر حبيبي .. لا بد أنك جائع ؟

- كنت دائماً جائعاً لرؤية هذه العيون التي جعلتني وحيداً طوال الوقت في مكان غريب ، جائعاً لحنانك وعطفك وقبلاتك ، أشتاق لكل شيء فيكِ .

- لا بأس استرح ؛ ريثما أعد لك طعام العشاء .

- انتظري .

اتجه نحو الباب ، وحمل حقيبته ، ثم عاد بها إليها ، وأمسك يدها واتجه بها إلى الغرفة قائلا :

- تعالي لأريكِ ماذا جلبت لكِ من هناك ؟

- أجلبت لي هدية ؟

- بل قولي هدايا بعد أن أنهينا العمل ، قمت بجولة في الأسواق لأختار لكِ كل ما هو جميل ، وأيضا اشتريت لك هاتفا نقالا .

- لي أنا ؟

- لمَ هذا الدهشة ألستِ زوجتي وحبيبتي ؟

تطلعت إليه في سعادة ، ولم تصدق بأنه هو سامر نفسه الذي غادر المدينة ، لقد انقلب خلال سفره رأساً على عقب ، وكأنه أخذ لنفسه دوراً غير دوره ، كان يثور كالبركان ، ثم يهدأ ويبكي كطفل صغير كلما شعر بالحنين إلى الماضي وربما إلى أمه !

****

" ستايل جديد "

بعد نجاح المسلسل الأخير قرر الكادر الفني إقامة حفل صغير يحضره الجميع ، قرر سامر أن يصحبها معه متخلياً بذلك عن كل ما يشعر به تجاه الطبقة التي تنتمي إليها زوجته ، ابتاع لها ثوباً رائعاً يليق بالأميرات ، وأخبرها بأنها إن ارتدته ستفوق ناريمان جمالاً ، وليس هذا فقط بل اصطحبها لأكبر مراكز التجميل لتصفف شعرها ، واختار لها عقداً ثمينا يبهر الأنظار للمعانه ، كانت تكره أن تلبس ثيابهم ، وتتبرج مثلهم ، وتضيف إلى وجهها قناعاً يفصلها عن واقعها وحقيقتها إلا أنها تريد أن تثبت للجميع وخاصة هى بأنها إن ارتدت ملابسهم ستفوقهم جمالا .. نظرت إلى نفسها في المرآة ، واندهشت لمظهرها الجديد ، وكادت لا تعرف نفسها ، كيف خلعت ثوبها البسيط لتلبس ذلك الثوب

الراقي الارســـتقراطي ، وتركت الحرية لشـــعرها الذي أفرجت عنه حين سـمحت ليد المصـفف لتعبث فيه كيفما شـاءت .. نظر إليها ، وحمل يديها ، وجعلها تدور حول نفسها ، وهو يقول :

- ماذا أرى ؟ كل هذا الجمال يعيش معي .

- لا تســـخر مني أرجوك ، وأخبرني هـل يليق بي هـذا النيولوك الجديد ؟

- تأكدي أنكِ ستبهرين الجميع .

- ولكنني أشـــعر بالخجل من هذا الثوب ألا تراه مكشـــوفاً بعض الشيء ؟ أحتاج إلى أن أضع شالاً على كتفي لأمنع أنظار الناس و ..

- لا .. لا تضـعي شـيئاً ، تبدين غاية في الجمال والروعة سـتصـاب ناري بخيبة أمل كبيرة عندما تراكِ .

- وهل تريد أن تغيظها من خلالي ؟

- حبيبتي لم أقصد صدقيني .

- إذا لا تحدثني عنها أبداً ؟

- حبيبتي أنا أعرف ناري جيدا ، ســـتحيك لك المكائد ، لذلك أريدكِ أقوى منها ؛ لأنك حبيبتي وأنا على يقين بأنها ســـتنهار أمام هذا الجمال الأسطوري الرائع .

- كفاكَ مبالغة ، وهيا بنا حتى لا يفوتنا الحفل .

- أنت محقة .

ثم طوي ذراعه لتضـع يدها تحت إبطه ، وسـار معاً نحو الباب الخارجي ، وما أن وصـلا إلى حيث تقبع السـيارة حتى دار حولها ، وفتح لها بابها و سـاعدها على الدخول إليها ، وثم دار حولها من جديد ليفتح لنفسـه الباب ، ما هى إلا لحظات قليلة حتى انطلقت بهما إلى حيث يقام الحفل .. ترجلا من السـيارة ، واقتربا من المدخل الرئيسي. للقاعة ، ثم أعاد الكرة بطي ذراعه ليصنع منها حبيبته على الطريقة الارستقراطية ، سـارا ببطء نحو القاعة التي تعج بالناس والموسـيقى الصـاخبة تخترق جدار المكان من الداخل والخارج ، كل شيء كان جديداً عليها الموسـيقى والناس وتلك الثياب المختلفة الأشـكال والألوان ، وسـط حضـور كل أطياف الفن من فنانين تشكيليين ومصممي ديكور وإضاءة وصحفيين وممثلين ومخرجين ، تأملت الجميع وتساءلت :

- أين هى من كل هؤلاء ؟

فوجئت سلام عندما شاهدت ناريمان تقترب منهما بأنها جاءت لتحقرها أو تسـخر منها إلا أنها فوجئت بها في شـخصـية أخرى تماما تختلف عن شـخصـيتها ، بحيث تنازلت عن كبريائها ، ومدت يدها

تصـافحها ، ثم بحركة تمثيلية اقتربت من سـامر ، ورفعت له يدها لكي يقبلها إلا أنه سخر منها ، واكتفى بمصافحتها ، فقالت له بمكر :

- ألا تفعلها من باب اللباقة ؟ أما أنك افتقدت لحس الذوق عندما تزوجت من هذه ..

ثم ابتلعت جملتها الأخيرة ، حين وجد سـامر فرصـة لمقاطعتها قائلا :

- أنتِ محقة ربما افتقرت لذلك الحس عندما حصلت على هذه اللؤلؤة الحسناء ، ألا ترين بأنها تستحق أن أمنحها هذا اللقب ؟ انظري إليها ألا تبدو نجمة هذا الحفل ؟

- وأين لتلك منا نحن نجوم الشاشة ؟!

لم يعرها اهتمامه ، بل أمسـك يد سـلام ، وصـحبها إلى داخل القاعة ، وقد فوجئ بالجميع قد نهض للترحيب بهما ، وربما بها وحدها ؛ فهذه المرة الأولى التي تحضر فيها حفلة كهذه ، حتى أن أحدهم تجرأ واقترب منها وحمل يدها ورفعها عالياً ودار حولها بينما نظراته الحادة التهمت وجهها وصدرها ، فأثارت تلك النظرات غيرة سامر الذي شعر بأن الواجب يتطلب منه أن يكون حذراً من نظرات ذلك الرجل الذي هو صديقه ومن الوسط ذاته ، وكان قد تحدث - سابقا - عن جمالها

الرقيق ووجهها الطفولي ، وعن رغبته في تقبيلها والحصـــول عليها .. اقترب سامر منه ، وأخذ يد زوجته ، وقال له :

- حذارِ يا صديقي من نظراتك هذه ، ولا تنسَ بأنها زوجتي .

اقترب منه وهمس في أذنه قائلا :

- أعرف يا صـديقي أعرف ، فأنا لا أنظر إليها إلا من باب الحسـد ، سحقاً لك فأنت دائماً محظوظ بالنساء .

لعنه ولعن شهوته وحسده ، ولم يرد عليه بل تركه وسار معها إلى حيث يريد أن يبعدها عن كل النظرات العابثة ، طلب منها أن تجلس على الأريكة ، ثم جلس إلى جانبها ، وقال لها :

- ارفعي رأسك عالياً ، أريدك أن تبدي شامخة أمام الجميع ، ردي على نظرات الإعجاب بابتسـامة بسـيطة مع انحناءة بسـيطة برأسـكِ ، ادعي التفاخر أمام ناريمان وغيرها ، وإن دعاك أحدهم للرقص ارفضيـــ بإشارة من يدك مع ابتسامة لطيفة ، احملي مروحتك كامرأة ارستقراطية ، واهوي بها على وجهك بتأن ، وإن اسـتطعت اصـنعي منها شـالاً يغطي صـدرك ؛ كان عليَّ أن أنزل عند رغبتك ، وأضـع شـالاً على كتفيك ؛ كي أمنع عنك تلك النظرات الشهوانية .

- حبيبي .. إن لم تكن مرتاحا يمكننا المغادرة و ..

- بل أنا مرتاح إن نفذتِ ما طلبته منك ، وضـــعي ســـاقك اليمنى فوق اليسرى وهزيها على الدوام إن شـئتِ ؛ لتثيري غضـب تلك المرأة المغرورة .

- لا تقلق .. سأفعل .

- وأيضـــا عنـدما تريـدين محـادثتي أمـام الآخرين اقتربي مني ، واهمسي في أذني فأنا لا أحب أن يسمع أحد ما تقولينه لي .

أملى عليها رغباته ، ثم التفت ليشـــاهد ناريمان التي اقتربت من قاعـة الرقص ؛ لتدعو أحـدهم كي يكون شريكها وكل هـذا لتثير غيرتـه وغضـب سـلام .. اقترب ذات الرجل منها ورمق سـلام وزوجها بنظرات ماكرة حادة ، ثم أحاط ناريمان بذراعيه ، وبدأت الموســـيقى الهادئة ، وركن الجميع إلى الصـــمت بينما ظلت ســـلام تراقب تحركاتها المثيرة للاشـــمئزاز ورقصـــها الخليع الذي افتقر للأدب .. شـــعرت بأنها تريد أن تفقد زوجها صـوابه والسـيطرة على نفسـه حتى أصـبح يشـعر بالضـيق بالفعل ، والدم تدفق إلى وجهه ، وأخذ يحل ربطة عنقه ، ظنت بأن غيرته عليها ســتحرك رجولته وتجعله ينهض كي يبرز شـــهامته وينتزعها من بين ذراعي شريكها إلا أنه لم يفعل ، خذلها بحيث بقي جالســـاً إلى جانب زوجته الحسناء يحادثها بهمس ، ويبتسم ابتسامة خفيفة تبادله

بمثلها ، وتأملته ســـلام بعمق فلمســـت في وجهه ذلك الانفعال الذي حاول مراراً أن يكبته بداخله ، أحســت بأنه مازال يحبها ، ومازال يتمزق لرؤيتها مع ســـواه ، يكذب عليها وعلى نفســـه ، تحرقه الغيرة ، وهي عرفت كيف تثير غيرته .. توقف شريكها عن الرقص وصـــاح بصـــوته العالي :

- أوقفوا الموسيقى لقد حان وقت الشراب وسأحضره لكم حالا .

فوجئت سلام باقتراب ناريمان منها لتقول :

- كيف تقدم الشراب للضيوف بنفسك ؟

ثم استطردت بسخرية ، وهى تشير بسبابتها إلى سلام :

- ونحن لدينا هنا خادمة يمكنها أن تقوم بهذه المهمة .

غلى الدم في عروق سلام ، فقدت السيطرة على نفسها ، خافت من نظرات الآخرين بل خجلت، نظرت إلى زوجها ، ثم وجدت نفســـها تنهض لتقترب منها ، رشقتها بنظرة فاحصة غاضبة ، ولم تدري بنفسها إلا وهى ترفع كفها لتهوي على وجه ناريمان بصفعة هائلة ..

صفعة تردد صداها بأسماع الحاضرين ..

ألجمت المفاجأة ناريمان ، فراحت تتحســس مكان صــفعتها في ذهول ، وقد ســيطر الصــمت على كل الحضــور ، ألقت ســلام نظرة

ساخطة على الجميع لتندفع بعدها نحو الباب ، وقبل أن تعبره توقفت ، واستدارت تلقي نظرة على زوجها الذي كان في تلك اللحظة يقف أمام ناريمان ، ويقول لها :

- لماذا تتعمدين دوما إهانة زوجتي ؟

- لأنها لا تستحق سوى الإهانة .

فوجئت به هو الأخر حين رأته يهوي بيده إلى صدغها ليصفعها ، ثم قال :

- وأنتِ أيضا تستحقين تلك .

صرخت في ظهره بحقد بالغ وهو يغادر المكان :

- ستدفعان الثمن .. نعم لا بد أن تدفعا الثمن .

أما هو فقد اتجه لسيارته التي سبقته إليها سلام ، وألقى بجسده خلف عجلة قيادتها ، وانطلق بها على الفور دون أن ينطق بحرف واحد وهتف بزوجته دون أن ينظر إليها :

- كانت تستحق ذلك .

- لقد أهانتني .

- وأهانتني أنا أيضا فأنت زوجتي .

وواصـــل طريقه دون أن ينبس بحرف آخر ، وحين وصـــلا إلى المنزل كانت تشعر برغبة شديدة بالبقاء وحيدة والنوم إلى ساعة متأخرة من الصـباح ، اتجهت لغرفتها وجاءه صـوتها تقول لنفســها عبر الباب المفتوح قبل أن تغلقه لتبدل ملابسها :

- هـذا ليس عـالمي .. نعم ليس عـالمي بـالتـأكيـد ، وهـذا الثوب يشعرني بالاختناق .

كانت ما تزال تقف أمام المرآة محاولة نزع المشـــابك المتعددة من شعرها ، عندما رأته يقف خلفها ، هتفت به في حدة :

- أجئت تشكرني لأنني صفعتها وأهنتها أمام الجميع ؟

لم يقل شـــيئاً بل كان يراقبها ، وهي تطلق سراح شـــعرها بعد أن انتهت من مهمتها ، التفتت إليه تسأله من جديد وبنفس الحدة :

- قل ماذا تريد ..

- ألا يمكنك أن تغيري أسلوبكِ هذا ؟

- صدقني أريدكَ أنت أن تغير أسلوبك معي .

- تعلمين بأنني أحترمك و ..

- ما عدت أصـدقك ؛ فأنت تقول لي هذا الكلام عندما تحتاجني ، وأنا لســـذاجتي أنصـــاع لرغباتك المجنونة ، رغم أنني أعرف بأنك

ستهرب مني وتهجرني بعد ساعات .. صدقني لقد سئمت منك ، بدأت أكره نفسي. وقد صارت أداة لإمتاعك فقط .. أرجوك دعني أعود لعالمي ؛ فعالمي غير عالمك ، كما أن وجودي يعرقل عليك أشـــياء كثيرة أهمها الحب الذي تريده وتشـــتهيه ، الحب الذي تريد أن تعيشـــه في عالمك ووسـطك الفني ، أنت تحبها ، لا تنكر ، لقد رأيت هذا في عينيك الليلة .

- أنتِ واهمة .

- ليتني كنت كذلك ولكنها الحقيقة .

- حبيبتي .. تأكدي أنكِ وحدك من تتربعين على عرش قلبي .

- حفظت أســـطوانتك تلك عن ظهر قلب ، ترغب بي ســـاعة وتهجرني أيام ، صـــدقني لقد أيقنت بأنك مريض ، تعاني من مشـــكلة لا أعرف ما هى ؟

- أنا لا أعاني من شيء ســوى أنني ابتليت بحب امرأة لا تفهمني ، كنت أظن بأنك حبيبتي وملجأي من عذاباتي التي بدأت أعيشـــها بعد رحيل أمي .

- وأنا كنت أظنك محطة أحلامي .

- إذاً دعينا نعيش كما نريد .

- تكذب ... تكذب ... دائماً تكذب وأنا أصدق كذبك .

- هذا لأنك تحبينني .

- سـحقاً لحبي لك ولقلبي ، أعلم بأن حبي لك يذلني ويدوس على كرامتي .

ثارت عليه لأول مرة ، واعترفت له بأنها تعرف كل شيء عن ماضيه ، هو أخبرها ، عيناه أخبرتها ..

تلك الفتاة التي حملت معها أحلامها الريفية وسـافرت مع حبيبها إلى مدينة الأحلام جاش قلبها بالانفعال الذي لم تشـــهد مثيله من قبل واتجهت نحو سريرها متعثرة بذيل ثوبها الطويل ثم جلســت على حافة السرــير ونظرت إليه لتلمح ذلك الحزن الذي علا وجهه ..لا تدري ما الذي حدث ؟ كلاهما قال ما لديه ، كلاهما أراد الهروب من واقعه ، وكل منهما يحمل في أعماقه ثورة يشنها على الأخر ، رفعت رأسها لتقول له :

- والآن اتركني وحدي ؛ أريد أن أغير ثوبي هذا .

اقترب منها ، وجلس إلى جانبها على السرــير ، وقال لها محاولاً استمالتها :

- ألستُ زوجكِ ؟

لم توله اهتمامها ، بل ظلت تنظر إلى الأرض ، لامس يدها ، فلم تحاول ســـحبها ، فحملها ورفعها إلى فمه وقبلها ، نظرت إلى النافذة المفتوحة وإلى الســـتائر التي تلاعبها نســـمات الصـــيف ، ثم شـــاهدته ينهض فظنت بأنه سيخرج من غرفتها إلا أنه اقترب من النافذة ، وأخرج من جيبه علبة سجائر ووضع سيجارة بين شفتيه وأشعلها ، كادت تلك الرائحة التي تكرهها تفقدها الســـيطرة على أعصـــابها ، فلتطرده من غرفتها مع ســـيجارته اللعينة إلا أنها تمالكت نفســـها ، ونهضـــت هى الأخرى لتقترب منه ، كان ينفث دخان ســـيجارته عالياً حين اقتربت منه ، وأخذت ســـيجارته ثم اقتربت من النافذة ، وأطفأت عقب الســـيجارة بالجدار من الخارج ، ورمت بها ، ثم قالت له في همس ، وقد انفرجت شفتاها عن رغبة مكبوتة :

- ماذا ؟ أمازلت ترى بأن ثوبي هذا يحتاج لشال يغطي كتفي ؟

فاجأته بقولها ذاك . كيف لا ؟ وهي لم تبادره الحب يوماً ، رغم أنه كان يراه في عينيها كثيرا ، رفع يده ولامس وجهها الناعم بأطراف أصابعه ، وقال وقد استبد به الشغف :

- ليس ونحن هنا .

- إذا اجعلني سيجارتك .

التهمت نظراته كل ما تعرى من جســـدها ، والتفت على النافذة المفتوحة ، وأغلقها وأسـدل سـتائرها ، وعاد ينظر إليها غير مصـدق أنها من بدأته بالحب ، أما هى فاتجهت نحو خزانتها ، فهتف بها :

- ماذا ستفعلين ؟

- أريد أن أبدل ثوبي .

أمسـك ذراعها ، فسرت القشـعريرة بجسـدها ، وهو يهتف بهمس :

- لا تبدلي شيئاً ؛ يعجبني هذا الثوب كثيراً .

لم تقل له شيئاً فحررت ذراعها منه ، وسـارت نحو السرير فسـار خلفها ، داخلها إحسـاس غريب وهى تراه أمامها ، اسـتمرت في صـمتها ، فقال بهدوء :

- انظري إلىَّ تكلمي .

جلســـت على حافة السرـــير ، فجلس إلى جانبها ، وحمل يديها يقبلها ، ثم قربها إليه ، وحمل عنقها بكفيه حتى أشعرها بأنه يلف حول عنقها حبل المشـــنقة الذي اعتاد على حمله كلما أرادها أن تصـــنع من نفسها أداة لإمتاعه ، ثم قال :

- دائماً تسحرني هذه العيون .

قالت بأعماقها :

- ودائماً تقيدني بذراعيك اللتين أعشقهما .

أرادت الهروب من كل ما وضعت نفسها به ، إلا إنها كانت عاجزة حتى عن صـده بكلمة ، تحبه وضـعيفة جداً أمامه ، لاحظ ذلك النفور الذي علا وجهها ، فهمس بأذنيها :

- ما بكِ ؟

- رائحة سيجارتك مازالت تطبق على أنفاسي .

- يمكننا تلطيف الجو .

- كيف ذلك ؟

- بأن تنسيـ أمر تلك السـيجارة اللعينة ؛ لأعطر أنفك بأنفاسي ، وأمزج العطر بشذا قبلاتي .

مازال عنقها بين كفيه تشعر بلهيب لمساته على حين قربها منه ، وقبّل خدها وأنفها ، فوجدت نفسـها ضـعيفة تماماً أمام ذلك الإغراء الذي يقدمه لها وذلك الحنان الذي يلفها به ، ثم نظر إليها وهمس :

- أعشقكِ وأعشق جسدكِ الذي يسحرني دوما .

أخجلها ، أضرم ناراً في جسـدها، بدرت منها لحظتها ابتسـامة مرتبكة ، مما جعله يضعف أمام سحرها فقبلها قبلة لم يشهد مثيلها

، ثم وبدون أن تشـــعر بحركة تمثيلية منه وجدت ثوبها ينزلق من على جســـدها العاجي ، تذيبها حركاته ، تأخذها إلى عالم لذيذ لمســـاته ، همساته .. كل شيء منه يجعلها ضعيفة أمام رغباته ، ما هي إلا لحظات حتى وجدت نفسـها كما هي العادة تسـلم جميع أسـلحتها كما هو الحال لكل امرأة محبة ، ومع ذلك مازالت تشـعر بداخلها بذلك النقص الذي يجعلها تلعن نفسها وضعفها واستسلامها لذلك الحب الذي يأخذ منها كل شيء دون أن يعطيها أي شيء ، وهى تعلم تماماً بأنها لم تخلق لذلك الحب !

" القرار "

لم يعد ذلك الســـحر يخطف لبها منذ مدة ، ولم تعد تلك الفتاة الساذجة التي تسـلم أسـلحتها كلما أراد هو ، أصـبحت الآن حرة نفسـها سيدة قرارها ، فالأيام تمضي. مسرعة كما لو أنها تسابق الريح ، والفنان العظيم قد تمادى كثيراً بتأخره عن المنزل وعن واجباته تجاه زوجته ، كانت الســـاعة قد تجاوزت الثانية عشرة ليلاً عندما عاد إلى المنزل ، وكانت ما تزال تجلس في الصـالون ومسـتعدة تماما للشـجار ، تجاهل أمرها حين أراد الدخول إلى غرفته فور وصـــوله إلى المنزل ، نهضـــت

وكبلت ذراعيها على صـــدرها ، وقد شـــعرت بأنها تحولت إلى إنســـانة أخرى وكأنها لبست ثوباً غير ثوبها .. هتفت بتحفز :

- ألا تخبرني أين كنت حتى هذه الساعة ؟

نظر إليها بحدة وشعرت بأنه راغب بصفعها ، ثم خاطبها بلهجة بدت غريبة قائلا :

- ماذا تقولين ؟

- أسألك أين كنت ؟

- ليس هذا من شأنك .

- شأن من إذاً ؟

- اسمعي .. هذا منزلي أعود إليه في الوقت الذي أجده مناسباً لي ، وعليك أن تتعلمي من الآن ألا تســأليني عن مكان وجودي .. هل هذا واضح ؟

- يبدو أن شهرتك قد جردتك من مشاعرك الإنسانية .

- أنا فنان وحياتي ليست لها نمط واحد ، أعشق التمرد والتغيير ، ومازالت لدي أحلام لا أستطيع تفريغها .

- وناريمان من ضمن تلك الأحلام .. أليس كذلك ؟

- دعكِ منها الآن وأخبريني .. ماذا تريدين الآن ؟

- أن تقدر وجودي إلى جانبك ، وتعاملني كما ينبغي للزوج المحب أن يعامل زوجته ، لقد مللت تمثيل دور الدمية التي تلهو بها وقتما تريد ثم تملها وتتركها لتبحث عن أخرى ، كان حلمي أن أتزوج من رجل أحبه ويحبني لنخوض معا معترك الحياة بحلاوتها ومرارتها.

- ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

- أنت محق ؛ لقد جرت الرياح بما لا تشتهيه سفني .

- ورغم كل ذلك فأنا ما زلت أحس بكِ وأحبكِ .

- أفعالك تناقض كلامك ، من فضـــلك انظر إليَّ وتأملني جيداً وقلها صراحة : هل جف ينبوع أنوثتي ؟

- تعلمين بأنكِ جميلة ومثيرة وزوجة كاملة بكل معنى الكلمة .

- إذاً ماذا حدث ؟ أشعر وكأن عواطفك اتجاهي خمدت وضاعت .

تطلع إليها في صمت ولم يرد ، رمقته بنظرة طويلة حزينة قبل أن تهتف في حزم :

- إذا فأنا قد اتخذت القرار السليم .

- أي قرار ؟

- الانسحاب من حياتك .

- ماذا تقولين ؟

- أكره أن أخرج من معركتي مهزومة ، ولكنني تعبت ، لقد حزمت حقائبي ، وهيأت نفسي لمغادرة هذا المنزل لكي أرتاح ، وأريحك مني إلى الأبد .

- أنتِ مجنونة دون شك .

- كنت مجنونة عندما صـدقتك ، والآن أريد أن أشـتري نفسيـ قبل أن يبيعها حبك لأخرى .

- مازلتُ أحبكِ وأريدكِ .

- ربما تكون صادقا الآن ، ولكني لن أنتظر حتى تكرهني .

- كيف أثبت لك العكس ؟

تطلعت إليه في صـمت ولن ترد ، أحس أمامها في تلك اللحظة بالضـعف والتلاشي ، شـعر أن تلك المرأة الفقيرة هزمته ؛ لأنها قررت تركه أخيرا ، كما لو أنها حولته إلى دميتها ، وتبادلت معه الأدوار ..

اقترب منها ولامس وجهها ، وهو يقول :

- أنت مصرة ؟

- أجل .. وابتعد عني ؛ ما عاد أسلوبك هذا يضعفني .

أمسك يدها ، فحررتها منه هاتفة :

- لم تعد لمساتك ترعشني ، سأرحل إلى عالمي الذي أنتمي إليه .

دخلت إلى غرفتها ، وشـــعرت للمرة الأولى بأنها حطمته ، ها هو خسر دميته التي أحبها أكثر من نفسه ، والتي كانت يحطمها متى شاء ، أين هي أخته لتأتي وترمم ما حطمته ؟

بعيدة .. بعيدة عن كونه وأرضه ..

أحس بأن ســـلام كرهت غريزة الحيوان الموجودة بداخله كرجل عاش على البذخ ، رفضت أن تستمر بأداء دورها ذلك أن تكون بالنسبة له مجرد لعبة ســاذجة بلهاء ، عاد إلى طفولته ، تذكر الدمى الكثيرة التي حطمها ، تذكر أخته التي كانت ترممها له ، تذكر تلك النافذة التي كانت يركض إليها ، والتي شــهدت على فظاعته وأنانيته ووحشـيته عندما كان يرمي بدماه منها ، ثم يجري مسرعاً إلى أمه ؛ ليطالبها بشراء دمية جديدة .. كانت ما تزال في غرفتها عندما لمحته يتجه إلى صورة أمه ويخاطبها :

- أمي تريد أن تتركني وترحل بعيدا ، أمي .. أخبريني أتراني أســـأت التصرـف ؟ عودي إليَّ وعانقيني وعديني بأن تشـــتري لي دمية أخرى ، ســـاعديني على تخطى المحنة.. حطمتها يا أمي وأنا أعلم كم تحبني جرحتها..هي المرأة التي حفظتني من ضعفي ، من غروري ، هي من كانت بلســما لجراح الماضي ، أكان حبك لي جرحا ؟ كيف لا وقد عودتني على

امتلاك الأشـياء ؟ كيف لا وقد وضـعت سـداً منيعاً بيني وبين أختي ؟ جعلتني أبدو إمبراطوراً على الجنس الأخر ؟ مازالت كلماتك ترن في أذني أنت الباقي لي ، أنت ابني المدلل الذي يحمل اســم أبيه ليحفظ إرثه ، أنت الأمان الذي يحميني من آفات الدهر ، أنت من ســتبقى لي وهي ســتغادرني إلى منزل زوجها ، آه يا أمي ! كم ظلمني حبك وحطمني ! هل تعلمين بأنني أشــتاق لأختي وأتمنى رؤيتها ؟ كيف تســمعني وهي بعيدة عني ؟ سحقاً لي من شقيق حتى رقم هاتفها أضعته ..

كانت تسمعه ، وفي نفس الوقت تشعر اتجاهه بالشفقة ..

كان ما يزال يقف أمام صــورة أمه ،عندما ســارت نحو الباب الخارجي ببطء ، وهي تحمل حقيبتها ، لم يحاول النظر إليها في تلك اللحظة ، مازال محطماً يرثي نفسه وماضيه ، وكأنه يظن بأن صورة أمه ستنطق ، وتطلب منه أن يسامحها ؛ لأنها أخطأت حين ميزته عن أخته ، وقفت تنظر إلى المنزل للمرة الأخيرة ، ولكنها أيقنت بأنها ســتراه من جديد .

****

عادت إلى واقعها وعالمها إلى حيث نشـأت بين أهلها ، اكتشـفت بأن العالم الذي كرهته ذات يوم أفضــل لها بكثير من عالمه الباذخ ، إن

عالمها يشبهها وينتمي إليها ، لم تندم بل على العكس شعرت بانتصارها عليه..

لم تمر ســوى أيام حتى اتصــلت بالطبيب مدير المســتشــفى ؛ لتطلب منه أن يســمح لها بالعودة إلى العمل ، رحب المدير بعودتها ، عاشــت ليالي كثيرة متمنية أن تنسىـ ذلك الرجل وقصــة الحب التي عاشتها رغم حبها الكبير له تركته ..

لا تدري لماذا ظنت لفترة من الفترات بأنه ســيأتي ويعتذر لها ويصلح الوضع بينهما ، إلا أنه كعادته لم يتنازل عن كبريائه ، لم يكن في قانونه الذي نشــأ وتربى عليه أن تعود دميته التي حطمها إلى الحياة ؛ فدائما أمه تعده بالأجمل والأروع ، هو نفسه يعشق البحث عن الجديد ، يحتاج من يهزه ويحطمه ويذكره بالأهم ، إلى من يذكره بصــحوة ضميره لكي يعاني كما عانى الآخرون بسببه ، يعاني كما تعاني الطبقة التي تنتمي إليها هي .. عالمه الغريب يحيره ، تفكيره مازال مشوشاً ورغم كل ذلك كان على يقين بأن الأمر لم ينته بعد ، وأنه مازال بينه وبينها لقاء !

" الاعتذار "

كانت ســعيدة بعودتها إلى عملها حتى كادت تنسىـ بأنها كانت متزوجة ، مر الوقت سريعاً بالنسبة له..

وبطيئاً جداً بالنسبة لها ، رغم أن حياتها أصبحت تسير بشكلها الطبيعي ، بعد أن نالت شرف العودة إلى عملها ، ولكنها تعود لتفكر به عندما تجمعها جدران غرفتها وتسأل نفسها :

- لماذا رغم كل شيء مازالت تحبه ؟

إنها على صواب .. نعم نعم على صواب ، ما فائدة أن يكون معها جسداً بينما روحه وتفكيره مع أخرى

، كانت مستغرقة في غرفتها ، تقلب صفحات مجلة قديمة ؛ محاولة أن تقتل الملل الذي أصبحت تشعر به منذ تركت منزله ، دخلت أمها إليها ، خافت أن تلمح دمعة انحدرت من عينيها سهواً ، فأولت ظهرها وسألتها :

- أمي .. مَنْ كان يقرع جرس الباب ؟

- جاء يريد محادثتك .

- وماذا يريد وقد نسي أمري ؟

- لم يخبرني .. هل ستخرجين لمقابلته ؟

- لا .. أخبريه بأن الأحاديث بيننا قد انتهت .

فوجئت به الأم قبل خروجها يقف خلفها داخل الحجرة ، ويقول :

- بل مازال للحديث بقية .

خرجت الأم من الغرفة ؛ لتفســح المجال لكليهما ؛ ظناً منها بأن المياه سـتعود لمجاريها ؛ أغلق الباب خلفها في حين أولته سـلام ظهرها .. هتف :

- على فكرة أمك طيبة جداً .

- أعرف وساذجة وتفكيرها محدود .

- لماذا تقولين عنها هذا ؟

تركت مجلتها ونهضت لتقف قبالته قائلة :

- لأنها تظن بأننا سنعود إلى سابق عهدنا وربما ظنت بأني سأعود معك الليلة .

- في النهاية تريد صالحنا معاً .

- أخبرني كيف حدث وتذكرتنا ؟

- كفاكِ سخرية .. جئتُ لنتحدث .

- وفيم نتحدث ؟ ظننت بأن الأحاديث بيننا قد انتهت خاصــة ، وأنك لم تسأل عني طوال تلك المدة .

- لا تنسي بأنكِ خرجتِ من المنزل بإرادتكِ .

- نعم لم أنس ذلك ، ولكنك لم تمنعني ، أو حتى تبدي تمسـكك بي .

أمسك كتفيها ونظر إليها بعمق و قال :

- يـا إلهي كلمـا ابتعـدتِ عني ازددت جمـالاً وروعـة ، ولمع ذات البريق الذي أخذني إليكِ أول مرة في عينيك. - كف عن غزلك هذا ؛ فلم تعد كلماتك تضعفني .

قرّبها إليه ، ولمس وجهها بأطراف أصـابعه ، فوجدت نفسـها تضع رأسها على صدره لتشعر ببعض من الأمان ، وتسمع نبضات قلبه التي كانت تخفق بشدة ، وجد لنفسه فرصة ليهمس في أذنيها :

- أشتاق إليك كثيراً .

- لهذا غبتَ عني كل هذه المدة .

- أردت أن أختبر مشاعري اتجاهك .

- ماذا استنتجتَ ؟

- مازلتِ تحبينني ، ومازلتُ أظن بأنك تستحقين الأفضل .

- ليس هناك أفضل منكَ .. أنت الحب الأول الأخير .

انهمرت قبلاته عليها ، وهو يهمس :

- أحبكِ .. وسأظلُ أحبكِ ..

كادت تتلاشى تحت تأثير قبلاته كما هى حالها دوما ، فرغم كل ما حدث مازالت مغرمة به..

- حبيبي .. أنتَ تشتاقني كثيرا .

- أكثر مما تتخيلي ، ولكني لا أستحقكِ ؛ فقد انتهى كل شيء .

- ماذا تعني ؟

- أنا هنا لأقدم لكِ كامل حقوقك الشرعية .

حررت نفســـها من ذراعيه ، واتســـعت عيناها ، وأولته ظهرها واتجهت نحو النافذة .. هتفت :

- أبهذه السرعة تنهي ما كان بيننا ؟

- إنه قدرنا حبيبتي .

- لا تقل حبيبتي .. عن أي قدر تتحدث؟

أحسّـــت بأن النار تحرق أوصـــالها ، والدم يغلي في عروقها ، ثم تساءلت بأعماقها :

- هل هذا الاعتذار الذي جاء يقدمه لها ؟! لقد جاء يقطع بينهما آخر صلة تربطهما .

- لكِ في ذمتي حقوق يتوجب علىَّ دفعها ، ما دمنا انفصلنا .

- وبعدها تقطع علاقتك بي للأبد .

- بل سنظل أصدقاء .

صرخت بأعماقها :

- أصدقاء ! سحقاً لك ، أنا أحبك .. ثم قالت مدعية القوة :

- كنت مســـتعدة تماماً لهذه اللحظة ، عدت إلى عملي ، وحياتي تسير بشكلها الطبيعي ، حصولي على الطلاق لن يصيبني بالإحباط .

- أتمنى لكِ التوفيق ، وأتمنى من كل قلبي أن تجدي لنفســـك رجلاً يستحقك هذه المرة .

- صدقني لست بحاجة لتمنياتك تلك .

وفي أعماقها صرخت كطائر ذبيح :

- ومَنْ يستحقني غيركَ ؟

- على كل حال ستكون حقوقك في حوزة أمك .

وضعت يدها على بطنها وسألته :

- إن كانت حقوقي في حوزة أمي ، فماذا عن حقوق هذا الجنين الذي في بطني؟

صــدمه الخبر ، فنظر إليها مندهشــاً مخترقاً مســام جســدها ، وتركزت نظراته على بطنها ، ومازال غير مصـــدق ما ســـمعه منها ، ثم صاح :

- ماذا قلتِ ؟

- لستَ أصماً بالتأكيد أقول لكَ أنا حامل ، في أحشائي طفل منكَ ، وله الحق في أن يحمل اسمكَ مستقبلا .

- مازلت لا أصدق ما تقولينه .

- تعلم بأني لا أكذب ، ولكنك لا تريد أن تصدق .

- أصدقكِ ولكنني فوجئتُ .. لم أكن مستعداً لتلقي صدمة كهذه .

- تسمي حملي منكَ صدمة ؟

- ثقي بأني لن أطالبك به ، هو من حقكِ أنتِ .

- هذا لأنك تكره أمه .

- لا أكرهكِ ، ولكنني لست مستعداً لقبوله .

صـــعقها بقوله ذاك ، رشـــقته بنظرات احتقار ، وانهالت عليه بسيل من الكلمات اللاذعة :

- ســـافل وأناني صـــدقني لا أدري كيف أحببتك ؟ ولا كيف عشـــقتك الناس ، وصـــنعوا منك نجماً ، وأنت تخفي بداخلك إنســـانا مغرورا متعجرفا ؟

لم يقل شيئاً بل أولاها ظهره ، فصرخت به :

- اســـمع أريدك أن تخرج من منزلي الآن ، ولا أريد أن أراك مرة أخرى .

- تطردينني من منزلك ؟

- ومن حياتي كلها ، لا أريد رؤيتكَ بعد الآن .

- تقسين علىَّ كثيراً .

- وأنتَ ألم تقسُ علىَّ ؟

- ماذا أفعل كي تكوني راضية عني ؟

- أن تتركني وشأني لقد ضقت بكَ ذرعاً ، أما بالنسبة لهذا المنزل سنتركه ونعود إلى منزلنا .

- لا لن تتركي هـذا المنزل ؛ إنـه من حقـكِ ؛ ثم أنـه قريـب من المستشفى الذي تعملين فيه .

- يالشهامتكَ !

لم يرد عليها بل ترك لها غرفتها ، وخرج من منزلها ، وهى ماذا فعلت ؟ لا شيء ســوى أنها اتجهت إلى سريرها ، ورمت نفســها عليه ، وأطلقت العنان لدموعها ، مازالت تحبه وبداخلها كانت تلعنه ؟ لماذا تفكر به وقد نسى أمرها ورماها كما كان يرمي دميته ؟!

" بعد عام "

مـازالـت الأحـداث تتوالى ، ومـازال ذلـك الجرح العميق يعيش بداخلها ، كانت ما تزال تجلس في غرفتها قبل ذهابها إلى عملها ، دخلت أمها إليها لتجدها حزينة مكتئبة كعادتها كل يوم ، اقتربت منها وجلست إلى جانبها ولامست شعرها ، وهى تقول :

- ما الذي جرى لك وكأنك لست سلام ابنتي ؟

- لا شيء ربما أعاني صداعاً .

- أنت تعانين من هذه الحالة منذ أكثر من عام .

- أشـــتاق إليه أمي مازلت أحبه ، مازال يعيش بداخلي ويحرك مشاعري .

- انسي الماضي وعيشي حياتك .

- لا أســتطيع ، حاولت مراراً أن أعيش الواقع ولكنني فشـــلت ، يحيرني ذلك الرجل إنه يتابع أخباري أول بأول من مدير المســتشـفى ، لقد علم كل شيء عني وعن المشـــكلة العويصـــة التي عانيت منها أثناء الحمل ، وعرف أيضا بأني أجهضت طفله ، وكدت أفقد حياتي بسببه .

- حبيبتي لا تهتمي ، انهضي واذهبي إلى عملكِ الآن ، ننتظرك على المائدة .

خرجت الأم من غرفتها ، وتركتها صريعة أفكارها ، وربما أوهامها ، ترى كيف يعيش الآن وقد فقد طفله قبل بلوغه الشهر الرابع في بطن أمه ؟ هل كان يعيش على أمل أن يرى ابنه يكبر ويحمل اسمه ، أو على أمل أن تعود المياه إلى مجاريها بسبب ذلك الطفل الذي كان سيربطهما معاً ؟

والحقيقة أنه فكر كثيراً بزيارة منزلها ، بعد أن علم من الطبيب بأنها تلزم المنزل لكي تتماثل للشفاء ، إلا أنه خاف من أن يضعف أمامها وينهار ويركع ، ليطلب منها مسامحته والعودة إلى حياتهما في السابق ، بعد مرور تلك المحنة العصيبة علم بعودتها إلى عملها مهزومة مكسورة ، هناك في المستشفى رآها ولم تره ، كان يومها يزور الطبيب لإجراء بعض التحاليل بناءً على طلبه ، كان طوال فترة غيابها عنه يشعر بأن شيئا ما يسرق أمنه واستقراره ، دائماً يشعر بالنقص ، يشعر بأنه في حاجة لرؤيتها ولو من بعيد رغم أنه يعلم بأن ذلك ليس من حقه ؛ لم يعد يربطهما شيء حتى الجنين انتقل إلى رحمة الله ، كما انتقلت قصتهما العظيمة ، ما أن غادرت سلام القاعة حتى اتجه إلى حيث كانت تقف سحر إنها ذات الممرضة الثرثارة ، تحدث إليها وأطال الحديث رغم أنه يعلم بأنها ممرضة سيئة ، ولا تستحق أن تنال

لقب ممرضة .. أصبحت سحر لا تبرح الأمكنة التي تكون فيها سلام ، أصبحت تعشق مجالستها وتحثها على الحديث أحياناً تسمح لنفسها أن تخوض معها أحاديث خاصة ، وذات مرة سألتها :

- هل ما زلتِ تحبينه ؟

لم ترد عليها سلام ، ولكنها قرأت في عينيها الكثير والكثير ، فهتفت بها ، وهى تناولها إحدى المجلات :

- أنصحكِ بأن تنسيه كما نسيكِ .

اتسعت عيناها في هلع ، وترقرقت فيهما الدموع ، وهى تطالع صورته معها بالمجلة .. مع ناريمان وتحتها خبر زواجهما .. صاحت :

- سحقاً له ولها ، لو تزوج امرأة غيرها لذهبت بنفسي ، وقدمت لهما التهاني الحارة ، ولكن ناريمان يا سامر ! لماذا ؟ لماذا ؟

- والآن ماذا ستفعلين ؟

بدا لها السؤال تافها ، وأثار غضبها ، فنظرت إليها طويلا ، ثم هتفت ساخرة :

- وماذا أعمل في رأيكِ ؟

- الجواب عندكِ .. ها هو سامر قد تزوج .

- وما العيب في ذلك ، أنا أيضاً سأتزوج .

رمقتها سحر وراحت تهتف برعب :

- تتزوجين من ؟

- ومن غيره .. الدكتور فراس طبعاً مازال يحبني .

قالت سحر بكلمات متقطعة وربما تائهة :

- كيف ذلك ؟ كنتُ أظنكِ غير معجبة به ؟

- من قال هذا ؟ على كل حال سأثبت لكِ قريباً جداً .

- بلهاء ماذا تريدين من فراس وكنت تعيشين في عالم البذخ والثراء ؟

- هذا شأني وفراس يحبني ، ومازال ينتظر مني رداً .

- ولكنكِ الآن صرتِ مطلقة !

- وماذا فعلت أنتِ الفتاة البكر ، وقد كان أمامك طوال الوقت ؟

- ســـحقاً له ... لم يحب غيركِ وكأن العالم خَلِى من النســـاء الجميلات !

- القلب وما يريد ..؟

- سحقاً له ولقلبه الأعمى .

غادرت ســـحر المكان في حين تناولت هى المجلة ، وتأملت صورتهما ، وهتفت بغضب :

- أيها الأحمق ..سأحول حياتك إلى جحيم ، وسترى .

*****

الحياة حصـــان ، إما أن ننطلق به أو أن ينطلق بنا ، كرهت كل أولئك الناس الذين يحومون حولها ليســألونها عن الذي مضىـ ، ماذا يهمهم إن كانـت زوجـة فنـان أو امرأة عـاديـة ؟ سردت لهم أكاذيـب وتفاهات كثيرة حتى بدأت تكره الحديث عنه ، وأصـــبحت تتحاشى جميع زميلاتهـا ؛ لأنهـا تكره نظراتهن اللئيمـة وخبثهن ، تكره نظرات الحسد في عيونهن ؟ علام يحسدونها ؟ على العدم !

كانت قد أنهت عملها في المسـتشـفى ، وخرجت لتعود إلى منزلها عندما لمحته ، توقفت حين رأته يقف ، نظرت إليه وشعرت لوهلة بأنه مـازال ذلـك المريض الـذي عرفتـه ، مـازالـت نوازع الأنـانيـة تطغى على شخصيته ، مازال يظن بأنه سيدها وأنها دميته ، مازال يظن بأنها ملكه ، ولا يحق لأحد الاســتحواذ عليها وعلى قلبها غيره .. على ما يبدو أن ناريمان كسرت القاعدة ، وجعلت منه دميتها ، وأصبحت تساويه في كل شيء حتى في التدخين .. اقترب منها ، وألقى عليها التحية فأجابته بمثلها ... ســألها عن أخبارها وعملها وأخوتها ... لمحت المرارة في عينيه فسألته عن زوجته فأجابها بأسى :

- تسألين عنها ؟ اسألي عني أنا .. أنا المُبتلى بها ؟

- لا تبدو سعيداً !

- هل تصدقين لو قلت لكِ بأني كنت أتمنى لو كتبت لولدنا الحياة ؟ على الأقل كنت سـأجدُ لنفسيـ ابنا يحمل اسـمي .. كنت أتوق لذلك بل إن حنيني لوجود طفل يملأ علىَّ حياتي بالبهجة والسرـور ، أرعاه في الصـغر ، ويرعاني في الكبر ، فاض بي الحنين ، أشـتاق لوجوده إلى جانبي .

- وماذا يمنعك من الإنجاب ؟

- عملها يأخذ كل وقتها .. أخبرتني بأنها تســـتطيع أن تعطيني كل شيء إلا الإنجاب ؛ لكي تبقى جميلة في نظر جمهورها .. تصـــوري إنها ترفض الاعتراف للصحافة بأنها متزوجة .

- ترفض الاعتراف بزواجكما !

- في نظرها هو أن الفنان المتزوج يفقد نســـبة كبيرة من معجبيه خاصـــة إن كان الفنان امرأة ، تجري خلف هوســـها بجمهورها ، ووراء غريزتها كأنثى تظن نفسها خارقة الجمال ،وأنا أريد أن أعيش حياتي وأرى ابنا لي و ..

راح يحكي ويحكي وهى في عالم غريب عن عالمه ، الآن يحدثها عن نرجسية ناريمان ، الآن يعترف بأن جمالها ما صنعه إلا الماكياج ، الآن شعر بما كانت تشعر به وهى معه ، الآن تجرع من نفس الكأس .. توقف عن الحكى ، وقد شعر بأنها ملته ، وملت حديثه عنها ، ملت من وجوده معها ، كلماته كانت تهوي على مسامعها كالمطارق ، بم تستطيع مساعدته ؟ ولماذا ؟ وماذا يهمها من أمره الآن ؟ لم تعد تعرف ماذا تقول له ؟ هل تشفق عليه ؟ هل تشمت فيه أم تسخر منه ؟

ما عادت تعرف شيئاً ، لذا قررت الصمت .

" الصدام "

أصبحت وفراس على علاقة وطيدة ، أصبحا يخرجان ويتنزهان ، والجميع في المستشفى يعرفون بأنهما مرتبطان ويتهامسون فيما بينهم .. كانت على عجلة من أمرها عندما شاهدت سامر يدخل خلسة إلى حيث تعمل الممرضة سحر .. غاب طويلاً ولم تكن تعرف ما لذي يربط الاثنين ، حتى أنها أصبحت تشك بأن بينهما علاقة حب ، حارت ماذا تفعل ، ملت الانتظار وهى في انتظار خروجه ، حملت بعض الأوراق المهمة التي تخص بعض الحالات المرضية التي طلبها الطبيب المعالج منها .. كانت تجري مسرعة حين وجدت نفسها ترتطم بأحدهم ،

فأمسكها قبل أن تسقط على الأرض ، إلا أنه لم يستطع منع الأوراق من التبعثر على الأرض .. نظرت إليه ، كان هو ..

تلاقت عيونهما بعد غياب ، فلم تستطع أن تفعل شيئاً ، أما هو فقد اعتذر لها وقال :

- آسف كنتُ على عجلة من أمري .

نظرت إلى يده التي ما تزال تمسك يدها ، وسألته :

- ماذا تفعل هنا ؟

- جئت لكي أزور الدكتور خالد ..

- تزور الدكتور خالد أم جئت تقابل ســـحر التي كنت معها منذ قليل ؟

- اطمئني فالتاريخ لن يعيد نفســـه ، فأنا رجل متزوج الآن ، وزوجتي في سفر لديها تصوير في القاهرة .

فكرت قليلاً ، لماذا يخبرها بأن زوجته تعمل في القاهرة ؟ أكان يريدها أن تعلم بأنه يعيش وحيداً ؟ ولكنها عادت لتسأله :

- وماذا كنت تفعل مع سحر ؟

- هل تغارين منها وأنتِ الأكثر جمالا ؟!

أشـــعرها قوله ذاك بالغرور ، وبنفس الوقت لمحت فراس يتجه نحوها حررت نفسها من يده ، قبل وصوله إليهما ، وقالت :

- لماذا أغار منها ؟

اقترب فراس منهما ، فأرادت أن تغيظ ســـامر .. اقتربت منه ، وتأبطت ذراعه ، وهى تقول :

- فراس عزيزي هذا هو الفنان سامر .

نظر فراس إليه نظرة طويلة ، وبادله ســـامر بمثلها ثم مدى يده لمصـــافحته ، في حين هتفت بلهجة ممطوطة ، وهى تراقب انفعالات وجهه :

- على فكرة قريباً جداً ســـنعلن خطوبتنا على الملأ أنا والدكتور فراس .

شعرت كما لو أنها ضربته في الصميم ، فنظر إليهما وهو يستشيط غضباً ، ولم يستطع أن يبارك لهما ، فلمعت ابتسامة ماكرة في عينيها ، وهى تتأبط ذراع فراس قائلة :

- حبيبي .. أليس لدينا مرضانا ؟

تأمل ســـامر بنظرة ماكرة أشـــعرته بالانتصـــار ، ثم التفت إليها مداعباً أنفها بسبابته وقال :

- أنتِ على حق يا حبيبتي ، هيا بنا .

راح يتابعهما ويراقب تحركاتهما بنظرات غاضـــبة ، وأعماقه تزأر كأسـد جريح ، هذه ليسـت سـلام ، لا يمكن أن تكون سـلام التي كانت تتلاشى بين ذراعيه ، التي كان جسدها يرتعد كلما لمسها ..

كان مازال يراقبها ، وبداخله نار تكاد تندلع ، ثم اقتربت منه سحر لتحدثه همساً ووضعت في جيبه شيئا ، ثم لمحها تركع لتجمع الأوراق التي وقعت من سلام .. هتف بينه وبين نفسه :

- مسكينة سحر فهي ليست بارعة في الصيد .

لقد شــعر وهو يراها تجمع الأوراق كما لو أنها تلملم أذيال خيبتها !

****

هتف بها فراس بغضب وهما يخرجان من المستشفى :

- إلى متى يا سلام ؟ انتظرتك طويلاً ، وما عدت أطيق صبراً .

- أريد أن أنسى حبي الأول كي أكون لك قلباً وقالباً .

- لم لا تنسين أمره إلى الأبد ؟

- أحاول وأريد منك أن تســـاعدني ، مازلت أتألم لفراقه ، وكل قطعة من جسدي تخزها الذكريات .

- تصنعين منه ملاكا ، وما هو إلا شيطان .

- لا تقل عنه هذا .

- أبهركِ منظره الخارجي ؟ أنظري إليّ ألا أشـــبهه ؟ أذاب لبك حديثه الشيق ؟ انظري إليّ .. ألا أستطيع أن أسحركِ بحديثي عن الطب وأحلامي بالحصـــول على عيادة خاصـــة بي ومجداً أبنيه لنا ولأولادنا ؟ أخبريني بماذا كنت تشعرين ، وأنت معه ؟ وثقي بأني سأجعلك تشعرين بأكثر ما كنت تحسين به .

- أكره أن تقلده ، أريد لكَ شخصية تفوق شخصيته قوة .

- أكنت معه أسعد امرأة في العالم ؟

- لا .. لم أكن كذلك كنت دائماً أشـــعر بتفوقه عليَّ ، لقد عرفت في منزله الشـــقاء لأول مرة ، رغم أنني أملك كل هذا الجمال ، إلا أنني دائماً كنت أشعر بأني أقل منه .

- وكيف أصبحتِ تشعرين وأنتِ بعيدة عنه ؟

- أصبحت سعيدة كوني غدوت مطلقته .

- لا أفهمك مرة تحبينه ومرة تكرهينه .

- لا أكرهه .. إنما أكره عالمه الذي لا يحترم طبقتنا ، لعنت وجودي في منزله ؛ لأنني أداة لإمتاعه ، كنت جاريته فقط .

- كيف تحبينه إذاً ؟

- لا تلمني بقولك هذا و ..

- تستفزينني بكلامك عنه.. لن تستطيعي نزعه من قلبك إذا ماذا ستفعلين إن تزوجنا؟

رمقته بنظرة شاردة ، ولم تستطع الرد .

****

ارتباطها بفراس أحدث ضجة كبيرة في المستشفى ، ومع ذلك ثقة مديرها فيها مازالت على ما هى عليه ، حتى ثقة الآخرين بها لم تأتِ من فراغ ؛ لأنها تستحق أن يمنحها الآخرون ثقتهم ، لذا لم يكن غريبا أن تجدها محل حسد من الجميع وخاصة سحر التي قالت لها وعلى الملأ :

- سحقاً لك ... حصلت على الاثنين معاً .

اتجهت إلى غرفتها فور دخولها المنزل ، ولم تسألها أمها أي شيء ،الهدوء يلف المكان مما جعلها تشعر بالملل ، اتجهت نحو النافذة وأسدلت ستائرها ، وتناولت من الخزانة ألبوم الصور التي جمعتهما معاً ، وجلست فوق سريرها ، وأخذت تتأمل الصور .. مازالت لا تدري ماذا تحمل له في أعماقها ؟ الحب أو الكره .. كانت تنوي أن تمحوه من

ذاكرتها منذ تخلى عنها إلا أن شـــيئاً ما في أعماقها يمنعها من ذلك .. ، ولكن ماذا لو أحرقت الصـــور ؟ إنها تعلم تماماً بأنها وإن فعلت ذلك لن تستطيع نزعه من ذاكرتها ، تحاصرها الذكريات ، وتسكن بداخلها رغبة غريبة لا تفهمها ، وكل ما تعرفه هو أنها مازالت ترفض فراس زوجاً لها ، وما زال بالنســـبة لها ذات الرجل الغريب عنها كما كان في الســـابق ، رن جرس الهاتف فأفزعها رنينه ، اتجهت نحو الهاتف ورفعت الســـماعة ، لم يرد عليها أحد ، استمر الصمت ، ولكنها سمعت حشرجة صوته ، وربما أنفاســـه شـــعرت بتنهيداته وشـــعوره بالوحدة ، يعيش بعيداً عن عالمها ، بعيداً عن عالمه الكبير ، وهي تعمل هناك في القاهرة حيث تريد أن تضع لنفسها كرسياً آخر على عرش الفن ، وهى ما عليها إلا أن تحمل السماعة ، وتشعر بأنفاسه المتلاحقة وأعصابه التي تحترق شيئاً فشيئاً ، يريد أن يكلمها وأن يشعر باهتمامها ، يريد من صوتها أن يتسلل إلى أذنيه ، كانت هادئة إلى أبعد حد ، عرفت تماماً من يكون ، ومع ذلك ادعت الغباء حين قالت :

- اسـمع كائناً مَنْ كنت ، لو ظللت ملتزما الصـمت سـأضـطر إلى قطع الاتصال .

أطلق أنيناً خافتاً ، تلته رعشـــة متشـــنجة محزنة ، ثم تخلى عن تهذيبه وأقفل الخط دون أن يقول لها كلمة ،

شـــعرت به وحزنت ، وأيقنت بأنه مازال يحبها ، ومازال قلبه يخفق لمجرد سماعه صوتها ..

كيف اختار سواها ومازال مجنوناً بحبها ؟ كيف ؟!

" وضع النقاط على الحروف "

كما اعتادت في الفترة الأخيرة أن تقضيـ يوم عطلتها مع فراس في المتنزهات ، اعتادت أيضا على مراقبة سامر لها ، وتتبعه لخطواتها أثناء وجودها مع فراس ، راحت سلام تتظاهر بالسعادة ؛ لتشعل نيران الغيرة بقلبه ، كانت تريده أن يلمس تلك السـعادة المزيفة التي تعيشـها ، عليه أن يعلم بأنها ليسـت ملكه إنما هى ملك نفسـها ، وفراس ملك نفسـه ، وبالتالي لن يملك أحدهما الأخر ..

في ذلك المكان الرائع حيث الطبيعة السـاحرة ، توقفت سـيارته المتواضـعة ، فترجل منها ودار ليفتح الباب لها ، ما أن ترجلت من السـيارة حتى وضـعت نظارتها الشـمسـية على عينيها ، صرخت أعماق سامر بغضب وهو يراقبهما :

- أنا من علمتها ارتداء تلك النظارات ، أنا من علمتها كيف تنتقي ملابســها الأنيقة التي تليق بها ، أنا من صــنعت منها ســلام الجديدة ، سلام أخرى تختلف عن سلام ابنة ذلك الحي الحقير الذي نشأت فيه ، أنا من نزعها من ذلك المنزل المهترئ الذي علت ســقفه الرطوبة ، وتعفنت فيه المشــاعر والعواطف وماتت الأحلام ، أنا من صــنع منها تلك الصورة التي هى عليها الآن ..

صــور له عقله المريض بأنها لا يحق لها أن تختار لنفســها رجلاً أخر .. هو الأمل وهى ماذا تحاول أن تثبت له ؟ أتريد أن تثبت بأنها قادرة على أن تحب من جديد ؟ ســحقاً لتلك الأنا التي جعلته إمبراطورا يتربع على عرش غروره !

سارا معاً يستروحان النسيم ، الطبيعة تدعوهما للحب ، لمحته من بعيد يقبع في ســيارته الفخمة ، وهو يحترق غيظا لرؤيتهما معاً .. ماذا عليها أن تفعل كي تحرقه وتحوله إلى رماد ؟ كانا ما يزالان يســيران معاً عندما تجرأ فراس وحمل يدها إلى فمه وقبلها ، سرت القشــعريرة في جســدها ، أحرقتها قبلته المفاجئة ليدها ، وأشــعلت النار في أوصــالها ، وما كان يصــبرها على تماديه إلا ذلك الرجل الذي يقبع في ســيارته ويراقبهما عن بعد ، أرادت أن تحاول بشــتى الســبل أن تحرقه وتضرم

النيران في أوصـــاله ، تعشـــق أن ترى نظرات الندم في عينيه ، تعشـــق غضـبه وكرهه لما يحدث ، يا لغيرتها العمياء ! أرادت أن توهمه بأشـياء كثيرة أمســـكت فراس من يده ، واختفيا معاً خلف شـــجرة كبيرة ، في رأســه أوهام وأسـئلة كثيرة لا يجد أجوبة عليها ، تلك الصـورة التي فكر برســـمها في مخيلته ، أصـــبح يعرفها تماماً بحكم عمله كفنان .. ســـأل نفسه :

- ترى ماذا يفعلان وراء الشـجرة ؟ أتراه يداعب وجهها ؟ أمعقول أنه يلقي على مســامعها كلمات غزلية تلهب مشــاعرها ، وتجعلها ترحل بلحظات إلى عالم السحر والنشوة ؟ أم أنها سمحت له بتقبيلها ؟

بقيت متخفية خلف الشجرة ، لتشعل نيران أسئلته وتحرقه كما أحرقها سابقاً ، أرادت استفزازه بأية طريقة ، ظهرا من جديد وسارا معاً ، وقد لمحت تلك النظرة الغاضـــبة والحاقدة التي انطلقت من عينيه كشرارة النار .. هكذا شـعرت بأنها حققت انتصـارها عليه ، وحطمته لأول مرة منذ انفصـالهما بل أدبته ، في تلك اللحظة فقط قررت العودة إلى منزلها هانئة مطمئنة ..

كانت قد وعدت أمها وأخوتها بتناول طعام العشـاء خارج المنزل وكانت تلك هى المرة الأولى لذا فقد لمحت الســـعادة تغمر وجوههم

جميعا إلا مالك شـــقيقها الذي لم يعجبه شيء ، دائم التذمر منها ، يطالب بما ليس من حقه كونه أصـــبح رجلاً على حد قوله ، بعد عودة الجميع إلى المنزل قبيل السادسة مساءً شبَّ بينهما شجار بسيط أنهته الأم قبل أن يتمادى ، ويصـــل إلى الضرـــب حين طلبت من كل منهما الدخول إلى غرفته..

لن تســـامحه على تماديه..أصـــبح مالك على تلك الحال منذ أن أصبح عمه يوسوس في رأسه كشيطان رجيم ، ويوهمه بحدوث أشياء لم تحدث حتى يعمق الفجوة بين الأخ وأخته ؛ لكي يحقق من خلال ذلك الخلاف انتقامه من ســـلام وأمها ، دون أن يعلم الابن بأن عمه أصـــبح عدوا للعائلة منذ طالبت الأم بما هو من حق أبنائها ، واضـــطر هو أن يدفع حق أولاد أخيه بعد أن هددته الأم باللجوء لقضاء ..

كانت ما تزال بقمة غضـــبها ، عندما قرع جرس الهاتف ، فهرعت إليه ورفعت الســـماعة وإذا بها تفاجأ بصـــديقتها ندى تقول لها عبر الهاتف :

- آسفة يا سلام ولكن الأمر هام ، فقد اكتشفت اليوم بأن سحر تنقل لسامر كل أخبارك وتحركاتك ومواعيدك مع فراس بل .. بل وصل الأمر بها للتسجيل لكِ خلال حديثكِ معها .

شكرت ندى ووضعت السماعة ، وهى تستشيط غضباً فاتجهت نحو النافذة ؛ لتأخذ جرعة من الهواء النقي بعد شـــعورها بالاختناق ، ولكن سرعان ما ارتفع رنين الهاتف مرة أخرى ، رفعت الســـماعة على عجل وإذا بالتاريخ يعيد نفســـه ... هاتف بدون صـــوت ، انتظرت للحظات فلم يقل شيئاً ، أعادت السماعة لمكانها بغضب ، ثم تناولت حقيبة يدها ، وخرجت من غرفتها ، واستأذنت أمها بالخروج من المنزل لبعض الوقت ، خرجت وكانت للحظة من اللحظات تحاول أن تقنع نفســها بعدم الذهاب إليه ، ولكنها أصرت على مواجهته وجهاً لوجه كي يكف عن مضايقتها ، وصلت إلى هناك وأصبحت تطرق بابه بغضب علها تفزعه وتوقظه من غفلته ، فتح لها الباب ، وقف قبالتها وعلى ووجهه ابتسامة عريضة ، وكأنه كان يعلم بأنها ستأتي إليه ، ومع ذلك فقد بدت لها ابتسامته شاحبة وقد فقدت رونقها .. راحت تتطلع إليه في غضب ، وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها ، عادت وشعرت بالهدوء بينها وبين نفسها ، وربما بالانتصار ؛ حين رأت نفسها تقف أمام الرجل الذي حطمها ذات فترة فحطمته وهو لا يســـتطيع التوقف عن حبها ، أراد أن يصـــافحها فلم تقدم له يدها .. رحب بها على طريقته

الأرستقراطية ، ودعاها للدخول إلى منزله الذي كان بالأمس منزلهما معاً شكرته على دعوته ، وقالت :

- أفضل أن نتكلم من هنا .

- كما تشائين .. تكلمي .

- أريد أن أرى زوجتك في الحال .

- لماذا ؟

- لأحدثها عن زوجها المحترم الذي لا يريد تركي وشأني ، ولا يكف عن مضـــايقتي ، ودائما يلاحقني أينما ذهبت ويراقب تحركاتي ، وليس هذا فقط بل إنه دفع إحدى زميلاتي في المستشفى للتجسس عليَّ و..

- لم أشك بذكائكِ يوماً .

- أخبرني ماذا تريد مني ؟

- ما زلت أحبك و..

- وهل تظنني مثل ســـيارتك القديمة التي بعتها لصـــديقك لكي تشـتري أحدث منها ، وعندما رأيته يقودها اسـتحليتها من جديد وجن جنونك ، فأردت اســـترجاعها كما كنت تســـتعيد دماك في الماضي ، وعنـدما عجزت تمنيت لـه بينـك وبين نفســـك الموت لكي يصـــبح اســـترجاعها يســـيراً عليك ... وبالفعل كان قدره ينتظره حين انقلبت

الســيارة ، ومات صــاحبها المســكين، ولكنك لم تحصــل عليها ؛ لأنها تحطمت وتحولت إلى ركام .

وضع رأسه في كفيه وصرخ :

- أرجوكِ .. لا داعي لذكر هذا الموضوع على مسامعي .

- آسفة هل تذكرت صديقك وأصابك الصداع ؟ استيقظ يا نجم النجوم ؛ فأنا لســت ســيارتك القديمة ، أنا إنســانة ويحق لي أن أحب وأتزوج بعد فشلي معك ، دعني وشأني أرجوك .

- هل ستتزوجان؟

- ليس هذا من شأنك .

- بل شأني ؛ فأنا ما زلت أحبك .

- ألا تريد أن تنسى ـ أمري ؟ فراس بدأ يتضــايق من تصرـفاتك .. أرجوك دعنا وشأننا .

- أنت ملكي أنا .

- أنت أيضاً تزوجت ، لم أعد ملكك .

- لم أتزوج إلا عندما ســمعت بأنك فقدت طفلي ، كنت أعيش على الأمل ، ومع ذلك لن أسمح لكِ بالزواج طالما أنا حي .

- ومن أنت حتى تسمح أو لا تسمح ؟

اقترب منها ، وأمســـك كتفيها وراح يضـــغط عليهما بعنف ، وتلاقت عيونهما ، حاولت جاهدة أن تبعده عنها بلا فائدة ، وجدت نفسـها مسـتسـلمة تماماً ، نظر إليها بحنان ، أرادت المقاومة لآخر نفس ، فأطرقت برأسها أرضا ، فوجئت به يرفع يدها ويقبلها ، ارتعد جسدها ، هتف :

- أرأيتِ ما زلتِ تشـــتاقين إليَّ كما كنت في الســـابق ؟ ما زلتِ تشـتاقين لهمسـاتي ولمسـاتي ، ما زلتِ تشـتاقين لوجودك بين ذراعي .. تعلمين بأنني أستطيع فعل الكثير لأمنع زواجكما .

- حبيبي أنت مخطئ .. أنا أكرهك .

- أخبريني ماذا كنت تفعلين خلف تلك الشجرة مع ذلك الأبله ؟

- هذا ليس شأنك أردت أن أراك تحترق .

- سأخبره بأنك جئتِ إليَّ بقدميك ، سأخبره بكل ما حدث بيننا ، وسأضيف عليه ، وسنرى من سينتصر على الأخر .

احتقرته ثم وجدت لنفســـها مكاناً تهرب منه ، هربت من وجهه الكريه ، من أنانيته ، من حبه الكاذب ومشـــاعره الزائفة ، رغم أنها تعلم بأنه يسـتطيع إضـعافها واسـتمالتها ، وسـتكون الملامة على كل ما يمكن

أن يحدث .. هي من عرضـــت نفســـها لتلك الإهانة ، عادت إلى المنزل وهى شبه منهارة ، وجدت أمها تنتظرها

، ما أن رأتها حتى نهضت تسألها :

- أين كنت ؟ ولم هذا التأخير ؟

لم تجبها على سؤالها بل راحت تبكي ...

- ما بكِ ؟

- سامر لا يريد تركي وشأني .

- هل علم بالأمر ؟

- لا .. ولكنه يلاحقني في كل مكان ، ويريدني أن أنفصل عن فراس .

- من يظن نفسه ذلك المغرور ؟

- ساعديني يا أمي .. أرشديني للصواب .

- اتصـــلي بفراس وحـددي معـه موعـداً لعقـد القران ، وبعـدها سافري معه بعيدا .

- وأتركك وحدك مع أخوتي ؟

- عندنا ما يكفينا ، ثم إن مالك صـــار شـــابا ، ويمكننا الاعتماد عليه ، وكفاكِ ما فعلتِ من أجلنا .

تناولت الهاتف عقب عبارة أمها ، وحاولت الاتصـــال بفراس ، ولكن ما من مجيب .. هتفت :

- ليس في منزله ، هل أذهب إليه في المركز الآن ؟

- الآن تأخر الوقت ، انتظري لصباح الغد .

- خائفة من الغد أمي ؛ لقد هددني بأنه ســـيخبره بأني ذهبت إلى منزله ، ويخبره عن أشـــياء كثيرة حدثت ولم تحدث ، أقســـم بأنني له وحده ، ولن يأخذني منه أحد .

- ولم ذهبت إليه .. أأنت مجنونة ؟

- كي أطلب منه الابتعاد عن طريقي ، وأن يكف عن مطاردتي لأن فراس بدأ يتضايق و ..

- هوني عليك لن يستطيع إيذائكِ .

ســـارت نحو غرفتها متثاقلة ، ودون أن تبدل ملابســـها وجدت نفسها تسقط فوق سريرها .. ما أن وجدت نفسها تستعيد هدوءها حتى ارتفع رنين الهاتف من جديد ، أرعبها ذلك الرنين ، ورغم ذلك تناولت الســـماعة ، وكما هي العادة لا أحد يرد .. فجأة وجدت نفســـها تفقد السيطرة على أعصابها وتصرخ عبر الهاتف :

- من ؟ تكلم .. إن كنت أنت فســحقاً لك ، أصــبحت أتمنى لك الموت ، تكلم .. قل أي شيء ، ولكن أرجوك لا تحطم قلبي من جديد .

جاءها صوته عبر أسلاك الهاتف يقول بأسى يشوبه ندم :

- هل أزعجتك ؟ لماذا تبكين ؟

- ماذا تريد مني ؟

- أردت أن أقول لكِ تصبحين على خير .

- أتمنى ألا يأتي عليَّ الصباح .. ما رأيك ؟ لقد جعلتني أكره الحياة .

أغلق الهاتف ، وتركها لحيرتها وخوفها وعذاباتها ..راحت تتطلع للسماعة في يدها والتي صارت كالجثة الهامدة وأعماقها تصرخ في حيرة :

- لم كل هذا الإصرار الذي يحمله بداخله ؟ ولم قلبها ما زال يخفق لمجرد سماع صوته ؟

" الحقيقة المرة "

في الصباح التالي وجدت نفسها تغادر المنزل مبكرا ؛ لتصل إلى فراس قبل أن يصل سامر إليه .. وحين وصلت ولم تجده أصيبت بخيبة أمل ، ظلت حائرة طوال الوقت حتى لمحته يدخل قسم المحاسبة ويتكلم مع الموظفة المسئولة ، انتظرت لأن ينتبه لوجودها

، ويأتي إليها كي يحدثها ولكنه لم يفعل ، تجاهل أمرها ، فتنازلت عن كبريائها واتجهت إليه ، ولكنه لم يعرها اهتماما .. سألته :

- ما بك ؟

- لا شيء .. أنا بخير .

- لا تبدو كذلك .. اتصلت بكَ في المنزل أمس ، ولم أجدك .

- اتركيني الآن .. لا أريد محادثتك .

- لا تريد محادثتي ! والسبب ؟

- أنت تعرفين السبب ..

- لا .. لا أعرف السبب .. أخبرني أنتَ .

- أنتِ خائنة .

- كنتَ معه إذاً ؟

- تعدينني بالحب والإخلاص ، ثم تذهبين إليه ، وتخونينني معه

.

- لقد نجح في لعبته ، وأنت لا تعرف الحقيقة .

- لا أريد أن أسمع منك شيئاً .

- ليس قبل أن تعرف الحقيقة .

- خيانتك لي أكبر حقيقة عرفتها .

- لم أخنك .. لقد كذب عليك ليحطم ما بيننا .

- وما الذي كان بيننا غير الوعود الكاذبة والتأجيل ؟ أخبريني هل استمتعتِ معه وأنت تخونينني ؟

- أرجوك اسمعني ، وبعدها افعل ما شئتَ .

- يكفيني ما سمعته منه ، ثم أنك منذ الغد لن تجديني هنا ..

- وأين ستذهب ؟

- تعاقدت مع مستشفى أخر وبأجر أعلى .

- وماذا عني ؟

- افعلي ما تجدينه مناسباً لكِ ، أو عودي إليه كما تتمنين .

- لم أعد كذلك .

- انتهى كل شيء .

- بهذه البساطة ؟

- ليس ما حدث بسيطاً ؛ فأنت خنتني مع زوجك السابق .

- أخبرتك بأنه كاذب .

- ألم تذهبي إلى منزله ؟

- أجل ذهبت كي أطلب منه أن يدعنا وشأننا .

- ذهابكِ إلى هناك أكبر خيانة لي ولكرامتي ، ابتعدي عن طريقي سأجري اليوم أخر عملية في هذا المستشفى ، وبعدها لن ترى وجهي .

- بعد العملية نتكلم .

- لن تكوني معي أثناء العملية ، سحر هى من ستقوم بمساعدتي اليوم .

- سحر .. إذا فقد فعلتها تلك اللئيمة ، وانتقمت مني بطريقتها .

- إنها محقة إذا .. أنتِ تغارين منها ولا تحبينها .

- أنت لا تفهم شيئاً ، كلاهما خطط لتفريقنا وأظنهما نجحا .

- لستُ مستعداً لسماعك .

- جبان تصدق خيانتي لمجرد أنني ذهبت إلى هناك للدفاع عنا .

لم يعرها اهتمامه بل غادر المكان ، وأشعل نيران غضبها ، سار نحو سحر التي نظرت إليها نظرة ماكرة مزقتها من الأعماق ، وأعلنت عليها انتصارها ، راقبتهما وهما يغادران ، لم تكن تملك إلا الصمت ثم غادرت المكان إلى المنزل وهي متعبة منهارة .. أحست بالضياع والخسارة وباليأس والإحباط :

- سحقاً لهما .. كلاهما انتصر عليها ، هو ساذج وهى ماكرة .. فهل يمكن أن يلتقيا ؟ كلاهما لم يكونا لبعضهما ذات يوم فكيف يتزوجان ؟

وماذا عن الحب الذي تحمله للأخر بداخلها ؟ ربما فراس محق هى مازالت تحبه ، وهي إن لم تخنه في الحقيقة فإنها خانته في مشاعرها ..

سحقاً للرجال ؛ دائماً يحطمون النساء ويصنعون لهن جسوراً من الآلام ، كانت ما تزال مصدومة مما حدث عندما قرع جرس الهاتف ، اقتربت منه وهي على يقين بأنه هو ، ما اتصل إلا لكي يعلن انتصاره عليها ، حملت السماعة ، وسمعت على الفور رنة ضحكته تدوي عبر الهاتف فما كان منها إلا أن قالت :

- سحقاً لك لقد هزمتني .

- آسف وأعتذر عما فعلت ، لم يكن بيدي .

- لماذا تريد أذيتي ؟

- لا .. أنا لا أريد لكِ إلا الخير ، ولكن ذلك الطبيب لا يستحقك .

- ماذا أخبرته عني ؟

- أخبرته بأنك أجمل امرأة عرفتها ، وأخبرته عن ذلك السحر الذي تملكينه داخل عينيك ، وأنكِ ملكي وحدي ، ولن تكوني لرجل أخر .

- سافل منحط .

- أخبرته عن حبي لكِ ، و أخبرته - أيضا - عن الحب الذي ما زلت تحملينه لي .

- أنت واهم .. أنا لم أعد تلك الفتاة التي عرفتها في السابق ؛ لقد استيقظت من أفيون حبك اللعين الذي خدرتني به طويلاً ، شفيتُ منك تماماً ، وإن وجدتني الآن منهارة هذا لأنني أريد أن أقضي فترة نقاهة تنسيني وجهك الكريه .

- تقسين عليَّ وعلى نفسك .

- لن أنسى أنك الرجل الذي حطمني وقضى على مستقبلي .

- مستقبلك ليس معه .

- أناني ومستبد .. رغم أنك متزوج ما زلت تريدني .

- صدقيني حياتي مع ناريمان لا يمكن أن تستمر طويلاً .

- ومن أخبرك بأني أوافق على العودة إليك بعد كل ما فعلته بي ؟

- أعلم بأنك تكذبين .

دخلت أمها إلى الغرفة ، واقتربت منها تربت على كتفها ، ومازالت السماعة على أذنها ، ثم سمعته يقول :

- أتريدين أن تقولي لي شيئاً ؟

- أجل أتمنى من الله أن ينتقم منك لتعلم كم ظلمتني .

وضـعت السـماعة قبل أن تسـمع رده .. نظرت إلى أمها وانفجر بركان الدموع في عينيها ، واقتربت منها تعانقها وتبكي على صـــدرها ، أرادت أن تساعدها .. سألتها وهي تمسح دموعها :

- ابنتي .. أخبريني ما بكِ ؟

- فراس اتهمني بالخيانة ، لم يصـــدق ما قلته له ، ورفض أن يسمع دفاعي عن نفسي ، وأصبحت ابنتك حطام امرأة .

- اطمئني يا ابنتي سيعود فراس إليكِ ويعتذر .

- لا لن يأتِ طالما مازال يظن بأني امرأة خائنة .

- لا تخبريني بأنكِ تحبينه ؟

- عندما رأيته يسير معها جنباً إلى جنب ، شعرت بأن قلبي سيقفز من بين أضلعي ، أحسست بالغيرة تنهشني .

- هوِّني عليك ودعك منهم جميعاً ، وتعالي نحتفل لدينا ما يفرح ؛ فأختك نجحت في المدرسة .

- أنتِ محقة المهم في هذه الحياة بالنسـبة لي هو أن ينال أخوتي أعلى الشهادات .

- أنتِ أيضـــاً يمكنكِ أن تدخلي الجامعة ، وتتابعي دراســـتك ، وتحققي حلمك .

- لم تعد الشـــهادة تعنيني ؛ لقد تحطمت وانتهى الأمر ، ولكنني أريد أن أفكر بصنع شيء يجعلني أقف في وجه سامر لكي أحاربه .

- الحرب ستحطمنا .. دعيه للأيام .

- لا يا أمي ، لن أتركه ، وما سأفعله سيفاجئ الجميع .

- ارتاحي الآن يا ابنتي ، وليفعل الله ما فيه الخير .

خرجت أمها من الغرفة ، بينما اتجهت هي نحو الهاتف ، وراحت تضـغط على الأزرار لتطلب رقماً ، وقبل أن تنتهي عادت أمها ، ودخلت غرفتها ، تركت سلام السماعة ، ونظرت إلى أمها تسألها :

- أنسيتِ شيئاً يا أمي؟؟

- لقد اتصـــل بك رجل قال بأنه المخرج الذي التقيته بالحفلة ، أخبرته بأنك غير موجودة ، فطلب مني أن أدون رقم هاتفه على ورقة كي تتصلي به عندما تعودين .

- ألم يخبرك ماذا يريد ؟

- قال اتصلي به فقط .

خرجت أمها وتركتها وحيدة شـــاردة ورقم الهاتف بيدها ، ثم صاحت بفرح :

- نعم لا يوجد غيرها ، بهذه الطريقة سأحارب سامر وزوجته .

حملت الســـماعة وأخذت تضـــغط على أزرار الهاتف لتطلب المخرج ، ما هي إلا لحظات حتى ردت عليها مديرة أعماله ، وما أن أفصحت عن هويتها حتى أوصلتها بالمخرج ، الذي أخبرها بأن بين يديه نصاً تلفزيونياً يحتاج لوجوه جديدة ... قالت وهى غير مصدقة :

- لماذا أنا بالذات ؟

- اسمعي سيدتي هذا النص يناسبك تماماً كما لو أن الشخصية رســـمت من أجلك أنت ، وأنا واثق بأنك ســـتنجحين في التمثيل ؛ فقد شهد زوجك السابق على أنك موهبة لا تقدر بثمن .

صمتت لبعض الوقت ، ثم هتفت بأعماقها :

- سامر قال عني هذا ؟

ورفعت صوتها قائلة عبر الهاتف :

- لا بأس ربما أوافق إن كان النص مناسباً .

- متى أراكِ ؟

- غداً إن أردت .

- حسنا سأكون بانتظاركِ .

وضعت السماعة وصاحت بفرح :

- سأنتصر عليه وعليها ، سأقف أمامها وجهاً لوجه ، وربما أسبقها فأصبح نجمة كبيرة تتربع على عرش الشهرة والنجومية .. وسنرى يا (ناريمان) من سيضحك أخيرا ؟

****

" بعد ثلاث سنوات "

حققت نجاحا كبيرا في مجال التمثيل ، وخافت أن يصيبها الغرور كما أصاب من قبلها ، وتخاف أكثر من أن تضطرها الظروف لترك عملها الذي تحبه وهو السهر على راحة المرضى ولكن الفرحة لا يمكن أن تكتمل أبدا ، فللشهرة أضرارها ؛ فقد فوجئت بثورة عمها الذي جن جنونه ، وأخذ يتوعدها بأشياء كثيرة حتى أنه أخذ يوسوس في عقل أخيها مالك كالشيطان ؛ علةّ يؤذيها ، ويقف في طريقها بل ويمنعها من الخروج .. كانت نائمة في فراشها عندما رن جرس الهاتف فأيقظها من سباتها ، نهضت من فراشها متكاسلة ، وتناولت سماعة الهاتف وهى تتثاءب ، وسرعان ما علت شفتيها ابتسامة حينما جاءها صوته عبر أسلاك الهاتف يقول :

- أهلا بالنجمة الجميلة .سعدت بسماع صوتك بعد هذا الغياب

.

- هذا يعني انك مازلت تتابع أخباري ؟

- بالطبع وأعرف بأن قلبك خالياً من أي حب حتى الآن .

- عزيزي المعجبين حولي ، ومن يدري ربما أحذو حذوك وأختار لنفسي شاباً وسيماً أتزوجه ومن الوسط الفني .

- أنا أدري بقلبكِ الذي لا يحمل بداخله إلا حبي اليتيم .

- لا تكن واثقاً .

- هل يمكننا الخروج معاً ؟

- لا وقت لدىَّ .. وقتي موزع بين التصوير والمستشفى .

- لا .. هذا كثير .

- أنا سعيدة بما أصنعه .. سامر سأضطر لإنهاء هذه المكالمة الطويلة .

- قبل أن تنهي المكالمة ، أريد أن أقول لكِ بأن ليلتنا الأخيرة بعد الحفلة مازالتْ عالقة في ذهني ، مازلتُ أحفظ كل كلمة ، كل همسة ، كل حركة ، أتمنى أن يكون هذا ما تشعرين به أيضاً .

قالت قبل أن تغلق الخط والسماعة ما زالت بيدها :

- تكون أحمقاً إن كنت تظن هذا ؟

دخلت أمها في تلك اللحظة فوجدتها تحتضــن الســماعة وعلى وجهها سعادة الدنيا .. هتفت الأم :

- الطعام جاهزاً .

نظرت إليها ومازالت تشــعر بنشــوة ما ســمعته منه منذ قليل ثم قالت :

- أمي انظري إليّ وأخبريني أمازلت جميلة كما كنت في السابق ؟

- بل أنت أكثر جمالاً من ذي قبل .

- تقولين هذا لأنك أمي ..

- بل لأنك كذلك أيتها البلهاء لا تعرفين قيمة نفسك .

- أمي دعينا من هذا الآن وأخبريني هل هدأت أعصاب مالك ؟

- ليس كثيراً تعلمين لقد بدأت أخاف من تهوره .

- لماذا هو مستاء يا أمي فالتمثيل أيضاً عمل شريف ؟ أفهميه بأنها حياتي ولا يحق له التدخل بها طالما لا أخطئ .

تطلعت الأم لســماعة الهاتف التي ما زالت تحتضــنها وهتفت بحذر :

- أكان هو ؟

- نعم يا أمي هو .. سامر .

- يبدو أنه ما زال يحبك ويحتاجك بجانبه .

- وأنا أيضاً يا أمي ولكن ..

- ليفعل الله ما فيه الخير ، تعالى نتناول الطعام الآن .

خرجت الأم في حين احتضــنت هى ســماعة الهاتف أكثر وأكثر ، وابتســامتها الجميلة تزين شــفتيها ، وغابت عن الواقع حولها ، وهى تتذكر ليلتها الأخيرة معه بعد الحفلة بكل تفاصـيلها .. وسرعان ما غابت ابتسامتها وانعقد حاجباها وهى تردد في ألم :

- عفوا حبيبي أكرهكَ .

****

" نداء القلب "

لم تدرِ كيف قطعت ذلك الطريق ، ولا كيف وصلت للمستشفى في هذا الوقت القصــير منذ جاءها ذلك الخبر عبر الهاتف ، بأنفاس متلاحقة وسـط دموعها المنهمرة فوق خديها صرخت في زميلتها ندى ، وركضت تجاهها ملهوفة خائفة :

- أين هو ؟

- في غرفة العمليات .

- كيف وقع الحادث ؟

- يقولون بأنه حادث مروع والمصـــيبة أن الإصـــابة تمركزت في رأسه .

- رحمتك يااااارب .

- أخبرني الطبيب منذ قليل بأنه ربما يكون مصـــاباً بارتجاج في المخ ، كما أن الحادث دمر أعصـابه البصرية بالكامل ، واحتمال شـفائه ضئيل جدا .

- يا إلهي ! بإذن الله سيشفى ، سأصلي من أجله ، وأطلب من الله أن يشفيه ، كثيرا ما كنت أحثه على وضع حزام الأمان .

- أمازلت تحبينه ؟

لم ترد عليها بل واصـلت دموعها في صـمت ، وقلبها يئن بداخلها من الألم ، ربتت ندى على كتفيها وتركتها لمواصـــلة عملها ، في اللحظة التي وقعت فيها عينا سـلام على أم مظهر الخادمة العجوز ، تبكي بجوار الحائط ، اتجهت نحوها ، وهتفت بها :

- أم مظهر .. ما الذي حدث ؟

هتفت الخادمة العجوز من بين دموعها :

- لا سامحها الله زوجته اللعينة ، هى السبب .

- كيف ؟

- خرج من المنزل غاضـبا بعد مشـاجرة كبيرة معها ؛ لأنها وقعت عقد فيلم جديد دون مشـــورته ، وتطور بينهما الشـــجار لدرجة أنه صـــفعها على وجهها قبل أن يترك لها المنزل ليحدث بعدها ما حدث وتنقلب سيارته وتتحطم و...

خرج الطبيب من غرفة العمليات - في تلك اللحظة - فركضـــت إليه لتسأله ، ومن خلفها أم مظهر .. ، هتف الطبيب :

- علينا بالصبر لا نستطيع التكلم الآن .

- ما هي نسبة النجاح ؟

- ضئيلة ولكننا نفعل ما بوسعنا والباقي على الله .

- إذا سمحت لي أريد الإشراف على رعايته حتى يتماثل إلى الشفاء .

- سيكون لك ذلك مازال في العناية المركزة .

- متى يستعيد وعيه ؟

- هذا بعلم الغيب .

- هل يمكنني أن أراه ؟

- ليس اليوم .. اسمحي لي بالانصراف فلدي ما أفعله .

غادر الطبيب المكان ، ووقفت سـلام تتابعه حائرة وقد تجمدت الدموع في عينيها !

*****

كانت الساعة قد تعدت الثانية ليلا ، حين استسلمت على الرغم منها للنوم ، فوق مقعدها المجاور للفراش داخل حجرته ، جسـدها الرقيق لم يتحمل كل ذلك الإرهاق المتواصـل لما يقارب الشـهرين منذ الحادث الذي غيَّر حياتها تماما ، وصـارت لا تفارق حجرته ، تتفانى في خدمته ، تنفذ تعليمات الطبيب بمنتهى الدقة ، كان يمكنها أن تتخيل أي شيء إلا أن تفقـده ؛ فلا قيمـة للحيـاة بـدونـه .. نعم الآن يمكنهـا الاعتراف أمام نفسها ما دام طريحا لفراشه ، سامر هو الحياة و ..

أحسـت بحركة على فراشـه ، ففاقت من غفلتها التي لم تكن قد استغرقت فيها بعد ، فوجدته يهمس بوهن ، وهو يتطلع إليها :

- مَنْ ؟

- أنا سلام .. كيف حالك الآن ؟

- أشعر بأني حطام .

- هوِّن عليك .. الطبيب يقول بأنك تخطيت مرحلة الخطر تماماً

.

- ولماذا لا أشعر بأني تحسنت ؟

- يقول الطبيب بأن فقدان البصر حدث نتيجة حالة نفسية تمر بها الآن ، الإصابة تمركزت في الدماغ ، ولكن ذلك لم يؤثر على سير الأعصاب البصرية ، بصرك بخير ، اطمئن كلها أيام وتعود سامر الذي نعرفه جميعاً .

- أخبرني الطبيب بأنكِ كنتِ بجانبي طوال الوقت ، تسهرين على راحتي .

- هذا واجبي كممرضة .

- ولكن هذا أكثر مما تفعله الممرضات .

- لا تتكلم كثيراً فالكلام يؤذيك .

- أريد أن أشرب .

تناولت كوب الماء وجلست إلى جانبه على السرير ، ووضعت الوسادة تحت رأسه ، ورفعتها بيدها وساعدته على شرب الماء ، ثم أعادت الكوب إلى الطاولة ، وأخذت منديلاً ورقياً ومسحت فمه ، وعندما أرادت النهوض شعرت به يمسك يدها ويقول :

- لا أعرف كيف أشكرك فأنا لا أستحق رعايتك واهتمامك .

- لا تتكلم أرجوك .

- ألم تأتي ناريمان بعد؟

- ربما لم تعم بالحادث .

- بل هى تتجاهل أمري ، إنها في اللاذقية .

- أرجوك .. لا تتحدث الآن .

واصل في وهن قائلا وكأنه لم يسمعها :

- كنت أريد إنسانة تكون لي زوجة وأم ، ولا أريد نجمة تواصل الليل والنهار بالخارج ، ولا تدري عن بيتها أو زوجها شيئا .

- من فضلك لا تتكلم الآن .

- لم أعرف قيمتك إلا عندما فقدتك .

- أرجوك إنس الماضي .

- كان بيني وبين الموت خطوة صغيرة ، الآن أتخيل نفسي ـ بعد الموت ماذا سيقول الناس عني بعد موتي ، لا شيء سوى إنني كنت فناناً مشهوراً تعشقه الفتيات ويحسده الأصدقاء ، ولكن إلى متى تستمر الذكرى إن لم يكن لديكَ ابن يحمل اسمك ؟

قرع الباب ودخلت أم مظهر وأفزعتها ، وجدت نفسها تنظر إليه وتنظر إلى يدها التي مازالت تحت ضغط يده ، حررت يدها من يده ، هتفت العجوز بحزن واضح :

- حمدا لله على سلامتك يا سيدي .

دخلت ممرضة أخرى في تلك اللحظة وقالت :

- هناك مجموعة من الفنانين جاءوا لزيارتك .. هل أســـمح لهم بالدخول ؟

- دعيهم يدخلون فأنا في شوق إليهم .

هتفت سلام :

- سننتظرك في الخارج .

خرجتا من غرفته ، ودخل أصـــدقاؤه إليه حتى أن أحدهم رمقها بنظرة طويلة .. إنها تعرفه إنه ذلك المعجب الذي أراد مراقصـتها يوماً ، مازالت نظراته نظرات ماكرة تتراقص فيها الشهوة ، لم تعره اهتمامها بل أولته ظهرها ، وتأبطت ذراع أم مظهر ، وغادرتا المكان معاً .

****

كان وجودها بجواره بالمسـتشـفى قد رفع معنوياته كثيرا ، فكانت تســاعده على الســير في الغرفة جيئة وذهابا لكي يســتعيد لياقته التي فقدها لمكوثه الطويل في السرير ، وحين نال التعب منه جلسا معاً على حافة السرير ، فتجرأ ولامس يدها المطروحة على السرير وقال :

- كم كنت أبلهاً .

- لماذا تصر على فتح ملفات الماضي ؟

- صدقيني لم أنس الماضي يوماً .

- لا تتكلم الآن .

- هل تقبلين اعتذاري ؟

دعنا من الاعتذارات فأنا هنا أؤدي واجبي كممرضة و ..

فوجئ الاثنان في تلك اللحظة بشـجار خارج الحجرة أعقبه تهجم أخوها مالك عليهما ، ســـحبت يدها بهدوء من يده ، ووقفت لمجابهة أخيها ، خاطبته بطريقة لينة ، إلا أنه تخلى عن تهذيبه وحدثها بقسوة :

- أيتها العاهرة .. تجلســـين معه في غرفة موصـــدة الأبواب على السرير ، ويدك داخل يده .. هل أنتِ ممرضة أم ماذا ؟

صرخت في وجهه بألأم :

- أرجوك كفْ عن تجريحي وتهديدي .

- وهل أنا أعمى ؟ لقد رأيت ما حدث بأم عيني ، أنتِ لا تعرفين ماذا يقول الناس عنكِ وعنه ، إنهم يقولون بأنك مازلتِ مغرمة بهذا السافل ، وأنكما مازلتما تمارسان حياتكما كزوجين ، وكأن الطلاق لم يقع يوماً عليك ، سأقتلك وأغسل عارنا بيدي .

نهض سامر مدافعاً عنها ، وقال بوهن :

- يجب أن تقطع لسـانك أنتَ أولاً ؛ لأنك تظلم أختك ، وتسيـء الظن بها ، وأنا لن أسمح لكَ بإهانتها ، هل تفهم ؟

- ومن أنتَ كي تسـمح أو لا تسـمح ؟ اسـتيقظ فأنت الآن رجل أعمى ، ولم تعد ذلك الفنان المشهور الذي سحر الكثيرين بفنه المبتذل ، وأوقع الكثيرات بحبه تحت قناع من الزيف والخداع .

شعر سامر بالإهانة ، وضغط على غطاء السرير في ألم ، وبدا كما لو أنه يريد تمزيقه ، في حين اقترب مالك من أخته ، وصـفعها على وجهها صـفعة طرحتها أرضـاً ، ثم انحنى وأمسـك يدها ، وأراد جرها إلى خارج الغرفة .. دخل الطبيب وبعض الممرضات والممرضين ، وحملوه خارج الغرفة ، وهو ما زال يهدد ويتوعد ، وأصر الطبيب أن يبلغ الشرطة ضـد أخيها وتهجمه على المكان ، ولكنها رجته ألا يفعل ، فانصـاع لها الطبيب ، وخضـع لرغبتها وتركهما خارجا ، بعد أن اطمأن عليهما ليعود الهدوء للحجرة ، ولكن سَرعان ما شـهدت الحجرة عاصـفة أخرى حين اقتحمتها ناريمان ، وتطلعت لسلام قائلة باحتقار :

- أنتِ أيتها الخادمة مرة أخرى ، وهنا في المستشفى !

- ناريمان اعلمي بأنني هنا مجرد ممرضة .

- السيدة ناريمان أيتها الخادمة .

- لن أسمح لكِ و ..

تدخل سامر في الحوار هاتفا بحزم في وجه زوجته قائلا :

- ناريمان .. حدثيني أنا ، وأخبرني أين كنتِ طوال تلك المدة ؟

- تعلم بأني كنت في اللاذقية من أجل عملي الأخير ؟

- لا تقولي بأنك لم تعلمي بالحادث ؟

- لم أعلم إلا منذ أيام .

- وهل عملك كان أهم مني ؟

- كنت أطمئن عليك من خلال طبيبك .

- ونعم الزوجة التي تعرف واجباتها تجاه زوجها !

- حبيبي أنت تعلم بأني فنانة ملتزمة ، ولا أســتطيع ترك عملي إلا إذا انتهى و ..

- هل تعلمين بأنني أصبحت أعمى ؟

- لا .. أنت تمزح .. هذا مستحيل .

- بل أني أصـبحت كذلك ، فأنا لم أعد سـامر الأمس لقد تغير كل شيء ، وأريدكِ أن تعتزلي الفن لتقومي على رعايتي و ..

- تعلم بأني لا استطيع ذلك ، ثم أن لديك خادمتك .

- أريد معي زوجة لا خادمة .

- حبيبي نتحدث بهذا الشأن على انفراد .

- لا مجال لأي حديث ، والآن عليكِ أن تختاري بيني وبين عملكِ ؛ فأنا لا أريد إلا زوجة وأم .

- وأنا لن أتنازل عن نجوميتي التي وصلت إليها .

كانت سلام تتابع حديثهما في صمت ، واتسعت عيناها في ذهول عقب عبارة ناريمان الأخيرة ، وفوجئت بسامر يهتف بها في حزم قائلا :

- إذا فقد انتهى الأمر ، وعليكِ أن تجمعي حقائبك وتغادري منزلي ، وحقوقك ستصلكِ كاملة .

رمقت ناريمان سلام بنظرة حاقدة ، وهتفت بلامبالاة :

- لستُ في حاجة لتلك الحقوق أما عن حقائبي فهي في منزلي منذ الأمس ، صدقني كنت أشفق عليك وأنت لا تستحق الشفقة .

قالت ذلك ثم شـيعتهما بنظرة سـاخرة قبل أن تغادر المكان ، في اللحظة التي ارتفع فيها رنين الهاتف الخاص بســلام ، وانبعث منه صوت أمها يهتف في جزع :

- أسرعي يا ابنتي .. إن حرارته مرتفعة جداً .

- أعطيه الدواء الخافض للحرارة .

- أعطيته ومازالت حرارته مرتفعة ، تعالي بسرعة .

وضعت سلام السماعة ونظرت إلى سامر الذي سألها بلهفة :

- ماذا هناك ؟

- حرارته مرتفعة ، والدواء لا يجدي نفعاً ، لا أعرف ماذا أفعل ؟

- من هو ؟

ركضـــت خارج الغرفة ، دون أن ترد عليه ، وتركته لحيرته وقلبه يكاد ينفطر من أجلها وأعماقه تصرخ في ألم :

- ترى من هو المريض الذي تركته من أجله ؟!

****

خافت بل تاهت في عالم غريب ، وصلت إلى المنزل لتجده مازال على حاله ، فقامت بنقله إلى المســـتشـــفى على الفور ؛ ليكون تحت إشراف الطبيب المسـئول ، بعد الفحص المبدئي أصـبح الطبيب يشـك بإصابته بالتهاب السحايا .. صعقت وتمنت لو لم تسمعها من الطبيب ؛ فذلك الالتهاب قادر على أن ينهي حياته بلحظات أو يصـــيبه بعاهة مســـتديمة ، كان الطبيب ما يزال يدقق بأمر تلك الحرارة التي ترفض الانخفاض ، عندما تركت غرفته اتجهت متثاقلة إلى غرفة ســـامر لكي تطمئن عليه ، ما أن شعر بها تدخل الغرفة حتى هرع إليها يسألها :

- كيف أصبح حال أخيك ؟

فاجأها سؤاله ، فقالت له بكلمات متقطعة :

- بخير .. لقد أصبح بخير ، أخبرني أنت بماذا تشعر الآن ؟

- عندما أراك أشعر بأني شفيت تماما .

قبل أن ترد فوجئت بالممرضـــة تدخل لتخبرها بأن الطبيب يريدها ، هرعت إليه تسأله :

- أرجوك أيها الطبيب .. أخبرني كيف أصـــبح حاله ؟ ما الذي يعاني منه ؟

- اطمئني .. إنه لا يعاني من التهاب الســـحايا ، مجرد التهاب معوي عادي ، ويمكنك إخراجه من المستشفى اليوم .

راحت تردد بينها وبين نفسها وقد عاد الاطمئنان لقلبها :

- أحمدك يا رب .

-" حائرة وكرامتها تغلبها "

تماثل سـامر للشـفاء ، وحالته النفسـية أصـبحت أكثر من رائعة بعد انفصـاله عن ناريمان ، لم تعد سـلام تراه في المسـتشـفى إلا إذا جاء ليزور الطبيب ، كانت تدور بينها وبينه أحاديث عابرة كلما التقيا ..

فوجئت به يزور منزلها بعد شــهر من خروجه من المســتشــفى ، جلس طويلاً في الصالون دون أن ينبس ببنت شفة ، وأخوها مالك يغلي

من الغيظ ، يود لو خرج إليه وطرده من المنزل .. بدأت تكره أخاها وتكره وجوده في المنزل ؛ أصبح يشكل خطرا كبيراً على العائلة ، لكم تمنت أن يعي حقيقة أن يضحي المرء بمستقبله وأحلامه ويتخلى عن أهدافه في سبيل أخوته ومن يحب ، ولكن هيهات فمن يفهمه ذلك هو يعيش كما يريد له عمه .. كانت أمها قد فضَّت الشجار بينهما حين أراد أخوها أن يخرج إليه ليلقنه درساً ، إلا أن أمه منعته ودفعته إلى داخل الغرفة .. خرجت إليه بصحبة ابنتها ، وما هى إلا لحظات حتى تركتهما أمها وحدهما ؛ لأنها أصبحت تعلم بأن سامر ما جاء إلا كي يحدثها هى لتعود المياه إلى مجاريها ، نهض من مكانه ، وجلس إلى جانبها ، بلا شعور أحست بيده تضغط على يدها ، ثم هتف قائلا :

- جئت أسألك وأقول لك بأني مازلت أحبك ، وأريد أن نعود إلى سابق عهدنا .

- أواثق بأنك تريدني أن أعود أم أنك تحتاج لوجود امرأة تقوم على رعايتك ؟

ضغط على يدها مرة أخرى ، فذاب وجدانها للمسته وهو يهمس :

- هل صــدقتِ بأنني فقدت بصرـي ؟ لا .. لقد قمت بأداء ذلك الدور لأختبر ناريمان ، أنا الآن أحتاجك صــدقيني ، مازلت ألعن نفسيـ ألف مرة لأنني تركتك ، صـــدقيني أريدك أنتِ ، ولن تصـــبح أم أولادي واحدة غيركِ .

- والطريقة التي أبعدت بها فراس عني ؟

- أنا لم أكذب عليه ، ثم أنني أعلم بأنكِ لا تحبينه ، كما أعرف أيضا بأنه لا يستحقك .

- وأنت من تستحقني .. أليس كذلك ؟

- على الأقل كنا متزوجين ومتحابين .

- كن شجاعا وقل الحقيقة بأنني كنت امرأة مهمتها إمتاعك فقط ووقتما تشاء أنتَ .

- حبيبتي .. أنا لست هنا لفتح ملفات الماضي ، ثقي بأنك تتربعين على عرش قلبي ولم أنسك يوما.

- لا أستطيع نسيان الماضي .

- انظري إليَّ واصدقيني القول : هل توقفتِ عن حبي يوماً ؟

نظرت إليه في صـمت وأنفاسـها تتلاحق بسرـعة ، وهى تراه يمد يده ليلامس وجهها .. ثم هتف بهمس :

- وجهك ليس على ما يرام .. ماذا حدث ؟

- لا شيء لقد وقعت .

- وقعت أم أن ذلك الأحمق كان يضربك ؟

- لنتكلم بالأهم .

- ما زلتُ أحبكِ ، ولم أتوقف عن حبك يوماً .

- وغرورك الذي ينتقص من حقوقي ، وأنا لا أستطيع مجاراتك في غرورك ..

- كنت أعده ثقة بالنفس ثم إنكِ أصبحتِ مثلي الآن تتقنين التمثيل .

- شتان ما بين الغرور والثقة ، كما أنني لا أرغب في الاستمرار بالتمثيل ؛ مجتمعي المحيط بي يرفضه بشدة ، كنت أرغب في إثبات ذاتي فيه فقط ، وها أنا قد فعلت .

- ولكني أحبكِ و ..

- سأرسل لكَ أمي .

- ولكنكِ صاحبة الشأن ..

لم تعره اهتمامها ، وتحركت نحو الغرفة التي كانت تقف أمها خلف بابها .. قالت الأم :

- سمعت ما دار بينكما .

- ما رأيكِ فيما طرحه عليَّ ؟

- الرجل مازال يريدك .

- خائفة من عالمه يا أمي .

- ألا ترين بأنه تغير تماماً ؟

- نعم ولكنني مازلت أشعر بالخوف ، وأخشى الندم .

- عودتكِ إليه أفضـــل بكثير من بقائك هنا .. هل ضربكِ ســـامر يوما ؟

- لا .. بل ظل يحترمني حتى لحظة انفصالنا .

- إذاً هو الأفضل بالنسبة لك .

- وكرامتي يا أمي وكبريائي .

- وعندما كان أخوك يضربك ويلكمك بقدمه أين كانت كرامتك ؟ بم نفعك كبرياؤك ؟

- حائرة يا أمي .. أكره أخي وبنفس الوقت أكره عودتي إليه ، أخاف أن أخسر نفسي من جديد ، لا أعرف ماذا أقول لكِ .

- القرار قرارك ، لا أريد الضغط عليكِ .

هزت رأسها في حيرة ، وخرجت إليه تتبعها أمها ، فسألها مازحاً :

- أين وصلتما في المفاوضات ؟

لم ترد عليه فصاح بها :

- ارفضي .. قولي نعم أو لا .. قولي أكرهك ، اطرديني من منزلك ، فهذا أفضل بكثير من أن تقفي دون أن تقولي شيئاً .

- اترك لي فرصة من الوقت ؛ لأتدبر في الأمر مع نفسي .

- وهل سيستغرق تفكيرك وقتاً طويلاً ؟

لم تقل له شيئاً إلا أنها اكتفت بالنظر إليه ، على حين رأته ينهض ، ويقترب منها ليربت على كتفها ويقول :

- كما تشائين .. سأتركك الآن وسأعود لاحقا .

راقبته وهو يسير نحو الباب الخارجي دون أن تقول له شيئاً ، وقبل أن يخرج التفت إليها ومنحها ابتسامة ، ثم غيبه الباب تماما تاركا إياها صريعة لأفكارها .. أين نقطة البدء ؟

إنها ما زالت حائرة بين الكرامة والحب ، بين الإهانة والظلم ، ومازال بداخلها يتردد سؤال :

هل تعود إليه ليفتحا معاً صفحة جديدة ، أم تأخذ كرامتها حجة ، وتبقى تحت رحمة أخيها المتسلط ؟

" حادثة قديمة تقلب الموازين "

بعد ذلك اللقاء مرت فترة قاربت الشــهر ، مازال قرارها معلقاً بين الرفض والقبول ، وأحياناً لا تفكر بالأمر مطلقاً ، كان يمكنها الموافقة إلا أن هناك أشــياء كثيرة تمنعها من البوح بما في صــدرها ، وحدث أن أتى ســامر للمســتشــفى لإجراء الفحص الأخير الخاص به دون أن يقول لها كلمة ، وكأنه لم يعد ينتظر ردها أو لم يعد في حاجة إليها ، إنه لشــعور سيء ذلك الذي تشعر به المرأة غير المرغوب بها ..

كانت ما تزال التســاؤلات تدور في رأســها ، عندما قرع جرس الهاتف ، وجاءها عبره صوت أمها تصيح من بين دموعها :

- أغيثيني يا ابنتي .. لقد جاء رجال الشرطة وأخذوه .

- أمي .. اهدئي أرجوكِ ، وأخبريني ماذا حدث ؟

- يتهمونك بأنك قد قمتِ بخطفه من المســتشــفى ، حين كنت تشرفين على رعاية إحدى المريضات .

- لا أفهم شيئاً أمي .

- ألا تذكرين القصة التي أخبرتني بها منذ سنوات ، عندما أجرت إحدى النساء عملية قيصرية بالمستشفى واكتشفت اختطاف طفلها قبل شفائها ؟

- أجل أذكرها يا أمي ، وأذكر أيضا بأن الأمر مر على خير ، واتضح أننا بريئات بعد تحقيق النيابة معنا .

- الملف تم فتحه من جديد ، وجاءت أم الطفل المخطوف مع الشرطة ، وتعرفت على الطفل وأخذوه ، وهم في طريقهم إليكِ بالمستشفى الآن .

- مصيبة يا أمي مصيبة و ..

وقع هاتفها من يدها أرضا حين وجدتهم حولها أمامها ..

رجال الشرطة وأم الطفل المخطوف وأبيه وعدد كبير من العاملين والعاملات بالمستشفى ..

تحاصرها نظرات عديدة تجمع بين الشماتة والتشفي والغضب والإشفاق والذهول وعدم التصديق ..

اتسعت عيناها في هلع ، وهى تطلع للطفل النائم بين ذراعي الأم ، التي أحاطته بذراعيها ككلابتين من الحديد ، وكأنه تخشى فقده مرة أخرى ..

تحركت شفتاها بحروف وعبارات كثيرة ساخطة ناقمة ، ولكنها لم تنطق إلا بحرفين فقط :

- لأاااااا .

وهوت تحت أقدامهم وقد فقدت وعيها !

****

" غرفة التحقيق "

كان المحقق لبقاً معها إلى أبعد حد بحيث طلب منها أن ترتاح ، وطلب لها كوباً من الليمون .. مرت دقائق عصـــيبة مخيفة ثم وجدته ينهض من على كرسيه ويتجه نحوها يسألها :

- الآن أخبريني .. كيف ارتكبتِ الجريمة ؟

- صدقني لا توجد جريمة ، وهذا الطفل ابني .

- المراوغة لن تفيدكِ ؛ نعرف أن ابنك تم إجهاضـه قبل ولادته ، وأنكِ الآن مطلقة ، فمن أين لكِ بهذا الابن الآخر ؟

- سـيدي .. صـدقني من أخبرك بهذه الأكاذيب هو إنسـان حاقد علىَّ ، وإلا فكيف عرف أنه ليس ابني ؟

- عليك ألا تنسي أن عين الله لا تنام ، القصـة بدأت منذ أصـيب الطفل بالتهاب السـحايا ، وقمت بنقله إلى المسـتشـفى .. وهناك بدأ الجميع يشكون ؛ لأنهم يعرفون أن ابنك مات قبل أن يرى الوجود .

- كذب وافتراء أقسم لك ، ابني لم يمت .

- ألديك إثبات بأن الطفل طفلك أنت ؟

- للأســـف ليس لدي إثبات ، لقد أنجبت الطفل بعد طلاقي من زوجي .

- أكان زوجكِ يعلم بأمر وجوده ؟

- لا .. لقد أخفيت الأمر عن الجميع .

- ولماذا هذا التكتم إن كان الطفل شرعياً ؟

- خفت أن يأخذه والده مني بحكم سلطته .

- من أبوه ؟ وماذا يعمل ؟

- إنه ممثل يا سيدي ، ولا داعي لإخباره بالأمر ؛ سيأخذه إن علم بأمر وجوده .

- هذا إن كان طفله حقاً ! أخبريني .. كم عمر الطفل ؟

- دخل عامه الرابع منذ شهر وسبعة أيام .

- أليســت غريبة أن يختفي الطفل من المســتشــفى في نفس يوم عودتك للعمل بعد انقطاع عام كامل ؟ !

- ليس عندي أكثر مما قلته .. الطفل طفلي أنا ، ففي اليوم الذي تذكره كان طفلي ما يزال تحت رعاية أمي في المنزل ، وحين اختفى ابن تلك السيدة كان طفلي قد بلغ الشهرين ونصف من العمر .

- من الطبيب الذي قام بإجراء عملية الولادة ؟

- ليس طبيباً ، إنها قابلة تســـكن قريبا منا في نفس الحي ، اطلبها وستشهد بالحقيقة ، لا أظنها تنكر الأمر .

- كلامك هذا يتناقض مع الطبيب الذي يؤكد أن حالتك كانت خطيرة ، ولم يكن أمامك إلا الإجهاض لتحافظي على حياتكِ .. فكيف نجوت والطفل على يد قابلة بدون رعاية صحية ومستشفى؟

- صدقني هذا ما حدث .

- وهل القابلة موجودة ؟

- نعم .. من المؤكد أنها في ذات العنوان ، إذا ســـمحت دعني أتصل بأمي لكي تأتي إلى هنا مع القابلة .

أشــار لها باســتخدام الهاتف ، فراحت تضــغط أزراره في عجل ، وسرعان ما أتاها عبر أسلاك الهاتف صوت أخته سندس ، فصاحت بها :

- أعطني أمك بسرعة . لحظات وجاءها صوت الأم عبر الهاتف :

- سلام .. أين أنتِ ؟ وماذا فعلوا معكِ ؟

- أنا في غرفة التحقيق ، أرجوكِ يا أمي اذهبي إلى القابلة ، واطلبي منها أن تأتي إليَّ ؛ إنها الشاهدة الوحيدة القادرة على مساعدتي .

أعادت الســـماعة مكانها في اللحظة التي هتف بها المحقق ، وقد عقد ما بين حاجبيه في شرود :

- ألا يهمك أن يحمل اســـم أبيه إن كان ابنك بالفعل ؟ وماذا عن المدرسة ؟ كيف يدخلها وهو بدون شهادة ميلاد ؟

- بالنسـبة لأبيه أخبرتك بأني كنت أود ألا يعلم بوجود ابن له ، أما بالنسبة للمدرسة فابني مازال صغيراً .

- أنصحكِ بأن تبحثي عن محامٍ ماهر .

- لا حاجة لي للمحامي .

- ما هذا البرود الذي يعتلي وجهك ؟ أراكِ غير خائفة من مواجهة القانون ، وكأنكِ لم ترتكبي جريمة اختطاف أو ولم تحرمي ابنا من أمه .

- لست مذنبة والطفل هو ابني مهما وجهتم لي من اتهامات .

*****

مرت فترة التحقيق ببطء شديد حتى شعرت بأنها تختنق ، ورغم كل شيء بقيت محتفظة باسم وهوية أبيه رغم كونه الوحيد القادر على مســـاعدتها ، ولكنها فكرت بما يمكن أن يحدث لو علم بوجود ابن له ، وأنها قد أخفته عنه ، حتما سيعلنها حربا ، وربما يحرمها منه إلى الأبد ..

السـجن يخيفها ويخنقها ، وأمها تأخرت بالقدوم مما زاد قلقلها وخوفها من القادم إليها غداً ، فاض بها الشـوق لابنها الذي لا تعرف أين هو ؟ وماذا يفعل ؟ وكيف يعيش من غيرها ؟

فوجئت بالحارس يطلبها للتحقيق من جديد ، وعندما وصـلا إلى غرفة التحقيق فوجئت بأمها وحدها في حالة يرثى لها ، حزينة كئيبة مغلوبة على أمرها نهضـت حين رأت ابنتها واقتربت منها لتعانقها بحنان فسألتها على الفور :

- ما الأخبار يا أمي ؟ وأين هى القابلة ؟

- غادرت البلاد مع ابنها منذ عامين ، ولا أحد يعرف مكانها .

- أين أصبح ابني الآن ؟

- لا أدري منذ أخذوه من المنزل ، لم أسـمع عنه شـيئاً ، لا بد أن المرأة التي فقدت ابنها أخذته .. مسـكينة سـيتحطم قلبها من جديد عندما تعرف الحقيقة .

دخل المحقق وقد كانت منهارة تماماً عندما سألها :

- أين وصلتما في المباحثات ؟

اقتربت أمها منه وقالت له :

- القابلة غادرت البلاد يا ولدي ، أرجوك خذ بشهادتها وشهادتي ، وصدق بأن الطفل ابنها هي ..

- بدون إثبات لن يمكنني تصديقكما .

خرجت أمها من القسم ، في حين عادت سلام إلى زنزانتها وهى شبه منهارة .

" بعد أسبوعين " " ظهور الحق "

فجأة .. وعلى غير العادة ، ثارت ثائرته ، وغلت دماء النخوة في عروقه ، وقرر أن يثور من أجل أخته الحبيسة التي لم يسأل عنها منذ أن وارتها القضبان ، رغم أنه أساء إليها كثيرا ناسيا أو متناسيا تضحياتها من أجله وأجلهم جميعا .. كان بداخله يقين بأن سامر زوجها السابق هو سبب كل المصائب التي من الممكن أن تصيبها .. فوجئت به أمه يخرج من حجرته ، وهو يصرخ بغضب :

- زوجها هو السبب ، ولا بد أن يدفع الثمن .

ذهب مالك إلى منزل سامر ، وثار عليه وألقى على مسامعه سيل من السباب والشتائم غير اللائقة ، وسامر في ذهول من تهجمه ؛ فمازال يجهل كل شيء عن الأمر ، وقبل أن يرد على الفتى تطاوله فوجئ بالأم تتبعه لتمنع حرباً كادت تندلع بين الاثنين ، ما أن رأى مالك أمه حتى

تنحى جانباً ، وقد لقنته أمه ما يســـتحق من كلمات التوبيخ والتأنيب ؛ مما دعاه للخروج من منزل سامر غاضباً ، وهو يهدده ويتوعده ..

اتبعت أمها أسلوبا طالما كرهته سلام فيها لتستدر عطفه وتطلب مسـاعدته ، حيث ركعت تقبل قدميه فعذبه ركوعها ، وجد نفسـه يركع هو الأخر على الأرض ؛ ليطلب منها النهوض والتحدث بروية كي يفهم سبب مجيئها ، ظلت للحظات تنظر إليه وهى تبكي ، ثم صاحت :

- أرجوك يا ولدي .. ابنتي في الســـجن ، وأنت الوحيد القادر على مساعدتها .

صعقه خبر وجودها في السجن ، ثم أمسكها من كتفيها وصاح :

- السجن ! لماذا ؟

- هناك طفل تم اختطافه منذ سنوات من المستشفى التي تعمل بهـا ، والآن فتحوا ملف القضـــيـة مرة أخرى ، ويوجهون لهـا تهمـة اختطاف الطفل ، ولكنه ابنها يا ولدي .. ابنها .. وهم لا يصـــدقون أنها أمه .

- ابنها .. منذ متى وكان لسلام ابن ؟ !

- إنها قصة طويلة يا ولدي .. اذهب إليها وستخبرك بكل شيء .

لم تمضِ الساعة حتى كان أمامها هناك .. فوجئت به يقترب منها ملهوفاً ، وهو يأخذ كفيها بين راحتيه ، وعيناه تجوبان عينيها علّه يعرف سر وجودها في هذا المكان ، حررت يدها من يده ، وابتعدت عنه مولية ظهرها ، حارت من أين تبدأ حديثها كما لو أن الكلمات توقفت في حلقها .. وأخيرا هتفت بارتباك :

- أنا هنا بســـبب طفلنا ، أعلم أنه يحق لك أن تقتلني ؛ لأني أخفيت عنكَ الأمر ، ولكن هذا لم يكن بإرادتي صدقني .

بدا كما لو أنه لم يستوعب الأمر ، فأمسك كتفيها بعنف قائلاً :

- طفل مَن ؟ تكلمي .

- طفلك أنتَ ..طفلك لم يمت ، لقد كذبت عليك وعلى الجميع ؛ خفت أن تأخذه مني أنت ، فأخذوه هم .

- كيف أصدقك ، وأنا أعلم بأنك أجهضته ؟

- هذا ما يعرفه الجميع ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، لقد اعتكفت في منزلي طوال أشهر الحمل وبعد الولادة .. لم أفقده صدقني .

- والطبيب الذي أخبرني بأن حالتك كانت خطيرة ، وكان عليك أن تجهضي الجنين حفاظاً على حياتك وسلامتك ؟

- كدت أفعلها ، ولكنني فكرت بأن الروح لا يأخذها إلا خالقها ، فإن أراد لي الموت يكون نصـــيبي في هذه الحياة ، وإن أراد لكلينا الحياة يقدم لي هدية ثمينة أبقى أشـــكره عليها طوال حياتي .. أردت لطفلي أن يعيش لأنه ابنك أنت ، أردت أن تبقى لي ذكرى منك ؛ لذلك تحملت ولزمت السرـــير طوال فترة الأشـــهر الخمس الأخيرة ، وخاطرت بحياتي حتى لو كان الثمن أن أموت أنا ويعيش هو ، هذه هى الحقيقة .

- لا أصدق ما تقولينه .

- لو نظرت إليه لصدقتني ، فهو يشبهك تماما ، وإلا فانتظر نتائج التحاليل ، مسألة وقت فحسب وتعرف الحقيقة وتثبت براءتي .

- ولماذا أخفيتِ عني أمره ؟

- خفت أن تأخذه مني .

- حمقاء لو أخبرتني بأمر وجوده ، ما كنت ورطت نفسيـ بالزواج من ناريمان .

- لا تنس بأنك رفضت وجوده منذ البداية ، وأنك قلت لي يمكنكِ الاحتفاظ به ، وأنكَ لن تطالبني بحضانته مستقبلاً .. أتذكر هذا ؟

- كنت غبياً ، ولكنكِ ظلمته وظلمتني وظلمت نفســـك ، ألم تقرئي قول الله سبحانه وتعالى حين قال " بسم الله الرحمن الرحيم "((

والمطلقات يتربصـــنَّ بأنفســـهن ثلاثة قروءٍ ولا يحل لهنَ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ..)) .

- صـــدق الله العظيم ، أعلم بأني كنت جاحدة بحقه وحقك ولكن ..

- أحمدك يا رب ؛ دوما كان بداخلي شعور خفي بأني سأصبح أبا ، دائماً كنت أسـمع صـوته قبل النوم ، وعندما أصـحو ، وأنا في الطائرة ، ولكن أخبريني لماذا وجهوا إليكِ تلك التهمة ؟

- أصـــيب بالتهاب الســـحايا منذ فترة فخفت عليه ، وأخذته للمستشفى التي أعمل بها فرأوه معي ، وهم يعلمون سابقا أني أجهضت ابني ، فبدءوا يتساءلون وارتبكت أمام الطبيب مما ضاعف شكوكهم .

- أكان هو الذي أصـيب بالتهاب الســحايا ؟ يا إلهي أنا وابني كنا معاً في نفس المستشفى ... أين هو الآن ؟

- لا أدري لقد أخذوه مني .

- ما اسمه ؟

- اسمه سامر .

نظر إليها وعلى وجهه ارتســـمت علامات الانتصـــار، كما لو أنه أيقن بأنها مازالت تحبه ولم تكرهه يوماً !

****

" بعد شهر "

تم الإفراج عنها ، وعادت إلى حضـــن أمها وأخوتها ولكن ابنها مازال بعيداً عنها ؟ الإجراءات طويلة ومعقدة وســـامر يعمل عليها ليل نهار ، ولكن ما ذنبها هى ؟ إن شـوقها لابنها يقتلها ، تسـهر في غرفتها كل ليلة تقلب صوره وتقبلها ، وتضمها إلى صدرها ، تحلم بلقائه كل دقيقة ، كلما فتحت أمها باب غرفتها ظنت بأنه عاد إليها ، كلما سمعت صوت أحد أخوتها تراءى إليها صـــوته ، وكلما نظرت في سرير أمها رأت طيفه تتخيله نائماً إلى جانب أمها ، لماذا يفعل بها القدر كل هذا ؛ إنها لم تبعده عن أبيه لكي تخسره إلى الأبد ، مازال ســامر يعمل على القضـية يريد أن يحصل على حقه في أبوة الطفل ، كانت قبل أيام قد خرجت مع أمها لإجراء فحص الدم حتى تكتمل الحقائق ، ثم عادت إلى المنزل وهى شـــبه يائســـة مما يحدث ، دخلت إلى غرفتها ، عادت إلى وحدتها من جديد ..ساعات طويلة وهى تفكر بما سيجري غداً ومازالت تتساءل :

- بماذا ستحكم المحكمة ؟ وهل ستجري الإجراءات لصالحها ؟

****

كان اليوم التالي يوما مختلفا بكل المقاييس ، ذهب إليها وهو في قمة انتصاره ، حين سمعت صوته بالخارج مع أمها ، هرعت إليه دون أن ترتب شعرها كما هى العادة ، فقط أرادت أن تشاهده هو ومن معه ؟ أرادت أن تشعر بأنها ملكت الدنيا أريجاً وشذى ولكن ما الذي حدث ؟ أين هو ابنها ؟ لم لا يركض إليها بلهفة وحنان لتحمله بين ذراعيها وتلاعبه وتضمه إليها ؟ بلحظات تلاشى كل شيء عندما رأته وحده .. فقدت تحفظها واتزانها ، واقتربت منه تسأله بحزن :

- أين طفلي ؟

- إنه في مكان آمن اطمئني .

- لم تبدو غامضا ؟ هل حدث مكروه ؟

- اطمئني لقد كسبنا القضية ، ومعها اعتذار من والديّ الطفل المخطوف ، انظري لقد عرف الجميع بأني والد الطفل الشرعي .

- وأنا ماذا عني ؟

- أنت أمه أيضاً .. ألا تريدين رؤيته ؟

- بالطبع أريد .. أين هو ؟

- في مكان آمن سترينه بعد قليل .

- خذني إليه الآن أرجوك .

- وأنا ما جئت إلا من أجل هذا ؟

نظرت إلى أمها فابتســـمت لها راضـــية ، ثم دخلت إلى غرفتها ، وحملت حقيبة يدها وعادت إليه وتأبطت ذراعه وقالت :

- هيا بنا إني بشوق لرؤيته بعد غياب طويل .

ما أن خرجا من المنزل ، حتى ركضـــت باتجاه الســـيارة ، فتحت بابها ودلفت إليها مسرـــعة ، جلس إلى جانبها وأدار محرك الســـيارة فانطلقت بهما إلى ولدهما ، أحســـت وهي بطريقها إليه بأن قلبها يخفق خفقانا عجيباً ، كل شيء بداخلها كان يرتجف ويرتعش .. أخيراً وصلا إلى منزله ..ترجلت من الســـيارة كما ترجل هو الأخر ، واقترب من باب منزله ، فأوقفته قبل أن يفتح الباب وقالت :

- إلى أين أتيت بي ؟

- إلى حيث أصبح يقيم طفلنا .

فتح باب المنزل ، ما أن دخلت المنزل حتى شـاهدت ابنها يجلس على حجر أم مظهر .. تبدد خوفها وعبوســـها وانطلقت منها صـــيحة رائعة :

- غير معقول طفلي وحبيبي هنا ؟

ما أن رآها حتى أخذ يجري نحوها ، حملته بين ذراعيها ، ومازالت لا تصـــدق بأنها تراه من جديد ، ها هو قريب منها كل القرب ، تضـــمه إليها بحنان ، تقبله ، تتلمس وجهه الذي لم تلمســه منذ صـبيحة ذلك اليوم ، بكت بفرح وقالت :

- ستبقى لي ، ولن ينتزعك مني أحد .

ما هى إلا لحظات حتى سرقها ســامر من غمرة فرحتها وســعادتها حين سألها :

- والآن .. ماذا بعد يا سلام ؟

- ماذا تعني ؟

نظر سامر إلى أم مظهر التي كانت ما تزال تقف أمامها وقال :

- أم مظهر خذي الصغير إلى غرفته ، وابقي معه .

اقتربت منها ، وانتزعت طفلها منها ، ثم اختفت به عن أنظارها ، التفتت سلام إليه قائلة :

- هل أصبح لولدي غرفة هنا ؟

- المنزل منزله .. يحق له أن يملك أجمل غرفة فيه على الإطلاق .

وقفت سـلام أمامه عاجزة تماماً ، لا تملك إلا الصـمت .. اقترب منهـا ثم مـد يـده ، وجـذب يـدهـا ثم رفعهـا إلى فمـه وقبلهـا ، سرت القشعريرة في جسدها .. هتفت :

- سامر أرجوك لا تنسَ بأننا منفصلان ؟

- ومن أخبرك بأننا كذلك ؟

- ماذا تقصد ؟

- هل وصلتك مني ورقة الطلاق ؟

- لم يحصل هذا .

- إذاً مازلت زوجتي .

اتسـعت عيناها في ذعر ، وأحسـت بأطرافها ترتجف وأعصـابها تنهار ، وبدأت الأسئلة تتزاحم فوق شفتيها ، تشعر بالغيظ يحرق قلبها ، يحرقها من الأعماق ..

فما تراها فاعلة بهذا الرجل الذي احتكرها لنفسـه طوال تلك السنوات دون أن تدري ؟

صاحت به :

- أيها الأحمق وتتركني كل تلك السـنوات وبعضي- يمزق بعضي- ؟ أشـعر بالمرض والإهانة وبالنقص وأخي يذلني على الدوام ، لقد ذلني

وضريني أمامك ولم تحاول الدفاع عني وعن حقك بامتلاكي...تتركني لعذاباتي وشـــعور بالوحدة يحرقني كل يوم عشرات المرات ، وأنت من تعلم بأني افتديت بالدنيا هواك ، وشـــوقي إليك يطول ويطول ، تركتني وحيدة تائهة ويتحكم بمصـــيري الآخرون ...لماذا لم تدافع عني إن كنت ما أزال زوجتك ، عندما نعتني أخي بالعاهرة ؟

- أريدكِ أن تسامحيني .

- أخبرني .. ألهذا وقفت في طريق زواجي من فراس ؟ هل أخبرته بأني مازلت زوجتك ؟

- لم أخبره سـوى أنني أحبك ، لم أكن لأسـمح له أن يتمادى أكثر وأنـت زوجتي أنـا ، كان علي أن أمنع زواجـكِ بـأيـة طريقـة . مـازالـت تزعجني تلك النزهة ،هل تذكرين تلك الشـــجرة الكبيرة التي اختفيتما خلفها ؟

لم ترد عليه ، فما كان منه إلا أن أمسك كتفيها بعنف ، وصرخ بها والدموع في عينيه :

- أخبريني بماذا كنت تشعرين وأنت تستسلمين له ؟ هل قبّلكِ ؟ هل لمسـتِ الفرق بين قبلتي وقبلته ؟ بماذا شـعرتِ حين لامس وجهك ؟

حررت نفسها منه ، وصرخت به :

- أريدك أن تعلم بأني كنت وفية لك ولحبك إلى أخر لحظة ، وما اختفيت خلف الشـجرة إلا لأنني لمحتك ، أردتك أن تتذوق مرارة الغيرة التي أحرقتني عندما تركتني وتزوجت بناريمان ، تسيـــء الظن بي وأنت تستحق أن تُرجم .. فراس لم يلمسني لأنني عاهدت نفسي. ألا يلمسني رجل غيرك .

- آسف .. غيرتي عليكِ أعمت بصيرتي .

- أنت أناني ومســتبد ، ولا تســتحق كل ذلك الحب الذي حملته لك في قلبي .

- وأنت لو كنت تحبينني بالفعل لما كنت أخفيتِ عني أمر وجود طفلي ؟

- طفلك ؟

- نعم طفلي رغم كل ما حدث هو طفلي ، طفلنا معا .

- اسمح لي ، أريد الاحتفاظ بطفلي .

- لن يخرج من هنا بعد الآن .

- ليس من حقك ..

- لا تنسي- بأن المحكمة أصدرت حكمها ، وفي جيب سترتي الآن بياناً يثبت أبوتي له ، وكلها أيام وأستكمل الإجراءات لكي يحصل على اسمه ونسبه بالكامل .

- أتهدنني بالقانون ؟

- ليس هذا تهديداً أيتها الحمقاء ، أنا أريدكما معاً .

- كيف تأخذه مني وهو حياتي ؟!

- أريدكما معاً .

- تريد أن تملكنا .

اقترب منها وهمس في أذنيها :

- بل لأني مازلت أحبك ، ولن أتوقف عن حبك يوماً .

- تكذب فأنت لم تحب إلا ناريمان .

- أنتِ وحدكِ من كنتِ ولا زلتِ تتربعين على عرش قلبي .

- أعود لكَ وأكون دميتك التي تحطمها كلما مللت منها .

- انظري إليَّ جيدا .. ألا ترين أني تغيرت ؟

- ما عدت أرى شيئاً ، فوق عيني غشاوة تأبى التصديق والرحيل عن قصص الماضي المؤلمة .

حمل يدها ولامس وجهها وهو يقول :

- تعلمين بماذا كنت أفكر عندما تعرضت للحادث ؟

- وما أدراني أنا ؟

- كنت أفكر فيكِ .. صـــدقيني أخر وجه رأيته قبل أن أغيب عن الوعي كان وجهكِ .

- تقول هذا كي تلف عقلي وأنصاع لرغباتك ؟

- بل لأنني أحبك .. تذكري أني جئت أطلب عودتك قبل معرفتي بوجود الطفل .

- أخبرتك من قبل أني أريد فرصة من الوقت لأفكر .

- تفكرين بماذا ؟ أنت زوجتي .

- هذا شأني .. أنا من يمكنني تحديد الوقت .

- اسمعي أريد أن نحل مشاكلنا وخلافتنا بعيداً عن القانون .

- أهو تهديد ؟

- افهميه كما تشـــائين .. أنت زوجتي ، شـــئتِ هذا أم أبيتِ ، وتحتفظين بطفلي الذي أبعدته طوال تلك الســـنوات ، أخبريني ماذا يفعل رجل آخر إن كان مكاني ؟ لا داعي لأن تجيبي ، دعيني أجيبك أنا .. أولاً ســـيطالب بحقوقه الشرـــعية عن طريق القانون ، كما ســـيطالب بحقوقه تجاه ابنه الذي يحق له الاحتفاظ به .

- ابني مازال صغيراً وحضانته من حقي أنا .

- نعم أنتِ على حق ، ولكنه سيعود في النهاية إليّ أنا أبوه .

حررت نفسها منه ونسيت للحظات أمر طفلها ، سارت ببطء نحو الباب الخارجي ، فسار خلفها ، وقبل أن تفتح الباب ، وجدته يحاصرها ويمسك يدها ويعيدها إلى الخلف ويضمها إلى صدره ، أصبحت قريبة منه وأنفاسه تكاد تلهبها ، تضعفها تماماً ، ثم قبلها .. كادت تتلاشي بين ذراعيه .. تعلم بأنها مازالت تحبه ، غير أن كبرياءها يمنعها من الاعتراف ، حاولت جاهدة التخلص من ضغط ذراعيه ، همست :

- دعني أخرج .. أرجوك .

- مازلت جميلة شهية ، ومازلت أتوق لتقبيل هذه الشفاه .

- دعني أذهب .

- لكِ ذلك ، ولكني أيقنت بأنك مازلت تذوبين بين ذراعي ، وأعرف أنكِ ستعودين .

فتحت الباب وألقت عليه نظرة مطولة اختلط فيها الشوق والحنين ، غادرت منزله وأغلقت الباب ..

أيقنت تماماً بأنها أصبحت بعيدة عنهما ، سارت طويلاً تفكر بما دار بينهما ، وظل نفس السـؤال يتصـارع في داخلها .. هل تعود إليه أم لا ؟

تمت بحمد الله

21/ أيلول/ "2001"